الداعيــة إلى الله

أخلاقه - صفاته - منهجه

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى ضوء القرآن والسنة

تأليف

دكتور/سيد أحمد جمعة سلام

مكتبة الإيمان – المنصورة

ت: ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

الإهداء

أهدى هذا الكتاب المنير إلى كل من ملك قلباً ينبض حُبّاً للإسلام، وهما للقيام بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة...

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ووفقنا للإيمان، وما كنا لنؤمن لولا أن شرح الله صدورنا له، وأحيا قلوبنا بالقرآن العظيم، نور الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم.

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ إمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وبشيراً ونذيراً للناس أجمعين، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته، ورضي الله عن آله وأصحابه ومن نهج نهجهم، واقتفى أثرهم، واتبع طريقتهم إلى يوم الدين.

الدعوة إلى الله أمانة عظمى، لا يتحملها ويقوم بها إلاّ من وفقه الله لذلك. حتى يكون من أحسن الناس عند الله تعالى قولاً وعملاً قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقد قال المصطفى ﷺ : **«من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»**[١] وقال : **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»**[٢].

وقال ﷺ : **«فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم»**[٣] ولذا فإنني أتمنى أن يقوم بهذه الأمانة كُلُّ قادر على التشرف بحملها كلٌ على قدر استطاعته العلمية والعملية.

فالدعوة ليست محدودة بأشخاص معينين فقط بل "كلنا دعاة" !! قال ﷺ : **«بلغوا عنّي ولو آية»**؛ وقال : **«كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»**.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

وقبل هذا وذلك قولـه تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والدعوة إلى الله غير محدودة بزمان ولا مكان فبالإمكان الدعوة ليلاً ونهاراً في أيّة ساعة، في البر والبحر وفي جو السماء.

وبعد؛

فقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع الموسوم بـ: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأني حين نظرت حولي وتفكرت في مجريات الأمور، وكل المشكلات التي قد وقع فيها المجتمع الإسلامي، وجدت أن سبب معظم المشاكل، أو من أهم أسباب تفاقم المشكلات وعدم القدرة على السيطرة عليها، هو افتقاد المسلمين للحكمة في التعامل والتفكير.

وكيف أن الله عز وجل قد أمر رسوله ﷺ بأن يدعو لله عز وجل بالحكمة، وهو الرسول الذي آتاه الله جوامع الكلم، فما أحوجنا نحن إلى هذه الحكمة في التعامل مع أمور حياتنا بوجه العموم، وإليها في الدعوة إلى الله عز وجل بوجهٍ خاص.

وفي هذا البحث قد نهجت هذا المنهج:

أولاً: عهدت في الفصل الأول إلى الحديث عن الدعوة إلى الله والدعاة – أشد ما نحتاج فيها إلى الحكمة – وعن أخلاق الدعاة إلى الله، وجعلته فى أحد عشر مبحثاً وبالطبع تحت هذه المباحث مطالب كثيرة.

ثانياً: في الفصل الثاني ركزت على الحكمة فى ضوء القرآن والسنة، وفصلت فيها بأمثلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة،وجعلته كذلك فى اثنى عشر مبحثاً وتحتها مطالب،وكذلك تكلمت عن موانع الحكمة، ليتسنى للداعي إلى الله الوعي الكامل لها، حتى يبتعد عنها كل البعد، ولأن ذكر العلة هو نصف العلاج، فقد ذكرت العلاج نفسه بعد ذلك وذلك ليتمكن من بشخصيته مانع من موانع الحكمة أن يعالج نفسه ويهذب منها.

ثالثاً: في الفصل الثالث ذكرت أنواع الدعوة وأن هنـاك الفرديـة والجماعيـة، فالجماعيـة هي المعروفة المتداولة، أما الفردية فهـي – رغـم أهميتهـا – لا يتبعهـا الكـثيرون، وأردت أن أعرف الداعي بها أولاً، وبعـد ذلـك آخـذ بيـده إلى أطوارهـا، والأسـباب المسـاعدة عليهـا، وجعلته في ثلاثة عشر مبحثاً تحتها مطالب.

رابعاً: ختمت ببعض الأمور العامة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يعيها وأن تكون نصب عينيه، لكيلا تفتر عزيمته، أو يوسوس لـه الشيطان بأنه غير ناجح في دعوته.

خامساً: حاولت قـدر المسـتطاع في البحـث أن آتـي بالأمثلـة الحيـة، سـواء مـن القـرآن الكريم، أو من السنة، أو من حياتنا اليومية؛ حتى تكون الأمور والنقاط الـتي أناقشـها قريبـة من ذهن الداعي، ودعمت البحث بكثير من النصائح المباشرة المستفادة من المراجع والأبحاث الأخرى........

أسأل الله عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهـه الكـريم، اللـهم انفع بنا، واهد بنا... اللهم آمين.

دكتـــــور

سيـــد أحمـــد جمعـــة ســـلام

مركز النور الإسلامى مدينة شريفبورت لويزيانا – أمريكا

* * * * *

سبب اختياره

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]، الاستفهام في الآية بمعنى النفي، أي : لا أحسن قولاً، والغرض منه انتفاء هذا الشيء، وتحدي المخاطب أن يأتي به، فإذا كان عنده شيء أحسن من هذا فليأتِ به.. ! انظروا إلى جهود المبشرين والمنصرين وأهل الضلال كم يبذلون ليضلوا الناس، ونحن الذين اصطفانا الله لحمل رسالته نتخاذل ونتقاعس.. !

ويجب الرجوع في تعلم أسلوب الدعوة إلى سيرة النبي ﷺ، ومن الخطأ الاعتماد على كتب المحدَثين فحسب، فسيرته مكتوبة صحيحة بين أيدينا، فيها الهدى والنور، وأي دعوة لا تكون من خلالها فهي فاشلة.

ومن المهم تدارس سير الصحابة والسلف والأئمة الأعلام كذلك، فذلك يوقف الدعاة على الطرق الصحيحة للدعوة الناجحة، فمن كان مقتدياً فليقتد بمن مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. وتذكر أخي الداعي إلى الله وأختي الداعية.

(الأهل، الأقرباء، الأصدقاء،، وكل من حولك.. كونوا معهم، فوجودكم معهم بحد ذاته دعوة من حيث تصرفاتكم فضلاً عن الممارسات الدعوية الأخرى..

والذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.. ومن خالط الناس ونزل منازلهم ثم ارتقى بهم إلى الإيمان والتقوى والعمل الصالح هو العظيم حقاً. الأمر الآخر هو أن عليكم ألا تنقطعوا أو تنعزلوا عن إخوانكم الصالحين، فالمرء ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية! قال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا ﴾ [القصص: ٣٥].

وإن الهدف الأساسي للإسلام ودعوته هو إنقاذ البشرية، وإخراجها من عبادة الآخرين إلى عبادة الله، ومن الظلمات إلى النور، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام.

لهذا قال الرسـول ﷺ : **«إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولــه جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، والرجل يترعهن، ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها»** [(١)]، هذا الحديث من النصوص فى السنة التي تجلي صفة الرحمة في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الرحمة ملأت قلبه حتى كادت تهلك نفسه الشريفة ﷺ حزناً وحسرة على هذه الأمة، قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦]، ففاضت هذه الرحمة وفاضت حتى كادت تقتل صاحبها ﷺ حزناً لما يرى من انصراف الخلق عن طريق الجنة إلى طريق النار. يقول ﷺ : **«مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد** – أي: أوقد ناراً فاتقدت هذه النار واشتعلت وسرى ضؤها – **فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها»**، والفراش جمع فراشة، وهي دواب مثل البعوض تطير وتتهافت في السراج وتنجذب ناحية الضوء، فإذا رأت السراج بالليل ظنت أنها في بيت مظلم وأن السراج فوة في البيت المظلم إلى الموضع المضيء، فتظل تطلب هذا الضوء وترمي بنفسها إلى هذه الفوة، فإذا ذهبت بعيداً عنها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب تلك الفوة، فتعود إليها إلى أن تحترق بهذه النار التي تحسبها نوراً. والداوب، جمع دابة، وهي التي تقع في النار كالفراش والبعوض والجندب حيث ينجذبن إلى النار ويقعن في هذه النار، (وجعل الرجل يحجزهن) أي: يمنعهن عن النار مخافة عليهن (ويغلبنه) فرغماً عنه تصر هذه الدواب على أن تقع في النار وتقتحمها، قال: **«فيغلبنه فيقتحمن فيها»** أي: فيدخلن في النار قال رسول الله ﷺ : **«فذلكم مثلي ومثلكم»** أي: ما ذكر من حال الرجل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها صار الفراش والدواب يقتحمن فيها والرجل يمنعهن من ذلك وهن يغلبنه يقتحمن في النار. ثم زاد هذا الأمر بياناً فقال ﷺ : **«أنا آخذ بحجزكم عن النار»** والحجز جمع حجزة، وهي معقد الإزار، ومن السراويل هي موضع التِّكّة، (وأنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار) أي: أقبلوا إليَّ عن النار، أقبلوا إليَّ ولا تنجذبوا ناحية هذه النار، ففي متابعتي السلامة منها تتقحمون فيها، أي: تدخلون فيها هجوماً عليها من غير روية. فشبه ﷺ تساقط العصاة في نار الآخرة بجهلهم

---

(١) رواه البخاري.

عاقبة الشهوات بتهافت الفراش في نار الدنيا بسبب جهلها وعدم تمييزها لما تقصد إليه، فهي تعتقد نفع النار وهي سبب هلاكها، فكذلك أهل الشهوات في شهواتهم الغالبة، يعتقدون أنها نافعة وهي مضرة، والعاقل منهم الذي تحقق لـه أنها مضرة، لكن كان أسيراً للشهوات، فإنه لا ينفعه علمه بالضرر الذي فيها عن أن يسلك طريق النار فيقتحم فيها اقتحام الفراشة في النار مع علمه بأن فيها هلاكه. يقول بعض العلماء: إلى الله أشكو طوع نفسي للهوى وإسرافها في غيها وعيوبها إذا سقتها للصالحات تقاعست ودبت على كره إليها دبيبها وتهب نحو الموبقات نشيطة إذا ساوقتها الريح ساقت هبوبها وما هي إلا كالفراشة إنها ترى النار ناراً ثم تصلى لهيبها فهذا الحديث من أجلى ما يبين رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الأمة، كيف أنه يحرص أشد الحرص على إنجاء الناس من النار، وإنما يهلك من هلك رغماً عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والناس اليوم أحوج إلى مـن يأخذ بأيديهم إلـى جـادة الدين القيم والاستشراف الروحي بعدمـا سلكوا خط الانحدار الذي أركس إنسانيتهم الحقيقية وحدا بهم إلى المادية والإفـلاس الروحـي، ليس فقط من لم يعرف الإسـلام بل حتى المسلميـن الذين يحملون اسمه فقط ويجهلون كنهه الحقيقي ! هؤلاء الغرقى بحاجة إلى من ينتشلهم مما هم فيه، ومن الظلم تركهم لأنفسهم التي تتخبط في التيه. فمن ذا الذي يستطيع انتشالهم غير الدعاة ؟ وكيف سيكون الحال إذا تخلوا عن هذه المهمة العظيمة ؟ في نفس الوقت الذي تتسارع فيه خطا المفسدين تجر معها معاول الهدم.. ! ومن هنا كانت أهمية هذا الموضوع الذى به نالت هذه الأمة الخيرية إلى قيام الساعة كونها أمة دعوة، قائمة على الرحمة واللين والحوار، وأسأل الله عز وجل أن يستخدمنا جميعاً ولا يستبدلنا لخدمة دينه......

اللهم آمين.

* * * * *

الفصل الأول

الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة

المبحث الأول: بيان حكم الدعوة إلى الله عز وجل وبيان فضلها

١ - حكم الدعوة إلى الله عز وجل:

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله جل وعلا: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله عز وجل: ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص: ٨٧].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب - كما هو معلوم - هو اتباعه، والسير على سنته ومنهجه ﷺ كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك هو الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر بالدعوة إلى الله على التمام صار الإثم عامّاً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكاناته، فالواجب أن توجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله عز وجل في أرجاء المعمورة، تُبَلِّغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة،

وقدوتنا الرسول ﷺ، لقد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل [(١)].

والحمد لله في وقتنا اليوم قد يسَّر الله عز وجل أمر الدعوة بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة عن طريق: الإذاعة، والتلفزة، والصحافة، والطرق متعددة لتبليغ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى خلفاء النبي ﷺ أن يقوموا بهذا الواجب متكاتفين ليبلِّغوا رسالات الله عز وجل إلى العباد، ولا يخشوا في الله لومة لائم، دون محاباة كبير ولا صغير ولا غني ولا فقير، ويجب علينا كمسلمين وأتباع النبي ﷺ أن نبلغ أمر الله كما أنزل الله وكما شرع إلى عباد الله.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال ما معناه: ولتكن منكم أمة منتصبة لهذا الأمر العظيم تدعو إلى الله، وتنشر دينه، وتبلغ أمره سبحانه وتعالى.

ومن المعلوم أيضاً أن الرسول ﷺ دعا إلى الله، وقام بأمر الله في مكة حسب طاقته، وقام الصحابة كذلك رضي الله عنهم وأرضاهم بذلك حسب طاقتهم، ثم لَمّا هاجروا قاموا بالدعوة أكثر وأبلغ، ولما انتشروا في البلاد بعد وفاته ﷺ قاموا بذلك أيضاً رضي الله عنهم، كلٌ على قدر طاقته وعلى قدر علمه، فنحن الآن عند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غَلَبة الجهل، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته سواء كان في قريةٍ أو مدينة أو قطر من الأقطار وخصوصاً الذين يعيشون في البلاد الأوروبية وأمريكا وغيرها من بلاد غير المسلمين يجب عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله بحسب إمكاناتهم وطاقاتهم وألا يجعلوا وجودهم في هذه البلاد لتجميع المال والعمل فقط للدنيا كما بَيَّن العلماء أن هذا فيه كراهة.

---

(١) رسالة من الشيخ عبد العزيز بن باز عن الدعوة وأخلاق الدعاة.

أما بالنسبة لولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة فعليهم من الواجب أكثر وعليهم أن يبلغوا الدعوة حسب الإمكان بالطرق الممكنة وباللغات الحية التي يتكلم بها الناس فيجب عليهم أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات، فإن الأمر الآن ممكن وقد تيسر بالطرق التي تقدم بيانها كطريق الصحافة والتلفزة والشريط الإسلامي وغيرها.

ونظراً لانتشار الدعوة الشيطانية إلى المبادئ الهدّامة وإلى الإلحاد، وإنكار رب العباد، وكذلك إنكار الرسالات والآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية وغير ذلك من الدعوات المضللة، فإن الدعوة إلى الله عز وجل أصبحت اليوم فرضاً عاماً، واجباً على جميع العلماء، وعلى جميع الذين يدينون بالإسلام، فإن الضرورة والحاجة ماسّة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك، فيجب على كل مسلم أن يقابل هذا النشاط المضِل الداعي إلى الإلحاد بنشاط إسلامي وبدعوة إسلامية بشتى المستويات وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجبَ الله سبحانه وتعالى على عباده من الدعوة إلى سبيله.

٢ - فضل الدعوة إلى الله عز وجل:

وقد ورد في فضل الدعوة والدعاة إلى الله آيات وأحاديث كثيرة كما أنه ورد في إرسال النبي ﷺ الدعاةَ أحاديث لا تخفى على أهل العلم، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فهذه الآية الكريمة نوهت إلى الدعاة إلى الله وأنه لا أحد أحسن قولاً منهم وعلى رأس هؤلاء الدعاة الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم أتباعهم على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل، فأنتم عباد الله يكفيكم شرفاً أن تكونوا من أتباع الرسل والمعنى: أنه لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وأرشد الناس إلى الله وعمل بما يدعو إليه الله؛ أي: دعا إلى الحق وعمل به.

وأنكر الباطل وحذر منه وتركه، وصرَّح بإسلامه ولم يخجل بل قال: إنني من المسلمين، مغتبطاً وفرحاً بما مَنَّ الله به عليه، وليس كمن يستنكف عن ذلك ويكره أن ينطق بأنه مسلم أو أنه يدعو إلى الإسلام؛ لمراعاة فلان أو لحساب فلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل

المؤمن الداعي إلى الله القوي الإيمان، البصير بأمر الله يصرح بحق الله، وينشط في الدعوة إلى الله ويعمل بما يدعو إليه، ومع هذا يغتبط ويفرح بما يفعل كما قال الله عز وجل: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

فالفرح برحمة الله وفضله فرح الاغتباط والسرور، أمر مشروع، أما الفرح المنهي عنه فهو فرح الكِبر، كما قال الله عز وجل في قصة قارون: ﴿ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] وهذا هو الذي ينهى عنه.

والدعوة إلى الله من أهم وأعظم القُرُبات ومن أفضل الطاعات، وإن أهلها في غاية من الشرف وفي أرفع مكانة، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأكملهم في ذلك خاتمهم وإمامهم وسيدهم نبينا محمد ﷺ، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فبَيَّن الله عز وجل أن الرسول ﷺ يدعو على بصيرة، وأن أتباعه كذلك يدعون على بصيرة فهذا فيه فضل الدعوة، والبصيرة: هي العلم بما يدعو إليه الله وما ينهى عنه، وفي هذا شرف وتفضيل للنبي ﷺ وأتباعه، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»** (١)، وقال ﷺ : **«من دعا إلى هدُى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا يَنقُص ذلك من آثامهم شيئاً»** (٢).

ومما يدل على فضل الدعوة إلى الله عز وجل ما صح عنه ﷺ : أنه قال لعلي رضي الله عنه وأرضاه: **«فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرُ النَّعَم»** (٣).

ومما يدل على فضل الدعوة إلى الله عز وجل وما فيها من الخير العظيم: أن الداعي إلى الله جل وعلا يعطى مثل أجور من هداه الله على يديه، ولو كانوا آلاف الملايين...، فهنيئاً أيها الداعي إلى الله بهذا الخير العظيم، وبهذا يتضح أيضاً أن الرسول ﷺ يُعطى مثل أجور

---

(١) صحيح مسلم ٣٥٠٩ كتاب الإمارة.
(٢) صحيح مسلم٤٨٣١ كتاب العلم.
(٣) متفق عليه.

أتباعه إلى يوم القيامة، لأنه بلغهم رسالة الله ودلهم على الخير وهكذا الرسل يعطون مثل أجور أتباعهم، وأنت كذلك أيها الداعية إلى الله في كل زمان ومكان تعطى مثل أجور أتباعك والقابلين لدعوتك، فاغتنم هذا الخير العظيم وسارع إليه قبل فوات الأوان.

ويكفى الداعى فخرا أنه :

هو سبب للنصر والتمكين في الدنيا.. : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

– تبليغ الداعي يُكسِبه دعاء الرسول ﷺ للمبلغين. : **«نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه...»** [(١)].

ممن يشملهم الله برحمته الغامرة.. ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

للداعي أجر عظيم يتضاعف بعدد الذين يستجيبون له.. : **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»** [(٢)].

– يكفي الداعي شرفاً وكرامة أن قوله يعتبر أحسن الأقوال، وأن كلامه في التبليغ أفضل الكلام.. ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]. – الداعي من المفلحين والسعداء في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

يكفي الداعي فخراً أن تسببه في الهداية خير مما طلعت عليه الشمس وغربت : **«.. فوالله لئن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم»** [(٣)]، وفي رواية : **«خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»**.

---

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

- الداعي يُثبت معاني الخير والصلاح في الأمة... ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾ [آل عمران: ١١٠].

- الداعي صمام أمان المجتمع وعامل إزالة الشر والفساد.. ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) ﴾ [المائدة: ٧٨]. الداعي يبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل واهتمام المسلمين بعضهم ببعض.. ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

٣ - الموضوعات الدعوية :

أقصد بموضوع الدعوة: الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من ربه - سبحانه وتعالى - وهو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة مناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربِّه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران: ٨٥].

لذا على صاحب المشروع أن يدعو الناس بالإسلام كله، كما دعا به النبي ﷺ، مراعياً حالة المدعو، والمرحلة الزمنية التي يعيشها.

موضوعات دعوية لطرحها في واقع الناس :

يحسن بالداعية أن ينوع بين الموضوعات والكلمات مع مراعاة حسن الإعداد والتحضير، ومنها :

١- الموضوعات الإيمانية: مثل : "حسن الصلة بالله، ذكر الله، التوبة، قصص مؤثرة... ".

٢- الموضوعات العلمية: مثل: "الوضوء، الصلاة، سجود السهو، البيوع المحرمة...".

٣- الموضوعات الاجتماعية : مثل : "بر الوالدين، حقوق الجار، حقوق الزوجين...".

٤- الموضوعات الدعوية: مثل: "توصيل الخير للغير، التعاون على البر والتقوى...".

وغيرها كثير من موضوعات الإسلام الشاملة؛ بل الإسلام كله موضوع للدعوة إلى الله، وأظنك أخي الداعية على قدر من حسن الاختيار، ومراعاة ما يناسب الحال.

٣ - أن تكون على علم بدعوتك:

أي :على علم؛ لا تكن جاهلاً بما تدعو إليه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلابد من العلم، فالعلم فريضة، فإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتقِ الله يا عبد الله، إياك أن تقول على الله بغير علم، لا تدعُ إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قال الله والرسول ﷺ، وهي العلم فعلى طالب العلم وعلى الداعية أن يتبصَّر فيما يدعو إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك، سواء كان ذلك فعلاً أو تركاً، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة إلى الله ورسوله، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة.

أن تكون حليماً في دعوتك، رفيقاً فيها، متحملاً صبوراً، كما فعل الرسول ﷺ، وإياك والعنف والشدة والعجلة، والتزم الصبر والحلم والرفق في دعوتك، كما قال الله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله جل وعلا في قصة موسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤].

٤ - بيان الأمر الذي يُدعى إليه:

أما الشيء الذي يدعى إليه ويجب على كل داعية إلى الله أن يوضحه للناس كما وضح الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى أتباعهم فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم، وهو الإسلام، وهو دين الحق، هذا هو محل الدعوة، كما قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فسبيل الله عز وجل هو الإسلام، وهو الصراط المستقيم الذي يجب أن ندعو إليه لا ندعو إلى مذهب فلان ولا رأي فلان، ولكن ندعو إلى دين الله، ندعو إلى الصراط المستقيم، وهو الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ، وهو ما دل عليه القرآن العظيم والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، إلى الإخلاص لله وتوحيده بالعبادة، إلى الإيمان ومتطلباته، هذا هو أساس الصراط المستقيم والدعوة إلى الشهادتين، ومعنى ذلك أن ندعو إلى الإيمان بما أخبر به الله رسوله من أمر الآخرة وآخر الزمان وغير ذلك.

ويدخل في ذلك أيضاً الدعوة إلى ما أوجب الله من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت،... إلى غير ذلك.

ويدخل أيضاً في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بما شرع الله في الطهارة، والصلاة، والمعاملات، والنكاح والطلاق، والجنايات، والنفقات، والحرب والسلم، وفي كل شيء؛ لأن دين الله عز وجل دين شامل، يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهناك طائفة من طوائف المسلمين تدعو إلى فضائل الأعمال فقط تاركين من أمر دعواهم جُلّ ما تقدم مما ذكرت من أمور الدين، والأصل كما قلنا أن دين الله دين شامل كما بَيّن الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] يعني خذوا الإسلام كلاً متكاملاً فلا يجوز أن يكون الدين فقط في ست صفات للصحابة أو مبنيّ على ستة أصول أو غير ذلك.

وقد قال جماعة من السلف: معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ادخلوا في السلم جميعاً، يعني: في الإسلام، يقال للإسلام:سِلم؛ لأنه طريق السلامة، وطريق النجاة في الدنيا والآخرة، فهو سِلمٌ وإسلام، فالإسلام يدعو إلى السلم، يدعو إلى حقن الدماء بما شُرِعَ من الحدود والقصاص والجهاد الشرعي الصادق، فندخل في جميع شعب الإيمان، ولا نأخذ بعضه وندع البعض، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ٢٠٨] يعني: المعاصي التي حرمها الله عز وجل فإن الشيطان يدعو إلى

المعاصي وإلى ترك دين الله كله، ولهذا يجب على المسلم أن يتمسك بالإسلام كله، وأن يدين بالإسلام كله، وأن يعتصم بحبل الله عز وجل، وأن يحذر أسباب الفرقة والاختلاف في جميع الأحوال.

والخلاصة: أن الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله، ولا يفرق بين الناس، وألا يكون متعصبا لمذهب دون مذهب، أو لقبيلة دون قبيلة، أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه، واستقامة الناس عليه، وإن خالف رأي فلان أو فلان أو فلان، ولما نشأ من يتعصب للمذاهب ويقول: إن مذهب فلان أَوْلى من مذهب فلان، جاءت الفرقة والاختلاف حتى آل ببعض الناس هذا الأمر إلى ألا يصلي مع من هو على غير مذهبه، فلا يصلي الشافعي خلف الحنفي، ولا الحنفي خلف المالكي ولا الحنبلي، وهذه البدع في الدين وقعت من بعض المتطرفين المتعصبين، وهذا من البلاء ومِن اتباع خطوات الشيطان، فالأئمة: الشافعي، ومالك، وأحمد، أبو حنيفة، والأوزاعي، وإسحق بن راهويه، وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة حق، دعَوُا الناس إلى دين الله وأرشدوهم إلى الحق، ووقع هناك مسائل بينهم، اختلفوا فيها؛ لخفاء الدليل على بعضهم، فهم بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد، فعليك أن تعرف لهم قدرهم وفضلهم وأن تترحم عليهم، وأن تعرف أنهم أئمة الإسلام ودعاة الهدى، ولكن لا يحمل كذلك على التعصب والتقليد الأعمى فتقول:مذهب فلان أولى بالحق على كل حال، أو مذهب فلان أولى بالحق على كل حال لا يخطئ (لا هذا خطأ).

في أمر الدعوة عليك أن تأخذ بالحق وأن تتبع الحق إذا ظهر دليله ولو خالف فلانا أو فلانا، ولابد أن تجعل مخافة الله ومراقبته جل وعلا بين عينيك، وتنصف من نفسك، مع إيمانك بأن الحق واحد، فالمقصود من الدعوة والهدف منها إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به، والنجاة من النار ومن غضب الله، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، هذا هو المقصود من الدعوة، كما قال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فالرسل بعثوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور وكذلك دعاة الحق يقومون بالدعوة وينشطون لها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولإنقاذهم من النار ومن طاعة الشيطان، وإخراجهم من طاعة الهوى إلى طاعة الله ورسوله.

٥ - صورة من حياة النبي ﷺ للذاتية الدعوية :

عن أنس رضى الله عنه قال : "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : **«الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»** [(١)].

النتائج المتوقعة :

١- إنقاذ الناس من النار برحمة الله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢- نشر الخير بسرعة في أوساط الناس.

٣- التقليل من أبناء الشر والإكثار من أبناء الخير.

٤- نصر الله للأمة الإسلامية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد: ٧].

٥- كل قول أو عمل يفعله المهتدي يكون في ميزان الداعية.

٦- تحقيق هدف من أهداف العمل الإسلامي وهو إنشاء المجتمع المسلم [(٢)].

* * * * *

---

(١) البخاري.

(٢) كلنا دعاة أكثر من ١٠٠٠ فكرة ووسيلة وأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى تجارب العلماء والدعاة قديماً وحديثاً عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي/ بتصرف/ الناشر دار الطرفين للنشر والتوزيع.

المبحث الثاني
من أخلاق الأنبياء

يعيش الدعاة اليوم معركة، بل معارك، ويواجهون تحديات عظيمة وسهاماً حادة، تخترق الصميم وتنقل الدعاة من جو الهدوء والوقار والسكينة إلى جو الصخب والشائعات وهتك الأعراض دون مخالفة ولا ريب، فكيف يتحقق لهم ملك النفس وخطم جماحها، ورفع الهمة عن مسايرة هذه الهمم الوضيعة والصبر عليها..

والأعظم من ذلك الأخذ بيدها للارتقاء إلى منازل أصحاب الهمم العالية، المشمرين إلى الله تعالى. وتتمثل قول القائل:

إذا أدمت قوارصكم فؤاد ::: صبرت على أذاكم وانطويت
وجئت إليكم طلق المحيا ::: كأني ما سمعت ولا رأيت

ولا شك أن الصبر على الأذى وكظم الغيظ والحلم والعفو عند المقدرة هي أخلاق أنبياء الله وصفوته من خلقه ومن تبعهم من أوليائه المخلصين الصادقين الذين رفع الله مكانتهم وأعلى قدرهم، فكانوا جبالاً وقمماً صلبة وراسخة، فأتاهم وابل السهام المصوبة فتحطم عن صخورها الأبية، ويعود بعضها إلى صدر من رماها متنكسة. لذا كان لزاماً على الداعية المسلم أن يملك نفسه ويسعى للتخلق بهذه الأخلاق العظيمة في جميع مجالات الدعوة وميادينها، ومنها مجالات الحوار والكتابة والرد على المخالفين. هو وإن كان شديداً على النفس، إلا أن الله يعين العبد إذا علم بصدقه وإخلاصه، "مرَّ الرسول ﷺ بقوم فيهم رجل يرفع حجراً يقال حجر الأشد، قال: **«أفلا أخبركم بما هو أشدّ منه رجل سبّه رجل فحلم عنه فغلب نفسه وغلب شيطان صاحبه»** [(١)].

قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩ - ٢٠١].

---

(١) رواه البزار بسند حسن.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]. وتحقق لهم محبة الله كما في قوله: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال ابن تيمية – رحمه الله – في بيان سبب محبة الله لهم: "لأن درجة الحلم والصبر على الأذى والعفو عن الظلم، أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام"، ولدفع أذى الخلق ونيل الدرجات العالية، والوصول إلى هذه المرتبة من الحلم والصبر وسلامة الصدر على العبد أن ينظر إلى عدة أمور:

الأول: القدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

الثاني: التحلي بالصبر وليتأمل ما أعده الله للصابرين عن حسن العاقبة وموفور الجزاء، ولن ينال ذلك إلا بالصبر. كما قال ابن القيم رحمه الله : "وعلم أنه إن لم يصبر اختياراً على هذا وهو محمود، صبر اضطباراً على أكبر منه وهو مذموم".

الثالث: عاقبة العفو والصفح والحلم، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»** [(١)] والعز هنا يشمل عزاً ومحبة في قلوب الخلق في الدنيا وعزاً في الآخرة.

الرابع: أن يرضى بما أصابه، وهذا فوق ما قبله، وهذه منزلة عظيمة لا ينالها إلا أصحاب الهمم العالية، ولا سيما إن كان ما نالها كان السبب القيام بحقّ الله تعالى.

الخامس: مقابلة الإساءة بالإحسان، فكلما أساء إليه الخلق أحسن إليهم، وليستشعر العبد أنه بهذا الإحسان يزيد إليهم شيئاً من إحسانهم إليه بإهدائهم إياه حسناتهم وأجورهم!

---

(١) رواه مسلم.

وهذا مما يجعل الأمر يهون على العبد، فيعلم أنه يكافئهم على ما أهدوه إليه من عظيم الأجر، وما تحملوا عنه من عظيم الوزر.

السادس: سلامة الصدر، فلا يشغل قلبه بما لا يعنيه، وليعلم أنه كلما اشتغل العبد بشيء من هذه الأمور فاته ما هو أهم وأنفع له من الإقبال على الله ورجاء ثوابه. قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته".

السابع: حصول الأمن، فالعفو والحلم يقتلعان العداوة ويقضيان عليها، بخلاف الانتقام الذي يزيدها ويشعلها، فتنزع العداوات وتزداد الضغائن، فلا يأمن العبد عندها من مباغتة عدوه.

الثامن: دفع ثمن البيعة، فالمؤمن قد عقد الصفقة مع الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]. فإن كان الذي ناله من الأذى في سبيل الله، فلا يحق له أن يطلب لذلك عوضاً غير السلعة التي وعده الله تعالى بها وهي الجنة. قال تعالى في ذكر وصية لقمان عليه السلام لابنه: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]. ولما عزم الصديق على أن يأخذ من المشركين ديات المسلمين وأموالهم التي أتلفت في حرب الردة، قال عمر رضي الله عنه: "تلك دماء وأموال ذهبت في الله، وأجورها على الله، ولا دية لشهيد". وهذا مشهد من الصحابة ولم يعرف له مخالف، فكان هذا إجماعاً.

التاسع: عظيم المنّة في هذه النعمة، وذلك يظهر من وجوه:

١- كونه جُعل مظلوماً يرجو من الله النصر، ولم يكن ظالماً ينتظر من الله البطش والعقوبة.

٢- التكفير من خطاياه وذنوبه، فما يصيب العبد من شيء حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه.

٣- أن يحمد الله أنها لم تكن في دينه، وينظر إلى ما هو أعظم منها.

٤- أن يدخر جزاءها عند الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، في يوم هو في أمسّ الحاجة إلى حسنة ينجيه الله بها يوم القيامة.

العاشر: أن يتأسى بمن سبقه من الأنبياء والرسل والأولياء الذين هم من أفضل الخلق، ومع ذلك كانوا أشدّ الناس بلاء، فليتأس بهم ليهون عليه ما ناله مما لا يساوي شيئاً مع ما وقع عليه من أذى.

الحادي عشر: أن يشتغل بالله تعالى والتعلق به وتوحيده ومحبته والإخلاص له، والتقرب منه، والشوق إليه. قال ابن القيم رحمه الله : " وهو أجلّ المشاهد وأرفعها، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله، والإخلاص له ومعاملته، وإيثار مرضاته، والتقرب إليه، وقرة العين به، والأنس به، واتخذه ولياً دون من سواه، بحيث فوّض إليه أموره كلها، ورضي به، وبأقضيته، فإنه لا يبقى في قلبه متسع لشهود أذى الناس له البتة، فضلاً عن أن يشتغل قلبه وفكره وسره بطلب الانتقام والمقابلة".

الثاني عشر: ترويض النفس ومجاهدتها في تغيير ما فيها من سوء الخلق، وكان من دعاء النبي ﷺ : **«اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»** [(١)]. وبالتخلق والتكلف يصبح هذا الخلق سجية للعبد، وفي حديث أشج عبد القيس - رضي الله عنه - عندما قال له الرسول ﷺ : **«إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»**، فقال: أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ فقال: **«بل جبلك الله عليهما»**، فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله [(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله :"يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقاً بمنزلة الطبائع، قالوا: وقد جعل الله سبحانه في الإنسان قوة القبول والتعلم، فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل، غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفاً فيعود العبد إلى طبعه بأدنى باعث، وقد يكون قريباً ولكن لم ينقل الطبع، فقد يعود إلى طبعه إذا قوي الباعث واشتد، وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعاً ثانياً،

فهذا لا يكاد يعود إلى طبعه الذي انتقل عنه" اهـ. وفق الله الجميع لنيل أعلى مراتب

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الأخلاق، وجعلنا جميعاً من عباده المحسنين الصابرين، إنـه ولـي ذلـك والقـادر عليـه[1]..... آمين.

* * * * *

(١) د. قذلة بنت محمد القحطاني/ بتصرف.

المبحث الثالث
ومن أهم هذه الأخلاق

يقول الله عز وجل مادحاً الرسول ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

فالأخلاق الفاضلة من أحسن ما يمكن أن يتحلى به الداعية، فبها يستطيع أن يكسب الكثير من المدعوين، فقد سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[١]، ومن أهم هذه الأخلاق:

التواضع: **«فمن تواضع لله رفعه الله»** [٢].

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يقضي للناس حوائجهم حتى كانت الجارية تأخذ بيده ﷺ وتطوف به في المدينة، وكان ﷺ يسلم على الصبيان وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فيجب على الداعية ألا يغفل عن هذا الخلق العظيم إلا أن الدعاة لكثرة مشاغلهم قد يصدر عنهم تصرف يبدو للمدعوين أنه متكبر، فلا يفتح الداعية على نفسه هذا الباب وعليه بالصبر.

الحلم وهو أمر مهم لأي داعية ولنا أسوة حسنة في خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ ففي حديث البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال:" كنت ماشيا مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال الأعرابي : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه ﷺ ضاحكاً ثم أمر له بعطاء"[٣].

فانظر إلى حلمه وتواضعه ﷺ على هذا الأعرابي، فيلزم على الأعرابي أن يلتزم بهذا الخلق الحسن، ولكن لا يصل به الحال لدرجة الذل فأحياناً يصفح عمن أساء إليه لأنها من صفات المؤمنين، وأحياناً يكون عليه أن ينتصر لنفسه ليحافظ على مكانته،

---

(١) مسلم٤٤٦.
(٢) النووي / مسلم١٦/ ١٤١.
(٣) الفتح١٠/ ٥٠٣.

ويرهبه أعداء الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى: ٣٩].

الداعية البصير أخلاقه وصفاته ومنهجه :

١- الداعية البصير.. يبدأ بالأهم فالمهم.

٢- الداعية البصير.. لا يتعصب ولا يتحزب ولا ينتمي إلاّ للكتاب والسنة.

٣- الداعية البصير.. يحقق مبدأ الوسطية الحقة.

٤- الداعية البصير.. يحذر أشدَّ الحذر من تصنيف الناس بالظنّ.

٥- الداعية البصير.. يعتني بالقواعد الشرعية في دعوته.

٦- الداعية البصير.. يراعي فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد.

٧- الداعية البصير.. وفِقْهُ إنكارِ المنكر.

٨- الداعية البصير.. يعتني ببيان محاسن الإسلام.

٩- الداعية البصير.. يحذر من مخالفات الكتاب والسنة مسايرةً للواقع.

١٠- الداعية البصير.. يتقن المحاورة وآدابها.

١١- الداعية البصير.. يجمعُ بين القوتين: العلمية والعملية – قدر المستطاع.

١٢- الداعية البصير.. يتثبت دائماً ولا يتعجل.

١٣- الداعية البصير.. وفقه الفتن.

١٤- الداعية البصير.. يتفقدُ قَلْبَهُ.

١٥- الداعية البصير.. لا يستوحش من قلة السالكين.

١٦- الداعية البصير.. يقابل الضعف بالقوة.

١٧- الداعية البصير.. يُفرّق بين مرتكبي المعاصي، وينـزل كلاً منـزلته.

١٨- الداعية البصير.. يستشعر مسؤولية الكلمة ويفكر قبل أن يجيب.

١٩- الداعية البصير.. مبارك أينما كان.

٢٠- الداعية البصير.. لا يشغل نفسه بالآفات ما لم تعترضه.

٢١- الداعية البصير... يُداري ولا يداهن.

٢٢- الداعية البصير.. يتعاهدُ المسلمين بالزيارة والتواصل.

٢٣- الداعية البصير.. لا تفارق الابتسامة والبشاشة وجهه.

٢٤- الداعية البصير.. حليمٌ ذو وَقارٍ وسكينة.

٢٥- الداعية البصير.. رفيقٌ رحيمٌ، وغليظٌ شديدٌ.

٢٦- الداعية البصير.. يكثر من الاستشارة.

٢٧- الداعية البصير.. يستخير الله قبل العمل.

٢٨- الداعية البصير.. يُوطنُ نفسهُ عَلَى البلاءِ ويصبرُ إذا نزلَ بِهِ.

٢٩- الداعية البصير.. يكثر من الدعاء لنفسه بالتوفيق [١].

إنزال الناس منازلهم:

من عوامل نجاح الدعوة أن يُنزل الداعية كل إنسان منزلته، فمن كان من أهل المكانة والوجاهة، أنزله المكانة التي تليق به، ومن كان شيخاً للقبيلة أنزله منزلته، ومن أراد أن يسخر من الناس في دعوته فهو الذي يبوء بالفشل، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه من حديث عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت:" أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم" وفي سنن أبي داود من طريق ميمون بن أبي شبيب أن عائشة – رضي الله عنها – مرّ بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال ﷺ : **«أنزلوا الناس منازلهم»** [٢].

---

(١) الداعية البصير.. للدكتور / علي بن عبد الله الصباح.

(٢) الحديثان مختلف في صحتهما فمن أهل العلم من يقول أنهما منقطعان ومنهم من يقول أنهما متصلان.

وقد كان النبي ﷺ إذا كتب كتاباً إلى ملك أو غيره ينزله منزلته، فمن ذلك مثلاً: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم [(١)]، والشاهد هنا قوله: عظيم الروم، فيجب على الداعية أن ينتبه لهذا الحديث، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ.

صفات الداعية :

- الإخلاص لله والمتابعة (لأشرف الأنبياء والمرسلين).
- العلم والحكمة.
- الحرص على المدعوين والتلطف بهم.
- علو الهمة والتفاؤل دائماً.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- المداومة على الذكر وتعهد النفس بالتربية الربانية.
- التحدث مع الناس بما يعقلون.
- القدوة الحسنة والالتزام والانتهاء عن كل ما نهى عنه وحذر.
- العلم بحال المدعوين.
- المعرفة لما يدعو إليه.
- استحضار الصدق واستشعار المسؤولية والأجر.
- حضور الذهن وصفاء البال واطمئنان النفس واصطحاب الحجة والبرهان.

طريق الدعوة :

- دعوتنا مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ على منهاج سلف الأمة الصالحين.
- الداعية يستضيء بهما ويدعو إليهما ويدافع عنهما ويبذل الغالي والنفيس في خدمتهما.

---

(١) فتح الباري ١/ ٣٢.

- إلى الله ندعو على بصيرة وهدى.
- نعلم ما ندعو إليه ونبين للناس الحق.
- بالقلم واللسان والعلم والمال والقدوة الحسنة تنتشر دعوتنا.
- نغرس مبادئ الإسلام ثم نفصل أحكام شريعتنا الغراء.
- بالترغيب والترهيب والحوار والإقناع والحجة الواضحة نصل إلى القلوب ونوصلها للحق.
- بالرفق واللين والصبر واليقين تنتصر دعوتنا.

قلب الداعية :

- ينبض بالإيمان، ومحبة الرحمن، وطاعة الرسول العدنان، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.
- يتأجج حرقة، ويذوب ألماً، لانتشار الجهل والمعاصي وانحراف المجتمع.
- يتفجر طاقة وجهداً في خدمة الإسلام والمسلمين.
- متعلق بالرحمن، راجٍ هداية الناس إلى طريق الجنان.
- يفرح بانتصار الحق وانتشار النور ويحزن إذا ما أزبد الباطل وأرعد.
- مشرئب بالعلم والنور، متجرد للعزيز الغفور.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى أهدافه وأجل مقاصده.
- محبة الخلق وهدايتهم تحلق في أرجائه.

قلم الداعية :

- بالحق يمضي على صفحات الإخلاص.
- يدعو إلى تعاليم الدين، ويسطر الحكمة والبراهين.
- يدحض المضللين وينافح عن الدعاة المخلصين.

- يبين البدع والضلالات ويحارب المعاصي والمنكرات.
- ينثر الحرف إيماناً ويقيناً، وينظم الشعر إسلاماً مبيناً.
- على كلماته يرفرف التوكل على الله، وبين جنباته يبتغي مرضاة الله.
- مداده محبة الله ورسوله ﷺ، وشعاره الدعوة إلى الله.
- لا يخشى في الله لوم لائم، وفي سبيل الحق ماض ودائم.

دعوى في المحراب :

في المسجد عليك بالخصال التالية :

- كن سباقاً إلى الصف الأول، ومحافظاً على صلاة الجماعة.
- تزين وتجمل للعبادة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].
- حافظ على السنن الرواتب تنل أسمى المراتب.
- التبكير إلى الصلاة استثماراً للوقت بأداء الرواتب وقراءة القرآن والذكر والاستغفار.
- إعمار المساجد شعارهم: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**.
- تعهد المأمومين بالكلمات التوجيهية والمواعظ الإيمانية.
- النشرات الدعوية، وضع الملصقات الإرشادية مع الترتيب والتجديد جمال للمسجد وتوعية للمصلين.
- تعليم الجاهل، وتوجيه الصغير والتلطف مع الكبير شعار المؤمنين.
- احترام المساجد والالتزام بآدابها، نابع من استشعار الوقوف أمام الله تعالى.
- من أعظم عمارة بيوت الله بذل الجهد والمال والعلم : دعوة وتعليماً.

دعوة في رحاب المدرسة :

- البحث عن خشية الله في قلبك ليصدق عليك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

- هنيئاً لمعلم الناس الخير، وأعانه الله على ثقل الأمانة، ونشر ميراث النبوة.
- العلم يصدقه العمل، ولا خير في علم على ورق، إذا لم يشع نوراً في وجهك وتتشبع به روحك وجوارحك.
- القدوة ضالتك، والقيم السامية ثروتك، فلا ثروة بلا قيم ولا تأثير دون أن تكون قدوة.
- خاطب قلوب الطلاب قبل عقولهم، فإذا وقر الحديث في القلب وعاه العقل بيسر وسهولة.
- أدبهم وعلمهم في جو أبوي إيماني تكن معلماً ناجحاً وداعية موفقاً.
- تعرف على مشاكلهم وبادر في حلها، وترفق في مخاطبتهم وإرشادهم.
- كن صادقاً يصدقك تلاميذك، وإياك والكذب فإنه آفة تخدش مكانة العلم وجمال المعلم.
- شجع المتفوقين، وانشر الحماس بين الحاضرين وتجاوز عن المقصرين، وتعهدهم بالتذكير.
- لسانك بالعلم يسمو، فلا يلهجن بسوء أو يمضين بما لا يليق، وأكرم نفسك بالترفع عن سقطات الجاهلين.
- خلق المعلم والطالب دعوة عملية للمعلمين والطلاب.
- أنصت بقلبك، وكن سباقاً للعمل.
- تعاونك مع الأخيار ونشر الإخاء هي الأرض الخصبة للدعوة إلى الله.
- تحلّ بمكارم الأخلاق، واشمخ بإيمانك، واجتهد في دراستك، واستشعر عظم العلم ومكانته.
- اخفض صوتك، وغض من طرفك، واجعل بينك وبين من حولك سمت الاحترام.

- إيـاك والغـش، وحـافظ علـى الانضـباط، وتعهـد درسـك بالمـذاكرة، وزمـلاءك بالنصيحة، ومعلميك بالشكر والامتنان.

الدعوة أسس ومبادئ :

- الحرص على هداية المدعوين ومراعاة أحوالهم من أعظم مبادئ الدعوة.
- التأصيل العلمي والإلمام بالتعاليم الإسلامية المراد إبلاغها.
- التعامل مع المدعوين بما يتناسب مـع مكـانتهم وبيئـتهم (تعليمـاً - تربيـة - حـديثاً ملاطفة - حُجة).
- التجديد والتنويع في الوسائل والإمكانات الدعوية فنحن أحق بتزيين الحق من أهـل الباطل بباطلهم.
- الأقربون أولى بالمعروف، وأسمى المعـروف الـدعوة والتعليـم فابـدأ بمـن تعـول ثـم الأقرب فالأقرب.
- من إتقان الدعوة التنويع والإبداع بشتى الوسـائل المتاحـة بـالقلم واللسـان والـنظم والبيان.
- مراعاة الأولويات الدعوية وخاصة الجوانب العقدية.
- على الداعية البلاغ وعدم استعجال النتـائج ولنـا في الأنبيـاء صـلوات الله وسـلامه عليهم أسوة حسنة.
- الكتـاب والسـنة، وهـدي سـلف الأمـة، وتقـوى الله، زاد الداعيـة، والصـبر بدايـة النجاح.
- الدعوة مهمة المسلمين كافة مصداقاً لقول المصطفى ﷺ : **«بلغوا عني ولو آية»**.

المسلم داعية في بيته :

- قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].
- نادى الرحمن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

- بين الرسول ﷺ : **«كلكم راع وكل راعٍ مسؤول عن رعيته»**.
- المجتمع بيتنا وبيتك، فإذا أصلحنا بيوتنا أشرق المجتمع صلاحاً وإيماناً.
- اغرس التربية الإيمانية في قلوب أبنائك لترى الحصاد عزاً وشموخاً.
- ضع برنامجاً دعوياً في أرجاء البيت، يلحق بالقرآن والحديث والفقه والسيرة والأدب.
- أنت مرآة أبنائك فكن قدوة حسنة لهم.
- من الحلال أطعمهم، وبالدين قومهم وبالعلم جملهم، وإلى مكارم الأخلاق أرشدهم وعلمهم.
- اجعلهم بالدين أعزاء وعلى طريق الحق يمضون، وعلى الله في كل حين يتوكلون.
- كن لهم أباً وأخاً ومعلماً ومربياً، وإياك وتضييع الأمانة، فهم أمانة في عنقك.
- سل عن صلاتهم، وكيف هي هيئتهم، وماذا عن أعمالهم، لتعلم نتيجة التربية وثمرة الجهد.
- بالصدق عاملهم، وبالمحبة وجههم، وبالرأفة واللين تعهدهم، ولا تبخل عليهم بوقتك وجهدك ومالك.
- اجعلهم من رواد حلقات التحفيظ، وأزل الشوك عن طريقهم، وارفع الجهل عنهم، وازرع خشية الله في قلوبهم.
- أدبهم بالقرآن، واجعل قلوبهم معلقة بالجنان، وتعهدهم بسيرة خير الأنام ﷺ والصحب والسلف الكرام.
- احرص على الزوجة أو الزوج المناسب لفلذات أكبادك، فإنه من الأمانة أن تودعهم مكاناً آمناً ومقراً بالإيمان مطمئناً.

- ليكن الاحترام تاجاً على رؤوسهم، ومحبة الناس شعارهم، ومرضاة الله غايتهم، وسنة نبيه ﷺ سبيلهم.

داعية في عمله :

- استشعر رقابة الرحمن:
- ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].
- اعمل بوصية خير الأنام ﷺ : **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»**.
- القوة والأمانة جناحا العمل فحافظ عليهما.
- أرشد العاملين لكل خير، وأخلص في انتشالهم من الخطايا والآثام.
- ترفع عن سقط الكلام، واختر لنفسك صفات الكرام تنل محبة واحتراماً.
- لتكن ليناً في سماحة، قوياً في حكمة، مشفقاً في نصيحة.
- من شيم الكرام التجاوز عن الهفوات، فغض طرفك عن عثراتهم، واعمل على إنقاذهم إلى النور والأمان.
- لا تفارق ابتسامتك محياك، وارفق بالمراجعين عملاً بوصية خير المرسلين ﷺ.
- أفش السلام، وطيب بذكر الله الكلام، وقم بعملك على أكمل وجه وأحسن نظام.
- كتاب وشريط ورسالة، تلج إلى قلوب العاملين، تذلل طريق الدعوة.
- كن مثالياً في سمتك، إيجابياً في عملك، حريصاً على شعور زملائك، باسطاً كف التوجيه والإرشاد للجميع.

حكمة الداعية :

- عمود الدعوة وإحدى ركائزها الأساسية.
- أمر بها الرحمن، وتمثلها عملاً وخلقاً سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.
- هي السحر الحلال، وهي تاج على رؤوس الدعاة، تزين دعوتهم وتحقق أهدافهم.
- تأسر قلوب العصاة، وتعيد الأمل في نفوس المدعوين.

- مصباح الدعوة المضيء، ونهج الكتاب والسنة المشرق.
- أسلم بها الكافر، واسترشد بها الضال، وقويت بها الدعوة وبلغت ذروتها.
- سبيل الأنبياء وزاد الدعاة الأتقياء.
- روح الدعوة وعنوان بقائها.
- مطلب المدعوين وضالتهم التي عنها يبحثون.
- خلق نبيل وحس إسلامي جليل.

لسان الداعية :

- ينطق في مرضاة الله ويلهج بذكر الله.
- يسمو عن كل دان ويرتقي إلى المعاني الحسان.
- نثره حق واضح وشعره نظم المشفق الناصح.
- يدور مع الإسلام حيث دار، يدعو إليه بكل بلاغة واقتدار.
- بالحكمة مزدان، بديع النظم ناصع البرهان.
- باللين يتغلغل هدى ونوراً في قلوب المدعوين.
- إذا حدّث صدق، وبمجامع الكلم نطق.
- تحيط بحروفه صدق النصيحة، ونصيحة المشفق، وإشفاق المخلص وإخلاص الداعية.

لا تنس الدعوة في الطريق والسوق :

- اجعل مسيرك في رضى الرحمن، واقطع الطريق بالذكر والقرآن.
- غذّ قلبك بالإيمان، واستماع الأشرطة من حديث وآيات وآداب.
- سر على بركة الله في تؤدة وهدوء، وإياك والعجلة فإنها من الشيطان. كن قدوة في التزامك بقواعد المرور، فإن فيها السلامة لك واحترام الآخرين.

- ادع إلى الله في كل حين، وقدم التوجيه والشريط الدعوي هدية إلى المقصرين.
- كن على يقظة وانتباه، واتق الله فإن شرود الذهن واللامبالاة بوابة الهلاك.
- اقض حاجتك من الأسواق في عجل، واعلم بأنها شر البقاع إلى الله.
- سبح الرحمن تسبيحاً وكبره تكبيراً، وكن نوراً يضيء السوق بالذكر والإيمان.
- لا تدعن منكراً إلا أنكرته، ولا معروفاً إلا أسديته، بالحكمة والموعظة الحسنة.
- إياك ثم إياك وإطلاق النظر في النساء، واتق الله وغض الطرف فإنك بذلك مـأمور، وعن الحرام منهي ومزجور.
- إماطة الأذى عن الطريق صدقة. فتصدق على نفسك.
- غض البصر وكف الأذى من حق الطريق. فأعط الطريق حقه.
- أفش السلام وشمت العاطس وتمثل بالخلق النبيل.
- كن آمراً بالمعروف وعن المنكر ناهياً ولفضائل الأعمال آتياً.
- أرشد الضال وانصح العاصي وساعد المحتاج.
- لتكن قافلة دعوية تعم بنفعها المجتمع.
- بالحلم والصبر والابتسامة تصل إلى قلوب الآخرين.
- تذكر أن الله معك في كل مكان، فـلا تخطـون إلا إلى خـير، ليكتـب ذلـك في ميـزان حسناتك.
- اجتنب نهي الرحمن: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧]. وفي تجارتك يجب أن تكون داعية.
- **«من غشنا فليس منا»**، فراقب الله يبارك لك في تجارتك.
- رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وسمحاً إذا اشترى.
- النصح لكل مسلم ضعه نصب عينيك.

- القناعة كنـز لا يفنى، وما عند الله خير وأبقى.
- الزكاة نماء لمالك، والصدقة تزيد من أموالك.
- اطلب تجارتك بالكسب الحلال، وإياك أن تتّجر بالحرام، فأيما جسد نبت من سحت فالنار أولى به.
- لا تدعن أحداً بحاجة إلى التوجيه إلا وجهته بحكمة ممزوجة رحمة وأدباً.

الداعية الحي:

إنه الداعية المتحرك في كل صوب، المتقن لدعوتـه في كـل ثـوب، إن كـان في بيتـه فـنعم العائـل والمربـي، فـإن نـزل الشـارع وخـالط النـاس، وسـعهم بدعوتـه، فـإن ركـب وسـيلة مواصلات تناثرت بركات دعوته على من حولـه من الركب، إذا دخل مصلحة لم يخرج منها إلا بغنيمة دعوية، نصيحة يسارّ بها موظفاً، أو موعظـة يسـمعها لسـافرة، أو كلمـة معـروف يذكر بها من يقف معه في الطابور، إنه المبارك في حلّه وترحاله، كالغيث أينما وقع نفع :

فـــلا مُزنـــةً وَدَقـــتْ ودْقَهـــا ::: ولا أرضـــاً أبقلـــت أبقـــالها

قلب عامر وعقل يثابر، تقي حفي، نقيّ أبيّ، نفعه متعدّ، وخـيره عـامّ، يتجـذر هـداه في كلّ أرض أقام فيها، تنداح جحافل وعظه كالسيل العرم، تذهب بكل سدّ منيـع جـاثم علـى قلوب الغافلين، إذا قـالَ أسمـع، وإذا وعـظ أخضـع، دؤوب الخطـو، بـديهيّ التصـرف، إذا اعترضته العوائق نظر إليها شزَراً، وقال: أقبِلـي يـا صـعاب، أو لا تكـوني، محمـديّ الخُلُـق، صدِّيقي الإيمان، عُمَريّ الشكيمة، عثمانيّ الحيـاء، علـويّ الصـلابة، فَضـلي العِـبرة، حنبلـي الإمامة، تيموي الثبات.

إنّ مظهره متناسق مع وظيفته السرمدية، هندام نظيف ومتواضع، وهيئة تقيـة، وإخبـات غير متكلف، إذا رآه الخلق ذكروا الله تعالى.

وهو داعية متعالٍ على السفاسف، إنه لا يساوم الباعة، ويلـحّ في خفـض الأسـعار، ولا يأنف في إماطة الأذى عن الطريق، يبتسم في وجوه الناس أجمعين، ويحفظ حشـمته مـن نـزق الطائشين، وسمود العابثين.

مستعدّ للدعوة في كلّ ميدان، إذا فتّشت حقيبته وجدتها مليئة بالحلوى والكتيبات والهدايا الصغيرة غير المكلفة. يصطحب معه في سيره أشرطة الدعاة والخطباء والوعاظ، بل وأشرطة القرآن الكريم لمشاهير القراء. يحمل معه العطر والطيب دوماً. إنها أسلحة الداعية الحيّ.

يستخدم الحلوى في التعارف، والكتيبات في التأليف والوعظ والإرشاد، والهدايا مع كل دعوة لحضور محاضرة أو خطبة، والأشرطة لتكون البديل عن شريط غناء أقنع صاحبه بهجره، والطيب لإزالة حزازات النفوس، وتوجس الخائفين من مظهر الدعاة.

فإذا ما رأيته أقبلَ بوجهه الضحوك، وسلامه الرونق (ألفيت كل تميمة لا تنفع) لقد وقع القلب في شرَكَ هذا الداعية، واشتبكت القلوب المؤمنة وائتلفت، والتقت العيون والمقل، فإذا أدْمُعُ الخوف من الله تتعرف على نفسها، حتى إذا ما سكب ذلك الداعية الحيّ كلمات الودّ والمحبة في الله، والتقت إرادة الله بالهداية، أبصرتَ الهوى صريعاً في ساحته، والقلب تتهاوى شهواته وغرائزه أمام هذا السيل الدافق من فيض الإيمان والتقى، وكأنك بالشيطان رابض ثم ينادي بالويل والثبور: ويلي ويلي، قد اختطفه فلان الصالح منّي.

يعتمد الداعية الحيّ على كل الإمكانيات المتاحة، ويستغلّ الظروف لصالحه. لا يلعن الظلام، ولكنه يشارك في إيقاد شمعة، إذا قصرت به وسيلة نزل إلى التي دونها، حتى لو لم يجد إلا لسانه أو الإشارة باليدين لاستعملها متوكلاً على الله الهادي إلى صراطٍ مستقيم.

إن الداعية الحيّ يترقّب الفرص، ويسعى إليها ولا ينتظر مجيئها إليه، يباغت المواقف، ولا يكون هو ردّ فعل لها، لا يترك فرصة لِما يسميه الناس الصدف أو الفجأة، بل تراه بدهياً مستعدّاً لكل موقف بما يناسبه.

من سمات الداعية الحيّ : الجدّية، حيث أنه يعمل في صمت، ويؤثر العمل الدؤوب على الثرثرة والتفيّهق، ليس بالمنان ولا بالمعجب، شعاره بعد سماع الأمر من القادة: عُلِمَ وسينفذ إن شاء الله، وإذا سُئِلَ عن تكليف أُنيط به، قال: التنفيذ جارٍ بعون الله، فإذا أتمَّ مهامّه، أبلغ المسؤول في صمت : تَمّ التنفيذ والحمد لله.. إنها الجندية في أرقى صورها.

إن الداعية الحيّ متحرك لدينه، سواء كان مدرساً أو طالباً، مهندساً أو طبيباً، عالِماً أو متعلماً، سائقاً أو راكباً، حالاً أو مرتحلاً، أميراً أو مأموراً، رئيساً أو مرؤوساً، زوجاً كان أو عزباً، فقيراً كان أو غنياً، صحيحاً كان أو سقيماً، مبصراً كان أو أعمى، سليم الأعضاء أو معوقاً، في الشارع أو في البيت أو في الجامعة أو في المدرسة أو في الدكان أو في الحافلة أو في الشارع أو في أي مصلحة حكومية، بلسانه ويده، بنفسه وماله، بكلّه يتحرك للدين وينافح عنه، لسان حاله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]، وشعاره: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكما قال الشيخ سلمان العودة :

وحتى نقيم حجة الله عليهم ونندرهم، لابد من اتباع الوسائل لإقامة الدعوة بالسبل المتاحة وخاصة في الدول الغربية والقرى النائية، ومن هذه الوسائل على سبيل المثال لا الحصر:

الدعوة بالكلمة الهادفة، سواء كانت تلك الكلمة محاضرة أو درساً أو خطبة أو موعظة أو نصيحة شخصية بينك وبين الذي تدعوه، خاصة في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث لا تنصح أحداً أمام الناس وصدق القائل كما قلت من قبل:جنبني الفضيحة عند النصيحة.

فالنصيحة يجب أن تكون بأسلوب سمح ولطيف.

الدعوة بالشريط وذلك يكون مع الذين لا يحبون القراءة، وذلك باختيار الموضوع المناسب لمن تعلق بالدنيا ونسي الآخرة، فنهديه شريطاً يذكره بالآخرة والموت والعقاب، وكذلك يكون بنشر الكتيبات الكثيرة والمطويات وغيرها.

وأحب أن أضيف كما سألت فضيلة الشيخ الدكتور/ سيد السيلي حفظه الله، عندما سألت فضيلته عن موضوع الدعوة في البلاد الغربية فأجاب: بأنه على كل مسلم داعٍ إلى الله غيره من المسلمين بأن يحاول تبليغ دعوة الله في الأرض، كما أمر الله عز وجل،

وكذا كما أمر النبي ﷺ : **«بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...»** [1].

وذلك لمن لم تبلغهم الدعوة ولو بأسلوب بسيط، حتى نحببهم ونعرفهم بمبادئ وأصول هذا الدين العظيم وأنه خاتم وناسخ الأديان، فلا يقبل الله من عبد سوى هذا الدين: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وكذا حكم وجود المسلمين في بلاد الغرب، لابد أن يقوموا بتبليغ الدعوة إلى دين الله عز وجل إلى مَن لم تبلغهم، ولا يجعلون وجودهم في هذه البلاد مجرد حب في الدنيا أو محبة في السكن مع الذين ظلموا أنفسهم.

وكذلك كما تفضل العلماء الأفاضل ألا يكون سبب وجود المسلمين في بلاد الغرب للتكسب وطلباً للرزق فقط، فإن هذا فيه كراهة، والله أعلم.

* * * * *

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء٣٢٠٢.

المبحث الخامس
لماذا نصيد القلوب... ؟

نصيد القلوب : تقرباً إلى الله عز وجل بدعوة الناس وتعليمهم والنفع لهم.. ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

نصيد القلوب : حتى يكون لنا نصيب مما قام به الأنبياء والمرسلون. ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

نصيد القلوب: امتثالاً لأمر الله عز وجل : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

نصيد القلوب : رغبة في الأجر : **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»** (١) نصيد القلوب لنصلح أعمالنا وتغفر زلاتنا. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

نصيد القلوب : رجاء صلاح الذرية : ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء: ٩].

نصيد القلوب : مخافة العذاب : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧].

نصيد القلوب : حتى لا يكثر الشر والفساد... قالت زينب رضي الله عنها للنبي ﷺ : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : **«نعم إذا كثر الخبث»** (٢).

نصيد القلوب : حتى نثقل موازين حسناتنا يوم العرض على الله عز وجل : **«من دعا إلى هدى كان لـه من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»** (٣).

نصيد القلوب : حتى لا تصيبنا اللعنة : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.

نصيد القلوب : شفقة ورحمة : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

نصيد القلوب : حتى نقطع الطريق على أهل الفسق والفجور فهم يعملون ويكيدون: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧].

نصيد القلوب : حتى يصلح حال المجتمع ويكون لأمة الإسلام العز والتمكين: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

نصيد القلوب : حتى تفتح أبوابها وتخرج خبثها فتكون مهيأة لسماع الموعظة والنصيحة، محبة للخير كارهة للشر[1].

إحدى عشرة قاعدة لصيد القلوب:

ثلاث في المدعو.

أربع في الداعي.

وأربع في الوسيلة

١ - في المدعو:

القاعدة الأولى:

ضرورة مراعاة المرحلة العمرية للمدعو: وهذه نقطة هامة نغفل عنها كثيراً، فتجد طريقتنا في الدعوة متشابهةً، لا تراعي من المتحدث إليه، وأخطر هذه المراحل العمرية مرحلة المراهقة - وهي مرحلة المدعو الذي ذكرته يا أخي في استشارتك - وهذه المرحلة بالذات تحتاج لمن يتعامل معها إلى دقةٍ وحرصٍ شديدين، لأن من أبرز سماتها التقلب وعدم الثبات، والإحساس بالذات، ومن يغفل ذلك ممن يتعامل مع المراهقين فلن يصل إلى شيء، فإذا كنت أخي الداعية ممن تتعامل مع هذه المرحلة، فعليك أن تراعي ذلك بشدة، فتترك للمدعو فرصة التعبير عن الذات، وتفتح له مجال الإدلاء برأيه، وإياك ثم إياك أن تستخف بهذا الرأي مهما

---

(١) صائد القلوب للشيخ/ عبد الملك القاسم.

كان سخيفاً وساذجاً، فإنك إن فعلت ذلك أغلقت باب قلبه نحوك، وأضعت المفاتيح، ولن ينفعك شيء بعد ذلك، وليكن الرسول ﷺ قدوتنا في ذلك في الحديث الشهير اللطيف **«أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْر؟»**، فيما روى مسلم وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير قال: أحسبه قال كان فطيماً قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: **«أبا عمير ما فعل النغير؟»** قال فكان يلعب به) فانظر كيف تعامل ﷺ مع أبي عمير هذا الشاب اليافع الصغير، كان دائماً يتودد إليه بسؤاله هذا، والنغير تصغير لنغر وهو طائر، ولعلنا نلمح من صيغة السؤال كيف ترك ﷺ باباً لأبي عمير كي يقول رأيه، وفي هذا مجالٌ لأبي عمير ليعبر عن نفسه ويحقق كيانه، فعلينا نحن الدعاة مراعاة هذه المرحلة العمرية بدقة، ويجب أن نترك أسلوب الإلقاء والإملاء، ونتعامل بطريقة الحوار والمناقشة، أن نستمع إلى رأيهم، أن نفتح لهم باب التعبير عن الرأي وعن الذات، أن نحقق لهم رجولتهم التي بدءوا يحسون بها، وعندها سيسلموننا مفاتيح قلوبهم التي لن تضيع هذه المرة أبداً.

القاعدة الثانية:

ضرورة مراعاة المستوى التعليمي والثقافي للمدعو: ولنا في حديث "أبي عمير والنغير" دليل آخر، فلم يحدثه النبي ﷺ في أول حديثه إليه بقواعد الدين، ومقاصده ومستلزماته، بل بدأ معه بالخطاب الذي يناسب مستواه، ليتقرب منه وليوجد وسائل التواصل والاتصال بينه وبينه، ولذلك فالدعاة مطلوب منهم مراعاة ذلك حتى يصل خطابهم إلى المكان الصحيح والمؤثر والمفيد، ولعل من الطرف التي تروى في ذلك ما حدث مع أحد الدعاة في مصر، حين أراد دعوة مجموعة من الرجال المعروفين بالشدة والقوة (الفتوات)، فلم يحدثهم عن ضرورة العمل للإسلام، وعن المجتمع المسلم والخلافة الإسلامية وما إلى ذلك، وإنما حدثهم عن قوة النبي ﷺ وشجاعته، وأخذ يسرد لهم القصص في ذلك، فما كان من أحد المدعوين إلا أن قال بعفوية شديدة: "اللهم صل على أجدع نبي" - أي على أشجع وأقوى نبي - بهذه الطريقة وصلت إليهم الرسالة واضحة جلية، ثم يبدأ الداعي بعد ذلك في البناء عليها.

القاعدة الثالثة:

ضرورة البحث عن العوائق: فلكل الناس ما يشغلهم ويهمهم، وإن لم يراع الدعاة ذلك فلن يصلوا لشيء، وينبغي أن يجعل الدعاة ذلك من أساسيات واجبهم، أن يتحسسوا أحوال المدعوين، أن يحاولوا معرفة مشاكلهم ومشاغلهم، أن يكونوا صورة واضحة عن ظروفهم وأحوالهم، وإن تسنى لهم مساعدتهم في أمرٍ من ذلك فليقدموا، فإن ذلك أحرى بأن يصلوا إلى قلوب المدعوين، وبالتالي التأثير فيها.

في الداعي:

القاعدة الأولى:

ضرورة البدء بالنفس: يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله: "إذا صلح قلب العبد للحق عز وجل وتمكن من قربه، أُعْطِي المملكة والسلطنة في أقطار الأرض، وسُلِّم إليه نشر الدعوة في الخلق، والصبر على أذاهم، يسلَّم إليه تغيير الباطل وإظهار الحق".

كما يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى: "إن الموعظة إن لم تتأد في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه، وإنه لا يغير النفس إلا النفس التي فيها قوة التحويل والتغيير، كنفوس الأنبياء ومن كان في طريقة روحهم، وإن هذه الصناعة إنما هي وضع البصيرة في الكلام، لا وضع القياس والحجة".

ويؤكد ذلك الأستاذ عبد الوهاب عزام رحمه الله تعالى فيقول: "ولا ينطق بكلمة الحق الخالدة إلا عقل مدرك، وقلب سليم.. إلا قائل يعتد بنفسه ويثق برأيه، فيرسل الكلام أمثالاً سائرة، وبيناتٍ في الحياة باقية، لا يصف وقتاً محدوداً، ولا إنساناً فرداً، ولا حدثاً واحداً، ولكنه يعمّ الأجيال والأعصار، والبلدان والأقطار"، ولن يصل حديثك في قلوب المدعوين إلا بدرجة وصوله إلى قلبك، كما يقول التابعي شهر بن حوشب: "إذا حدَّث الرجلُ القومَ، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه".

هذه هي القضية باختصار، أن تحسن صلتك بربك، أن تقتنع أنت بفكرتك أولاً، أن تكون في نفسك قوة التحويل والتغيير، أن تثق بها لدرجة أن تعتد بنفسك وبرأيك، فتخرج كلماتك من قلبٍ متصلٍ بخالقه، ونفسٍ فيها قوة التحويل والتغيير، وفكرٍ كله اقتناعٌ وثقةٌ، فتُسَلِّم المملكة والسلطنة، ويعمّ خطابك البلدان والأقطار.

القاعدة الثانية:

القدوة: وقد تحدثنا عنها غير مرة، ونعيد الحديث فيها لأهميتها وعِظم دورها، فهي حقاً كما يقول الرافعي رحمه الله: "الأسوة وحدها هي علم الحياة" والدعوة هي الحياة، فالأسوة وحدها هي علم الدعوة، وعلم الدعوة كله هو الأسوة الحسنة، وهذا ما فهمه أسلافنا، فقال الإمام الشافعي رحمه الله: "من وعظ أخاه بفعله كان هادياً"، وكان عبد الواحد بن زياد يقول: "ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء يكون أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم منه"، و"إن العالِم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا" أي قطرة الندى عن الصخرة الملساء، كما يقول مالك بن دينار رحمه الله تعالى.

فانتبه أخي الداعية، فالقدوة مركز حساس خطير، و"إنك إمامٌ منظورٌ إليك" كما قال إمام المدينة يحيى بن سعيد الأنصاري من قبل، ونقول لك اليوم: " إنك داعيةٌ منظورٌ إليك".

القاعدة الثالثة:

العلاقة الشخصية: كثيراً ما نغفل أثناء ممارستنا للدعوة عن تكوين علاقةٍ شخصيةٍ حقيقيةٍ مع المدعو، ولست أعني هنا مجرد وجود العلاقة، وإنما أعني العلاقة الشخصية الحقيقية، التي تنبني أول ما تنبني على المعنى الإنساني الخالص، أن أوجد بيني وبين من أدعوه جسراً من المودة والحب، خيطاً من الاتصال ليس من ورائه غرض، حتى ولو كان هذا الغرض هو الدعوة، وحتى لا يساء فهم كلامي، فلست أعني هنا أن تكوين علاقةٍ مع المدعو بغرض الدعوة أمر سيئ، لا أبداً، إنما ما أقصده تحديداً هو استغراقنا أحياناً كثيرةً في التفكير في تكوين علاقةٍ مع المدعو بهدف الدعوة، فننسى العلاقة الطبيعية، فتجدنا نتصرف دون أن نشعر بطريقةٍ غير مناسبة أو لائقة، فمثلاً لو استجاب المدعو إلينا، وتقدم معنا في البرنامج الدعوي،

فإننا نقلل دون أن نشعر من اهتمامنا به، ونوجه هذا الاهتمام إلى مدعو جديد، بحجة أنه أصبح على الدرب، وكذلك لو وجدنا تقدماً بطيئاً من مدعو آخر، فإننا نقلل من اهتمامنا به لنوجه الاهتمام إلى غيره، وهذا الأمر في الحالتين يؤثر في نفس الشخص المدعو، فلنتذكر دائماً أن العلاقة الشخصية الإنسانية هي الأساس.

القاعدة الرابعة:

التجدد: من أكثر ما يعيق المرء في عمله الدعوى التقليدية والنمطية، فيفقد هو المتعة، ولا يجد المدعو نحوه بريقاً أو جاذبية، فليتنبه الدعاة لذلك، وليبحثوا دائماً عن الجديد، في الثقافة والمعلومة، في الوسيلة والطريقة، في المكان والتوقيت، المهم أن يجد المدعو شيئاً يجذبه إليه، ويشوقه للقائه، ولو تخيلنا أننا أمام جهاز تلفازٍ يعرض أموراً جديدة باستمرار، لوجدنا أنفسنا تنساق إليه دونما وعي بل برغبةٍ وحبٍّ، فليكن الداعية جهاز عرض الخير، ومعرض الإفادة والمتعة والتشويق.

في الوسيلة:

القاعدة الأولى:

استخدم لغة القلوب: يقول الشيخ الكيلاني واصفاً الدعاة: "هم قيام في مقام الدعوة، يدعون الخلق إلى معرفة الحق عز وجل، لا يزالون يدعون القلوب"، نعم هم يدعون القلوب والأرواح لا الأجساد والأبدان، احرص أخي الداعية على ذلك، آمن أنت بفكرتك أولاً، ورسخها في قلبك، ثم اجعل قلبك يخاطب قلوب الخلق، وبهذا تفتح باباً للخير واسعاً.

القاعدة الثانية:

تَلطَّف: وهي قاعدة ذهبية في جذب الناس والتأثير فيهم، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وهذا ما تعلمه ﷺ من ربه جل وعلا، فتراه هيناً ليناً رحيماً ﷺ، والأحاديث في هذا كثيرة، كحديث الأعرابي الذي بال في المسجد، فقال النبي ﷺ : **«لا تزرموه»** ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه رواه البخاري ومسلم، وكحديث "أبي عمير والنغير" والذي نستشف منه كيف كان ﷺ يتلطف مع أصحابه، فتلطف أخي الداعية - يرحمك الله - حتى لا ينفض الناس من حولك، وإياك ثم إياك أن تشعر المدعو أنك عبءٌ عليه، أو ضيفٌ ثقيل الظل، أو تحمله

مشقة التعامل معك، فلا تطرح نفسك أمامه بسببٍ وبدون سبب، ولا تتدخل في علاقته بأصدقائه ما دام هو لم يستشرك فيها، كن رجلاً رقيقاً لطيفاً، تستخرج كلاماً من بحرٍ عميقٍ بالإيمان والحب والعلم، وتنطقه بلسانٍ رفيق هين، كما وصف يحيى بن معاذ رحمه الله أساليب الدعوة فقال: "أحسن شيء - أي في الدعوة - كلام رقيق، يُستخرَج من بحرٍ عميق، على لسان رجلٍ رفيق".

القاعدة الثالثة:

حدِّث الناس بما يريدون: دعني هنا أضرب لك مثلاً لأوضح ما أقصد: أنا أحب أكل الأرز ولا أحب أكل الديدان.. وأريد اصطياد السمك، فهل أضع للسمك الأرز أم الديدان؟ هل وضحت الفكرة؟ تريد اصطياد السمك ضع له ما يحبه هو لا ما تحبه أنت، فإنني إن وضعتُ للسمك الأرز الذي أُحبُّه فلن أصطاد سمكة واحدة، ولكن إن وضعتُ لهم الديدان التي لا آكلها، فسيأتيني السمك من كل حدب وصوب.

فخاطب الناس أخي الداعية بما يحبون لا بما تحب أنت، بما في عقولهم لا بما في رأسك، وليس معنى هذا أن تترك مهمتك العليا أو أن تتنازل عنها، ولكن كن حصيفاً لبيباً، تصل إلى ما تريد من خلال ما يحبون ويرغبون، كما فعل نبيك ﷺ في الحديث المعاد ذكره هنا؛ حديث "أبي عمير والنغير" حين خاطب أبا عمير فيما يحب ويرغب، تأليفاً لقلبه وإشعاراً له بأنه ﷺ مهتمٌّ بما يهتم به هذا الفتى الصغير مهما بدت اهتماماته صغيرةً أو تافهةً، فافعل ذلك أخي الداعية تختصر الطريق وتنال المراد.

القاعدة الرابعة:

راعِ الأولويات: على الداعية أن يراعي الأولويات في دعوته، فليس من الطبيعي أن أبدأ في بناء الدور الخامس مثلاً دون أن أبني أساس البناية، كما أنه ليس من المعقول أو المقبول أن أحدث غير المسلم في وجوب الصلاة والصيام عليه! إننا - في ظل انشغالنا بالدعوة - كثيراً ما ننسى هذه الأمور رغم بساطتها وبداهيتها، فعلى الداعية أن يحدد أولوياته في دعوة كل إنسانٍ على حدة، ما هي الأمور الأساسية التي لا بد منها، ولا يمكن التنازل عنها، ثم يبدأ في التدرج معه خطوةً خطوة،

فغير المسلم أبدأ معه بالإيمان بالله، والمسلم العاصي أبدأ معه بالطاعات المفروضة، والمسلم الملتزم بالفرائض أبدأ معه في النوافل والفضائل، وهكذا كلٌ حسب مستواه من الالتزام والإيمان.

* * * * *

المبحث السادس
الحلم يا معشر الدعاة

فلقد جاءت شريعة الإسلام بمنهج واف للحياة يلم شعثها ويصلح ما فسد منها ويقوم ما اعوج من سبلها فلا يوجد خير إلا ودل الإسلام عليه ولا يوجد شر إلا وحذر الإسلام منه فلله الحمد والشكر على ما امتن به على عباده.

وإن من جوانب الحياة المهمة التي شملها هذا الدين العظيم وحرص على تقويتها جانب مهم ألا وهو جانب الأخلاق، فلقد جاء نبينا متمماً لصالح الأخلاق " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ".

ولقد تظاهرت النصوص الشرعية الدالة على أهمية الأخلاق وأن الخلق محصلة من محصلات التدين ومن لم يكن ذا دين فلن ينفعه خلقه عند الله عز وجل شيئاً يقول الله عز وجل واصفاً نبينا محمدا ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية (لعلى دين عظيم، لا دين أحب إلي، ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام)، وفي الصحيحين أن هشام بن حكيم سأل عائشة رضي الله عنهما عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : كان خُلُقه القرآن[1].

نعم خلقه القرآن، فهو إذاً خلق تدين وعبادة وخشوع وإخبات لله رب العالمين محركه حب الله ووقوده طاعة الله وماء حياته الرصيد الهائل من التقرب إلى الله والاعتصام بحبله المتين وصراطه المستبين، وهو خلق ينبع من القرآن عنه يصدر وإليه يأرز ورايته المرفوعة وعلامته الموسومة الاحتساب وابتغاء ما عند الله عز وجل والدار الآخرة.

وإن من الأخلاق العظيمة التي حث الشرع المطهر عليها خلق الحلم، والحلم بالكسر معناه كما قال صاحب القاموس المحيط هو " الأناة والعقل" وجمعه أحلام وحلوم ومنه الرجل الحليم والحليم يجمع على حلماء وأحلام.

وأما معناه الاصطلاحي فهو : ضبط النفس عند الغضب، وكفها عن مقابلة الإساءة بمثلها وإلزام هذه النفس حال غضبها بحكم الإسلام.

---

(١) صحيح الجامع برقم٤٦٨٧ المجلد٣ – ٤.

لقد أثنى نبينا ﷺ على أشج عبد القيس بقوله : **«إن فيك خلتين يحبهما الله»**، قلت : وما هما يارسول الله ؟ قال : **«الحلم والأناة.......»** [1] الله أكبر الحلم من الخصال التي يحبها الله فهل استشعرنا هذا المعنى حال هجوم سورة الغضب علينا ؟ هل نستشعر أن هذه الخلة من محبوبات الله عز وجل فيحملنا ذلك الشعور على الصبر الجميل والحلم العظيم ونحن نقول بلسان الحال والمقال : " سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير".

وصف شريف ورداء نظيف يلبسه الله لمن يشاء من أوليائه الذين لا يرتدونه إلا احتساباً ولا يرتدونه رياءً وسمعة وخيلاءً، فهذا نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام استحق وصف الحليم: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود: ٧٥]، ولقد بعث الله له من ذريته غلاماً حليماً ونبياً كريماً إنه إسماعيل عليه السلام : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات: ١٠١]، ونبينا محمد ﷺ سيد الحنفاء والحلماء قال عنه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، وقد قال الله عز وجل موصيا نبيه عليه الصلاة والسلام ومربياً الأمة على هذا الخلق: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ويقول سبحانه مثنياً على أصحاب هذا الخلق النبيل:

﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

إنها معالم نورانية للسالكين وبراهين ربانية لشحذ همم السائرين ترشدهم إلى الخلق الذي يستوعبون به الناس لينقلوهم من ضيق النفوس إلى سعة القلوب والصدور، وإن من أحوج الناس لتلمس تلك الدلالات والمعاني الذين يتصدون لدعوة الناس " فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " والنبي ﷺ خالط الناس في دعوته بالاحتساب والصبر والحلم والأناة ولم يخالطهم بالفظاظة والغلظة والقسوة والغضب وصدق الله: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وحياته ﷺ وسيرته العطرة دليل الصدق على سمو نفسه عليه الصلاة والسلام فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية،

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد.

فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عـاتق رسـول الله ﷺ قـد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته. ثم قال : يا محمد، مر لي من مـال الله الـذي عنـدك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم أمـر لــه بعطـاء "[1] موقـف رهيـب، وحلـم عجيـب، وبهـاء وروعة، وسمو وتواضع، وحنو مصدره إيمان وحلم يزين جبين الرحمة المهـداة والمنـة المسـداة لهذه البشرية الحائرة التي كانت قبل محمد ﷺ لا تعرف ما معنى الرحمة ولا مـا معنـى الخلـق. بالله عليكم يا أحبابنا لو كانت هذه المعاني مستحضرة في واقعنا وواقع تعاملنـا مـع عبـاد الله عز وجل كيف سيكون حال دعوتنا ؟ كيف لو استحضر المعلم هذا المعنى مـع طلابـه ورواد درسه؟ وكيف لو استحضرت المعلمة ذلك مع طالباتها ؟ وكيف لـو تأمـل الداعيـة والمربـي والشيخ والعالم في هذا الموقف من النبي ﷺ وتمثله أصحاب الرسالات والدعوات في حياتهم، كيف سيكون حال الناس ؟إن الشعور النبوي الكريم والشفقة على الخلق قـد فاضـت حتـى انطبعت في قلوب أتباعه وأصحابه حباً وتضحية يفوق وصف الواصفين وقبولاً مـا لـه نظـير وكيف لا يكون الأمر كذلك وهو الرحمة التي أنقذ الله بها البشرية من غول التيه والحيرة.

يا معشر الدعاة يا معشر المربين يا معشر العلماء والفضلاء والنبلاء الحلم الحلـم فـإنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فلتسعوهم بأخلاقكم[2]، وفي الحديث الصحيح يقـول الـنبي ﷺ : **«اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهـم فارفق به»** [3].

فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك ولا تشـقّ علـى النـاس ولا تنفـرهم مـن الـدين بغلظتك وجهلك، ولا بأسلوبك العنيـف المـؤذي الضـار، عليـك أن تكـون حليمـاً صـبوراً، سلس القياد، لين الكلام، طيب الكلام؛ حتى تؤثر في قلـب أخيـك المسـلم، وحتـى تـؤثر في قلب المدعو ويأنس لدعوتك ويتأثر بها ويثني عليها ويشكرك عليها، أما العنف فهـو منفـر لا مقرب ومفرق لا جامع.

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس.
(٢) صائد القلوب للشيخ/ عبد الملك القاسم.
(٣) صحيح مسلم كتاب الإمارة ٣٤٠٧.

ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي – بل يجب – أن يكون عليها الداعية:

العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينه عن شيء ثم يرتكبه؛ هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك.

قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ ﴾ [الصف: ٢].

ولله در القائل:

لا تنه عن خلق وتأت مثله ::: عيب عليك إن فعلت عظيم

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقطاب بطنه**[١] **فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى**[٢] **فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنه عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**»[٣]، هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم خالف فعله قوله وقوله فعله نعوذ بالله من ذلك.

والواجب على الداعي إلى الله أن يدعو إلى الله ويرحم الناس ويكون دعاؤه بالهداية والتوفيق والقبول وكذلك الصبر على الأذى، قال النبي ﷺ لما قيل عن دَوْس: إنهم عصوا، قال: «**اللهم اهد دوسا واهد بهم**».

هكذا كانت أخلاق النبي ﷺ في الدعوة؛ بالدعاء بالهداية والتوفيق وقول الحق والصبر والمصابرة في ذلك.

* * * * *

---

(١) أمعاؤه وأحشاؤه.

(٢) آلة تطحن الحبوب.

(٣) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ٥٣٠٥.

المبحث السابع
فن العتاب وفقه الخطاب

هناك ألوان كثيرة وفنون شتى للتحاور والتفاهم بين الناس، كما قال تعالى لموسى وهارون فى مخاطبة فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤]. فاللين وسيلة من وسائل الخطاب بين الناس للوصول إلى الهدف المنشود من الإقناع وغيره من مقاصد التحاور.

وهناك الشدة ورغم كونها على النقيض من اللين إلا أن لها مواضع لا بد منها، ولها ثمار ليست بمعزل عنها، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التحريم: ٩].

وقال الشاعر[1]:

إذا أَنـــتَ أَكرَمـــتَ الكَـــريمَ مَلَكتَـــهُ ::: وَإِن أَنـــتَ أَكرَمـــتَ اللَئـــيمَ تَمَـــرَّدا
وَوَضعُ النَدى في مَوضِعِ السَيفِ بِـــالعُلا ::: مُضِرٌّ كَوَضعِ السَيفِ في مَوضِعِ النَـــدى

وهناك العتاب وهو فنٌّ ولونٌ من ألوان الخطاب يختص بالمتحابين وأصحاب العلاقات المترابطة والوشائج القوية، وقد يكون من الخطورة بمكان إن لم يُستخدم على الوجه الأمثل، ويُوضع فى موضعه اللائق به.

ولقد تعلم النبى ﷺ من ربه - تبارك وتعالى - فقه العتاب حيث كان القرآن ينزل بالعتاب من الله - تبارك وتعالى - لخليله ومصطفاه سيد البشر ﷺ ليوجهه إلى الأمثل والأوفق والأرفق والأحسن من السياسات والقرارات، عندما يفعل النبي ﷺ ما يكون خلاف الأولى.

فمن ذلك أن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وقد أسلم قديمًا جاء إلى النبي ﷺ وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم.

---

(١) المتنبي ٣٠٣ - ٣٥٤هـ أبو الطيب الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب العربي.

فقال عبد الله: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك مرارًا وألح عليه وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك؛ ليتمكن من مخاطبة الرهط طمعًا ورغبة في هدايتهم، وعبد الله لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزل قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [عبس: ١ - ١٠]، فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه: **«مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيْهِ رَبِّي»** [(١)].

قال العلماء: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالمًا بأن النبي ﷺ مشغولٌ بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله - تبارك وتعالى - عاتبه؛ حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء والمساكين؛ وما فعله النبي ﷺ كان نوعًا من المصلحة؛ لأنه بإسلام هؤلاء القوم تُسلم القبيلة كلها، إلا أن الله - تبارك وتعالى - وجهه إلى الأولى والأحسن وهو أن النظر إلى المؤمن وإن كان فقيرًا أصلح وأولى من الإقبال على الأغنياء طمعًا في إيمانهم.

فانظر إلى العتاب الرقيق فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ ﴾ [عبس: ١]، بضمير الغيبة، تعظيمًا وإجلالاً له ﷺ ولم يقل: عبست وتوليت بلفظ المخاطب، لإيهام أن من صدر عنه هذا الفعل ليس هو ﷺ، والسامع لهذه الآيات للمرة الأولى لا يعلم من هو المقصود بها، وإن علم فليس في الأسلوب شدة أو نقمة إنما توجيه للأحسن والأصوب، كما أن في التعبير بضمير المخاطب فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [عبس: ٣]، الإيناس بعد الإيحاش، والإقبال بعد توهم الإعراض.

وهكذا يكون العتاب الرقيق باستخدم الألفاظ الرقيقة التى لا تؤثر سلبًا على نفس سامعها بحيث ينسى أنه عتاب ويتحول إلى مُدافعٍ ومجادلٍ عن موقفه لِيُثْبِتُ أنه على صواب، ولا يؤتي العتاب - في تلك الحالة - ثمرته المرجوة.

ومن ذلك أيضًا عن ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قال: لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى في بدر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: **«مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى»** فَقَالَ أَبو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ

---

(١) تفسير القرطبي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا تَرَى يَا بْنَ الْخَطَّابِ قُلْتُ لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»** شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ [1]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

فالنبي ﷺ فى هذا الموقف آثر السلامة، وهو رأي كثير من أصحابه، ولكن الله – تبارك وتعالى – أرشده إلى الأولى من ذلك وهو الشدة فى هذا الموقف؛ لأن هؤلاء هم صناديد الكفر وكبار أهل الضلال، فالأولى معهم القتل والتنكيل بدلاً من العفو والصفح خاصة والدعوة في بداياتها وتحتاج إلى أن تظهر بمظهر القوة بين قبائل العرب، وكان هذا هدفًا لا يعدله المال، ولذا سُمي هذا اليوم بيوم الفرقان لعظمته فى تاريخ الدعوة.

فعاتبه الله بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ [الأنفال: ٦٧] فالخطاب ليس موجهًا مباشرة إلى رسولنا ﷺ ولكنَّ المعنى: لا يحق لأي نبي مهما كان أن يكون فى هذا الموقف وعنده أئمة الكفر الذين حاربوه وأخرجوه ومكروا به وأرادوا قتله أن يعفو عنهم.

وهكذا يكون العتاب الرقيق الذى لا يوجه مباشرة إلى الملوم؛ حتى لا يتشاغل بالدفاع عن نفسه، وينسى فى ظل الجو شديد السخونة أن يتعلم ويفهم المراد من التوجيهات السديدة، والنصائح الرشيدة، ويفهم عن اقتناع ورضا نفس أن الأولى هو فعل ما يرشد إليه العاتب.

(١) رواه مسلم.

ولقد تعلم النبي ﷺ أيضًا فقه العتاب وفنه من أحاديث ومواقف الأنبياء التي قصها الله تبارك وتعالى عليه، وأعلمه بها فمن ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً»** (١).

عاتب الله تبارك وتعالى هذا النبي الذي يقال: إنه العُزَيْر، بأنه قتل جماعة النمل لأنه لُدغ من واحدة فقط، فاستدعى الله انتباهه وقال له: (فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً).

والناظر لقوله تعالى: (فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً) يجد أنها لطيفة موجهة لما هو أرفق بهذا النبي؛ حيث إن الموقف لا يستدعي الشدة فالخطب يسير، وأمة النمل مهما بلغت لا تملك من أمرها شيئًا.

وعلى هذا المنوال من الأدب الجم والفقه العميق لفن العتاب تعامل النبى ﷺ مع أصحابه فى المواقف التى تحتاج إلى ذلك، وتوجيههم إلى ما هو أصلح وأولى فكان ﷺ بذلك يهذب أصحابه ولا يلجئهم إلى الدفاع عن أنفسهم بل يلفت انتباههم إلى العبرة والعظة من العتاب.

ولقد حرص ﷺ أن تكون الصيغ والكلمات معبرة وموحية بالحب والعطف والشفقة على محدثه؛ لتنفذ هذه النصائح والكلمات إلى قلبه فيتأثر بها ويعمل بمقتضاها.

فمن ذلك ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا [بعد غزوة حنين] فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ: **«فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلاَّ امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ: **«فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ»** قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ

---

(١) رواه البخاري ٣٣١٩، مسلم ٢٢٤١، أبو داود ٢٥٦٥، النسائي ٤٣٥٨، ابن ماجة ٣٢٢٥.

فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لـه أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»** قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ: **«أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟»** قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ: **«أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ»** قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقْنَا.

في هذا الموقف المؤثر كان النبي ﷺ يستطيع أن يقول: أنا رسول الله؛ ويجب عليكم طاعتي فاسمعوا وأطيعوا، ولكنه ﷺ لم يفعل بل هذبهم بعتابه الرقيق الذي ما سمعه أحد من أهل القلوب الرقيقة إلا بكى مع بكاء الأنصار، وفهم العبرة والعظة المستهدفة في جو هادئ لهذا المقام، وهي أنه ترك الأنصار لإيمانهم وتقواهم، وتألف أناسًا سوف يكونون بعد ذلك حماة الإسلام وحصنه.

وأرسل ﷺ يومًا أحد صحابته عاملاً على الصدقة فجاء حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي لي، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن صعد المنبر عشية بعد الصلاة وقال: **«أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَهَلاَّ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لـه أَمْ لا....»** [1].

---

(١) رواه البخاري ٦٦٣٦، مسلم ١٨٣٢، أبو داود ٢٩٤٦.

ورأى رجلاً آخر يغتسل فى مكان فسيح بلا إزار، ولا يستتر عن أعين الناس فصعد ﷺ المنبر وقـال: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ؛ يُحِبُّ الْحَيَـاءَ وَالسَّـتْرَ، فَـإِذَا اغْتَسَـلَ أَحَـدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»**[(1)].

وغيرها من المواقف التى تدل على أن النبي ﷺ لا يُعَرِّضُ باسم أحد من صحابته بل يقول: **«ما بال أقوام يفعلون كذا»، «إذا فعل أحدكم كذا»** يعاتبهم بأسلوب مهذب رقيق ليس فيه تجريح للمشاعر ولا غض من قيمة الشخص الذي اقترف خطأ، فكان ﷺ مثلاً حيًّا للصحابة فى فقه التعامل مع الناس. بل كان يتعامل مع أهله - أعني زوجاته - بهذا الفقه فمن ذلك ما قصه ربنا تبارك وتعالى فى سورة التحريم حيث قال: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التحريم: ٣].

أي أن النبي ﷺ استكتم حفصة سرًا بتحريم العسل على نفسـه (وأن أبـاك وأبـا عائشـة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي)[(2)]؛ فذكرته حفصـة لعائشـة فـأظهره الله عليـه، فعـرف بعضه وأعرض عن بعض.

أي: قال لها: إن الله أوحى إليَّ ما أَفْشَيْتِ من السر فى تحـريم العسـل، وأنـك أخـبرت عائشة بذلك، وأعرض عن قولـه: (إن أباك وأباها يكونان خليفتي على أمتي من بعدي).

وهذا التغاضي عن كثير من أخطاء الأحبة والمقربين من شيم الكـرام الأخيـار الـذين لا يلومون أحبابهم على كل ما يفعلون أو يأتون مـن أخطـاء ولكـن يكفـي التعـريض ببعضـها والكف عن البعض الآخر.

ويُعَدُّ هذا من قمة فقه العتاب وفنه بمكان، لا يصل إليـه إلا مـن تـأدب بـآداب القـرآن وتعلم من النبي العدنان ﷺ.

قال الحسن: ما استقصى كريم قط.

وقال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام.

---

(١) رواه أبو داود ٤٠١٢، النسائي ٤٠٦، صحيح الجامع ١٧٥٦.

(٢) رواه الدارقطني في سننه عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وعلى هذا يجب علينا أن نتعلم من النبي ﷺ الأساليب اللطيفة فى العتاب والمحاورة الرقيقة التي تجعل المعاتَب لا يخرج عن حب معاتبه، ولا يجنح إلى الإعراض عنه بل يسمع ويطيع لأن معاتبه لا يبغي إلا صلاحه وكماله سواء فى الفعل أو القول.

أما إذا تخطى الأمر الحدود، وتعدى الحرمات فهنا يقف النبي ﷺ زاجرًا آمرًا ناهيًا بشدة، ولا مجال للعتاب فى هذه اللحظة إلا الزجر والهجر، فعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِزَيْنَبَ: **« أَعْطِيهَا بَعِيرًا»** فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ[(١)].

وما قاله ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة حين أرد أن يشفع فى المرأة المخزومية التى سرقت ويريد زيدٌ أن لا تقطع يدها فغضب ﷺ من الحب ابن الحب وقال له بلهجة شديدة: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ»** ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»** [(٢)].

هذه بعض المواقف من حياته ﷺ لعلنا نعتبر بها فى عصر الجفاء والغلظة علها أن تُبِّرد أكبادنا وتطفئ نار قلوبنا وتهدئ من روعنا.

* * * * *

(١) رواه أبو داود ٤٦٠٢، حسنه الألباني فى صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٣٥.

(٢) رواه البخاري ٣٤٧٥، مسلم ١٦٨٨، أبو داود ٤٣٧٣، الترمذي ١٤٣٠، النسائي ٤٨٩٥، ابن ماجة ٢٥٤٧.

المبحث الثامن
الشخصية الدعوية المؤثرة

يحتاج المجتمع المسلم دائماً إلى شخصيات متوازنة ذات قيمة فعلية تأخذ بيده وتؤثر فيه وتقوده نحو تحقيق ذاته وإثبات أثره الإيجابي المرجو، كما تحتاج الأمة دوماً إلى تلك الشخصيات الإسلامية الدعوية المؤثرة لتقويم مسار أفرادها وتحديد الأطر التطبيقية للعمل التنفيذي الخاص بالدعوة والحركة الإسلاميتين.

ومن ثم كان الاهتمام بتخريج دفعات متتابعة من الدعاة ذوي الشخصيات المتميزة والمؤثرة واجباً هاماً على عاتق العمل الإسلامي وقائديه.

١ - الدافعية للتأثير:

الدافعية للتأثير شرط هام في التأثير في الآخرين، فالداعية الذي يريد ترك الأثر الحسن في الناس، ويريد دعوتهم إلى الله إرادة حازمة عازمة هو الذي يعتبر قد ابتدأ أولى الخطوات في هذا السبيل، أما الذي لم تتكون عنده الدوافع للتأثير فلن يؤثر.

والدافع هنا هو المحرك الأول للاهتمام بالآخرين، ولذلك فإن النبي ﷺ قد علمنا أن نربي الناس بإيقاظ الدوافع الطيبة فيهم بطرق مختلفة، فمن ذلك قوله - ﷺ : **«لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»** [١]، فهو حديث واضح في إنشاء الدافعية لدى الشخصية الإسلامية نحو التأثير في الآخرين وتغييرهم إلى الهداية والصلاح، وكذلك قوله ﷺ : **«نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحدث بها»** [٢]، يدعو له بالنضرة والصلاح،

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجاه في الصحيحين.

فهـذا أيضـا واضـح في بثـه ﷺ الـدوافع الإيمانيـة في الـدعاة إلى الله أن يحـدثوا بحديثه ويعلموا بعلمه، وكذلك قوله - ﷺ : **«مـن سـن في الإسـلام سـنة حسـنة فلـه أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة..»** [1]..

٢ - ثلاثة مداخل للتأثير في الشخصية:

هناك ثلاثة مداخل للتأثير في الناس: (الأمن والإنجاز والحب)، ثلاثة مداخل مهمة تستطيع من خلالها غزو شخصية الآخر للوصول إلى التأثير فيه وتوجيهه، فأما الأول فهو الأمن، وأقصد به أن يأمن الآخر أن السلوك الذي تدفعه إليه آمن غير ضار نافع غير مفسد، وليس المقصود هنا هو الأمن على المصالح الشخصية فحسب، بل يتعدى الأمر إلى أكبر من هذا إلى الأمن على المستقبل والمآل والمنتهى، كما يتعدى إلى أمن الحرام وأمن البعد عن اللعنة الإلهية والأمن من غضب الرب - سبحانه - قال الله - تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالأمن هنا هو أمن المآل والرحمة والأمن من العذاب والسخط، وقد جعل - سبحانه - بيته بيتاً آمناً: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، بل إنه من أراد فيه بسوء عوقب ولو لم يبتدئ تنفيذ عزمه ونيته الفاسدة، قال - تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

ويشبه العلماء الأمن للإنسان كالتربة الصالحة وهو هنا تربة نفسية تفتح باب القبول للشخصية الداعية، وقد علمنا رسول الله ﷺ ذلك كثيراً في أحاديثه فمنه قوله ﷺ من قال: **«لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه إلا بحق الإسلام»**.

كذلك فالإنجاز مدخل مهم للنفوس فالداعية إلى الله سبحانه لابد وأن يشعر الآخرين بالإنجاز فإننا لو شبهنا الأمن بالتربة الصالحة فإن الإنجاز هو ذلك الماء الذي يروي هذه التربة ويبث فيها الرونق والانتعاش ويظهر فيها علامات الحياة،

---

(١) أخرجه مسلم.

ولذلك كان رسول الله ﷺ يربى الناس على إشعارهم بالإنجاز والتميز والتقدم فيقول لهم ﷺ : **«مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به أجر لا أقول آلم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف»** [(١)]، فهو يعلمك أنك تنجر كثيراً جداً وتحصل كثيراً جداً بقراءتك أكثر مما تتصور، حتى الذين لم يحسنوا القراءة بعد، يقول لهم ﷺ : **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران»** [(٢)] فهو يعلمك أنك منجز على كل حال ولن يمنعك تعلمك أن تحصل الثواب الكبير والعميم فأنت منجز على كل حال، ويقول ﷺ : **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته سراء صبر فكان خيراً له»** [(٣)]، فهو يعلمه أنه منجز على كل حال ومحصل للثواب على كل حال، وهذا الشعور يبث في المدعو الثقة ويدفعه نحو العمل ونحو التطبيق للتوجيه الذي تعلمه.

كذلك فإن الحب مدخل هام جداً من مداخل الشخصية: فأنت يا أيها الداعية إذا أردت التأثير في الناس فدعهم يحبونك أولاً، ثم بعد ذلك مرهم فيعملوا، فالحب يرقق القلوب ويقربها إلى الداعية قال الله – تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهو بيان رباني إذن للنبي ﷺ أن يجد الطريق إلى القلوب برقة ورحمة ومحبة وتسامح وعفو، قال الله – تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وانظر إلى الداعية المحبوب كيف يجد طريقه إلى التأثير في الناس وفي قلوبهم بمنتهى اليسر والبساطة وانظر إلى الآخر الذي يريد إجبار الناس على التأثر بكلماته وهو منفر غليظ عبوس متكلف معجب بنفسه وبعمله، مستقل عمل الآخرين وطاعاتهم.. لكم يخسر هذا.. لكم يخسر!!

(١) أخرجه البخاري.

(٢) اخرجه البخاري.

(٣) أخرجه مسلم.

٣ - قانونان للتأثير في الآخرين:

هناك قانونان للتأثير في الآخرين قد أثبتت التجارب والاستقصاءات صحتهما وهما: الأول (من الباطن إلى الظاهر)، والثاني هو: (من العالي إلى المنخفض)..

فأما القانون الأول: وهو يعني أن عمليات التأثير والتأثر تخضع لوجود علاقة بين ما هو ظاهر في شعورك وما هو باطن داخلك وأن تقليد الباطن متقدم على تقليد الظاهر وبمعنى آخر، فإننا حينما نتأثر نبدأ بتقليد الأفكار والآراء والتشبع بها قبل تقليد السلوك ذاته، فالأمم التي تقلد الأمم الغربية في سلوكها مثلاً وملابسها وطريقة حياتها لا تقلدها إلا بعد اتصالها بها بشيء من الأمور المعنوية والتأثر بها فكرياً، ومن خلال التأثير في مبادئها واعتناق كثير من تصوراتها، لذلك فإنك تجد أن الشباب المسلم الذي يقلد الغرب في أحواله الظاهرة هو شباب قليل العلم بعيد عن الجادة الإسلامية قد تأثر قلبه بمبادئ الغرب وقيمه، وعلى الجانب الآخر فإنك تجد أن الشباب المسلم المتميز والفخور بقيمه والبعيد عن تأثر الغرب غير لهوف في تقليده في مظاهر الحياة، ومن هنا كان على الدعاة بث معنى العزة والتميز للمسلم ولمبادئه وقيمه وثوابته فإنها إن ثبتت في القلب صار آمناً من السقوط في هوة التقليد الأعمى..

ونجد هنا أن النبي ﷺ قد أدرك هذه الحقيقة تمام الإدراك ووجه الدعاة إلى الله إليها بكل جلاء ووضوح، فهو يوجههم نحو طهارة الباطن قبل طهارة الظاهر ويوجههم إلى ابتغاء وجه الله تعالى من عملهم الدعوى وليس ابتغاء وجه الناس، حتى إذا تأثر الناس بهم تأثروا بطهارة باطنهم ونقاوة سريرتهم وشفافية شخصياتهم وسبحان الله فإن الداعية الذي اتصف بذلك لهو الداعية الذي تجتمع الناس حوله ويتأثرون بقوله وفعله، بل كان النبي ﷺ يحذرهم من الذين يعاملون الناس بوجه ظاهره حسن وقلوبهم خبيثة منكرة، فقال ﷺ فيما رواه مسلم: **«إن من أهل النار من تندلق أقتاب بطنه يدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع إليه أهل النار فيقولون له: يا فلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»**، فهذا لا أثر لفعله في الناس إذ أن فعله الظاهر قد خرج من باطن خبيث فكان مآله كباطنه ولم ينفعه ظاهره شيئاً.

وهنا سقطة قد يقع فيها الدعاة إلى الله فهو قد يجد قبولاً عند الناس فيعبرون له عن محبتهم له بالهبات والخدمات والدعوات وقبول الداعية لمثل ذلك يحط من دعوته في أنظار الناس فيهون عليهم ويصبح الداعية مرغوباً عنه، والصادقون من الدعاة إلى الله يعطون ولا يأخذون وهم أصحاب الأيدي العالية والنفوس الكبيرة يقول الماوردي: "والمروءة هي حلية النفوس وزينة الهمم ولا تكون المروءة إلا بالعفة والنزاهة والصيانة والعفة البعد عن المحارم والمآثم والنزاهة البعد عن المطامع الذاتية والمواقف المريبة وأما الصيانة فتكون بصيانة النفس عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانة بالخلق" أدب الدنيا والدين.

وأما القانون الثاني: فهو أن التأثر إنما يكون من العالي إلى المنخفض وهو يشير إلى أن التأثر غالباً ما يكون من الشخص ذي القيمة والمقدار والعلم والخبرة، في الآخر الذي هو أقل، سواء كان ما يؤثر به معنوياً أو مادياً، وينطبق هذا القانون على تقليد الصغير للكبير وتقليد الضعيف للقوى وتقليد الفقير للغني والتلميذ للأستاذ والتاجر الصغير للتاجر الكبير فمن هنا حرص الإسلام على عدة جوانب هامة في فن التأثير في الآخرين، فقد حرص على أن يتمتع الدعاة إلى الله بالعلم وأمر بالعلم حتى يؤثر الداعية في غيره فلابد أن يعلوه بالعلم الذي يعلمه إياه أما الداعية إن كان جاهلاً فلن يستطيع التأثير في غيره، كما حرص الإسلام على تميز الداعية بالصبر والثبات إذ أن الناس يفتقدون الصبر والثبات في بداية طريقهم وصبر الداعية وثباته له أكبر الأثر في غيره ليقتدوا به، كذلك حرص الإسلام على تميز الداعية بالورع والقرب إلى الله سبحانه وجعله له ركناً ركيناً يستند عليه، وقد يعلم الداعية بإيمانه ويقينه وورعه من فاقه علماً وخبرة في بعض الأحيان قال الإمام أحمد رحمه الله: لقيني في طريقي إلى السجن أعرابي فأوقف الدابة، وقال: يا أحمد إن تعش، تعش حميداً، أو تمت، تمت شهيداً، قال الإمام أحمد:

فقوي قلبي[1]...

---

(١) المصدر: موقع المسلم.

٤ - التأثير في الآخرين وتغييرهم إلى الهداية:

الداعية الذي يريد ترك الأثر الحسن في الناس، ويريد دعوتهم إلى الله هو الذي يعتبر قد ابتدأ أولى الخطوات في هذا السبيل إذا امتلك الدوافع للتأثير، أما الذي لم تتكون عنده الدوافع للتأثير فلن يؤثر.

والدافع هنا هو المحرك الأول للاهتمام بالآخرين، ولذلك فإن النبي ﷺ قد علمنا أن نربي الناس بإيقاظ الدوافع الطيبة فيهم بطرق مختلفة، فمن ذلك قوله ﷺ : **«لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»** [١]، فهو حديث واضح في إنشاء الدافعية لدى الشخصية الإسلامية نحو التأثير في الآخرين وتغييرهم إلى الهداية والصلاح، وكذلك قوله ﷺ : **«نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحدث بها»** [٢]، يدعو له بالنضرة والصلاح، فهذا أيضا واضح في بثه ﷺ الدوافع الإيمانية في الدعاة إلى الله أن يحدثوا بحديثه ويعلموا بعلمه، وكذلك قوله ﷺ : **«الدال على الخير كفاعله»** رواه مسلم، فهو هنا يدفع الداعية إلى بيان السبيل القويم للناس ودلالتهم على العمل الصالح ويبث فيه الرغبة في العمل بأن له أجر كأجر فاعله، وكذلك قوله ﷺ : **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة..»** [٣].

٥ - مداخل التأثير في الشخصية:

الأمن والإنجاز والحب، ثلاثة مداخل مهمة تستطيع من خلالها غزو شخصية الآخر للوصول إلى التأثير فيه وتوجيهه:

١- الأمن: وهو أن يأمن الآخر أن السلوك الذي تدفعه إليه آمن غير ضار نافع غير مفسد، وليس المقصود هنا هو الأمن على المصالح الشخصية فحسب، بل يتعدى الأمر إلى أكبر من هذا إلى الأمن على المستقبل والمآل والمنتهى، كما يتعدى إلى أمن الحرام وأمن البعد عن اللعنة الإلهية والأمن من غضب الرب - سبحانه - قال الله - تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالأمن هنا هو أمن المآل

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجاه البخارى ومسلم.
(٣) أخرجه مسلم.

والرحمة والأمن من العذاب والسخط، وقد جعل - سبحانه - بيته بيتاً آمناً: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، بل إنه من أراد فيه بسوء عوقب ولو لم يبتدئ تنفيذ عزمه ونيته الفاسدة، قال - تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

ويشبه العلماء الأمن للإنسان كالتربة الصالحة وهو هنا تربة نفسية تفتح باب القبول للشخصية الداعية، وقد علمنا رسول الله ﷺ ذلك كثيراً في أحاديثه فمنه قوله ﷺ من قال: **«لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه إلا بحق الإسلام»**.

٢ - الإنجاز: مدخل مهم للنفوس فالداعية إلى الله سبحانه لابد وأن يشعر الآخرين بالإنجاز فإننا لو شبهنا الأمن بالتربة الصالحة فإن الإنجاز هو ذلك الماء الذي يروي هذه التربة ويبث فيها الرونق والانتعاش ويظهر فيها علامات الحياة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يربي الناس على إشعارهم بالإنجاز والتميز والتقدم فيقول لهم ﷺ : **«مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به أجر لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف»** فهو يعلمك أنك تنجز كثيراً جداً وتحصل كثيراً جداً بقراءتك أكثر مما تتصور، حتى الذين لم يحسنوا القراءة بعد، يقول لهم ﷺ : **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران»** فهو يعلمك أنك منجز على كل حال ولن يمنعك تعلمك أن تحصل الثواب الكبير والعميم فأنت منجز على كل حال، ويقول ﷺ : **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته سراء صبر فكان خيراً له»** [(١)] فهو يعلمه أنه منجز على كل حال ومحصل للثواب على كل حال، وهذا الشعور يبث في المدعو الثقة ويدفعه نحو العمل ونحو التطبيق للتوجيه الذي تعلمه.

٣ - الحب: مدخل هام جداً من مداخل الشخصية: فأنت يا أيها الداعية إذا أردت التأثير في الناس فدعهم يحبونك أولاً، ثم بعد ذلك مرهم فيعملوا، فالحب يرقق القلوب ويقربها إلى الداعية قال الله - تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهو بيان رباني إذن للنبي ﷺ أن يجد الطريق

(١) أخرجه مسلم.

إلى القلوب برقة ورحمة ومحبة وتسامح وعفو، قال الله - تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وانظر إلى الداعية المحبوب كيف يجد طريقه إلى التأثير في الناس وفي قلوبهم بمنتهى اليسر والبساطة وانظر إلى الآخر الذي يريد إجبار الناس على التأثر بكلماته وهو منفر غليظ عبوس متكلف معجب بنفسه وبعمله، مستقل عمل الآخرين وطاعاتهم.. لكم يخسر هذا.. لكم يخسر!!

* * * * *

المبحث التاسع
كيف يكون إلقاؤك مؤثراً؟

أولاً : - أسس لابد منها :

١ – الإخلاص لله تعالى:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، ويقول جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠]. فأمر سبحانه بتقواه أولاً، ثم القول السديد المستقيم الموافق لهدي المصطفى ﷺ، وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»** (١).

فما كان الله ليبارك في عمل لم يرد به صاحبه وجه الله. ففي الحديث القدسي يقول الله سبحانه وتعالى: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»** (٢).

وكما أثر عن سلفنا الصالح أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه تعالى وموافقا لسنة نبيه محمد ﷺ.

– اتباع هدي النبي ﷺ في كلامه وخطبه وأحاديثه:

ولا ريب أن عملاً لا يقبله الله لا يمكن أن يكون مؤثراً في الناس تأثيراً يرضاه الله. كما أن الله قد علَّم نبيه أفضل الطرائق والأساليب لدعوة الناس إلى دين الإسلام، فهو ﷺ خير متبوع في هذا الأمر وفي كل أمر. يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]. ويقول تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ويقول جل وعلا: ﴿

(١) رواه البخاري فتح الباري كتاب بدء الوحي المجلد الأول رقم الحديث (١).
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤١٨٩ المجلد ٣ – ٤.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢ – ٥٣]. ويقول النبي ﷺ : **«تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي»** [(١)]، ويقول: **«أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاها»** [(٢)]، ويقول أيضا: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»** [(٣)].

٢ – القدوة: إن كلامك لن يكون مقبولاً إلا إذا صدَّق فعلُك قولَك، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الصف: ٢]، ويقول سبحانه على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨]، وتقول عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق النبي ﷺ : (كان خلقه القرآن) [(٤)].

فلقد كان صلوات ربي وسلامه عليه يدعو الناس للعمل بالقرآن وكان هو أول من يتخلق بأخلاق القرآن، فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه الدعاة المخلصون.

٣ – وضوح اللغة:

يجب أن يكون الإلقاء باللغة التي تناسب المستمعين فبالنسبة لنا نحن العرب يجب أن يكون إلقاؤنا باللغة العربية الفصحى، مع ضرورة تجنب اللهجات الدارجة إلا في أضيق الحدود. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢]، ويقول: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥]، ويقول جل من قائل: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤]، إن مراعاة النطق السليم وقواعد اللغة له أكبر الأثر في تقبل الجمهور لما يلقى إليهم. كما أن استخدام المحسنات البديعية دون مبالغة يضفي على الإلقاء جمالاً وقبولاً لدى المستمعين.

---

(١) الألباني في صحيح الجامع برقم(٢٩٣٤ المجلد٣ – ٤.
(٢) صحيح الجامع برقم (١٣٦٥) المجلد ١ – ٢.
(٣) صحيح الجامع برقم (٦٢٧٤) المجلد٥ –.٦
(٤) صحيح الجامع برقم٤٦٨٧ المجلد٣ – ٤.

٤ – التوقيت المناسب:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[(١)]، أي كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، كما نقله ابن حجر رحمه الله في الفتح عن الخطابي. فهذا يتضمن اختيار الوقت المناسب للمحاضرة ابتداءً، كما يتضمن عدم الإكثار في عدد مرات الإلقاء ومراعاة الفارق الزمني بين كل محاضرة وأخرى.

أما بالنسبة لطول المحاضرة فهو أمر في منتهى الأهمية، حيث ينبغي مراعاة الحال سواء بالنسبة لنوعية الإلقاء أو نوعية المكان أو نوعية المستمعين. وعلى كل حال فإن الأصل هو عدم الإطالة والالتزام بوقت محدد مما يضمن عدم تسرب الملل إلى المستمعين. ولعل المتخصصين في مجال التربية والتعليم يحبذون أن لا تطول المحاضرة أو الدرس أكثر من (٤٥) دقيقة.

٥ – الوسائل المناسبة :

السبورة – الشفافيات – الشرائح – الفيديو – الكمبيوتر... إلخ، مما يساعد على توضيح المعاني، ويؤدي إلى جذب انتباه المستمعين.

ولعل لاستخدام هذه الوسائل التعليمية أصلاً في الشريعة حيث ثبت في صحيح البخاري (أن النبي ﷺ خط خطاً مربعاً، وخط خطا في الوسط خارجاً منه، وخط خُطُطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان؛ وهذا أجله محيط به – أو قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخُطُط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا)[(٢)].

٦ – تنويع الأساليب:

كالتقرير والاستفهام والتعجب وكضرب الأمثال وقص القصص وغيرها مما يكثر استعماله في القرآن والسنة المطهرة.

---

(١) البخاري فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٨.

(٢) رواه البخاري فتح الباري المجلد الحادي عشر برقم٦٤١٧.

كما أن من أعظم الأساليب المؤثرة في المستمعين هو الاستدلال على أقوالك بنصوص القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٧ – مراعاة حاجة المستمعين للموضوع:

فهذا هو القرآن يتنزل في مكة ثلاث عشرة سنة لا يحدثهم في الأعم الأغلب إلا في موضوع العقيدة لحاجة المسلمين الجدد لهذا الموضوع دونما سواه، كما أن القرآن كان يتنزل طيلة حياة الرسول ﷺ يعالج المواقف والوقائع التي كانت تقع آنذاك. وهذا هو الرسول ﷺ يستغل وقوع الحوادث والمناسبات ليحدثهم عنها، كما حدث عند كسوف الشمس في عهده وعند خوض نفر من المسلمين في حادثة الإفك وغير ذلك كثير.

٨ – مشاركة الجمهور:

وذلك عن طريق إلقاء الأسئلة عليهم واستقبالها منهم، ففي خطبة الوداع يسأل الرسول ﷺ أصحابه فيقول: **«أتدرون أي يوم هذا؟...»** الحديث [١].

ويسألهم في حديث أخر فيقول: **«أتدرون من المفلس؟...»** الحديث[٢] كما كان ﷺ يستقبل الأسئلة منهم حيث ورد في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«قاربوا وسددوا، وأبشروا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»** [٣].

وفي الحديث الآخر المتفق عليه يقول الرسول ﷺ : **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له»**، قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: **«في كل كبد رطبة أجر»** [٤].

(١) رواه البخاري في فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٧.
(٢) صحيح الجامع المجلد الثالث الحديث رقم ١ صفحة ١١٧.
(٣) صحيح الجامع برقم ٤١٧٣ المجلد٣ – ٤.
(٤) صحيح الجامع برقم ٢٨٧٠ مجلد ٣ – ٤.

٩ – ابدأ بالمعلوم ثم انتقل للمجهول:

من ذلك ضرب الأمثلة وهو كثير في القرآن والسنة ففي القرآن يقول تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

أما من السنة ففي خطبة الوداع بدأ رسول الله ﷺ بتقرير حرمة اليوم والشهر والبلد وهي أمور معلومة لأصحابه ثم انتقل إلى ما قد يجهلونه وهو أن دماءهم وأموالهم حرام عليهم كحرمة هذه الأمور[١].

١٠ – تأكد من الإفهام:

بسؤالهم هل فهموا ؟ قال الرسول ﷺ في آخر خطبة الوداع: **«ألا هل بلغت»** (ثلاثاً) حتى قالوا: نعم، فقال: **«اللهم فاشهد»** [٢].

كما أن توجيه الأسئلة إليهم عن موضوع الإلقاء سواء شفوياً أو تحريرياً بعد نهاية الدرس أو المحاضرة واستقبال أجوبتهم ينبئك عن مدى فهمهم للموضوع.

١١ – تعزيز الفهم والتحفيز:

بالتكرار، والأسئلة فيما سبق طرحه، والحوافز المادية والمعنوية، والتنويع في الوسيلة والأسلوب.

١٢ – التعليم بالتطبيق العملي :

صعد الرسول ﷺ المنبر لتعليم أصحابه الصلاة وقال: **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[٣]، وقال كذلك في الحج: **«خذوا عني مناسككم»** [٤]، **«لتأخذوا عني مناسككم..»** إلخ الحديث[٥].

---

(١) رواه البخاري في فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٧.

(٢) رواه البخاري في فتح الباري المجلد الأول كتاب العلم رقم الحديث ٦٧.

(٣) إرواء الغليل رقم ٢٦٢ المجلد الأول صفحة ٢٩١.

(٤) رواه البخاري، فتح الباري.

(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادة رقم ٣ المجلد الأول صفحة ٤٤١.

١٣ – مبدأ البذرة والأرض والساقي :

يصور ذلك تصويراً جميلاً قول المصطفى ﷺ : **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»** (١).

وهذا يعني أنه لابد من اختيار الأرض الخصبة التي تتقبل البذرة وتنبت بإذن ربها، كما أنه لابد من المتابعة والسقي المستمر والصبر على ذلك مهما طال الزمن، وإلا قد تجدب الأرض وتموت البذرة ولا تثمر الجهود.

١٤ – الرفق والرحمة والخلق الحسن :

يقول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، ويقول سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ورسول الله ﷺ يقول: **«ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»** (٢).

وعندما بال الأعرابي في المسجد لم يزجره النبي ﷺ ولم يعنفه وإنما قال له : **«إنما جعل المسجد للصلاة وذكر الله ولا يصلح لمثل فعلك»**، وعندما عطس رجل في الصف والصحابة يصلون خلف رسول الله ﷺ فقال له معاوية بن الحكم رضي الله عنه : يرحمك الله، بصوت عال، فرماه الصحابة بأبصارهم فقال معاوية: واثكل أمياه، فأخذوا يضربون على أفخاذهم ليسكتوه، وعندما سلم الرسول ﷺ من صلاته، لم ينهره ولم يعنفه وإنما قال له: **«إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس هذا إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»**(٣).

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري رقم ٧٩ المجلد الأول.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح سنن أبي داود رقم الحديث ٨٢٣ المجلد الأول صفحة ١٧٥.

١٥ – كن قيادياً :

أحسِن السيطرة على المستمعين لكيلا يفلت منك زمام المحاضرة. فقد يوجد بينهم من يثير الشغب أو من يحب الضحك والمزاح أو من يهوى إحراج المحاضرين.

ولعله يحضرني في هذا المقام قصة طريفة لأحد الدعاة عندما كان يحاضر في جمع من النساء عن تعدد الزوجات في الإسلام، وأفاض في الحديث بموضوعية وإتقان واستيعاب، واستعان بالأرقام والإحصاءات، وأورد الحجج العقلية والنقلية لإثبات فوائد تعدد الزوجات، إلا أن عدداً من الحاضرات لم يقتنعن وأخذن في اللجاج والجدل العقيم، فرأى المحاضر أن يسكتهن بطريقة أخرى. فقال لهن: في الحقيقة أن المسئول الحقيقي عن تعدد الزوجات هو المرأة لا الرجل. فلما استغربن ذلك وأنكرن عليه قال لهن: لو أن كل امرأة رفضت أن تكون زوجة ثانية لرجل لما كان هناك تعدد زوجات.

ثانيا : - المواصفات الكلامية : -

١ – معدل سرعة الكلام :

لا يكن كلامك سريعاً لا يُفهَم ولا بطيئاً فيُملَ، وإنما ابتغ بين ذلك سبيلا. عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيِّنٍ فَصل، يحفظه من جلس إليه)[(١)].

وثبت عن أم سلمه قالت : (كان النبي يقطع قراءته يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٢] ثم يقف ثم يقول: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾ [الفاتحة: ٣] ثم يقف وكان يقرأ: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة: ٤]... الحديث)[(٢)].

٢ – التكرار للمعلومة المهمة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً، لتعقل عنه)[(٣)].

---

(١) مختصر الشمائل المحمدية رقم الحديث ١٩١ صفحة ١١٩.
(٢) الشمائل المحمدية برقم ٧٢٠ صفحة ١٦٦.
(٣) الشمائل المحمدية برقم ١٩٢ صفحة ١٢٠.

وقال النبي ﷺ : **«ويل للأعقاب من النار – مرتين أو ثلاثا»** [1].

ويقول النبي ﷺ : **«ألا أحدثكم بأكبر الكبائر»** (ثلاثاً) ؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»**، وجلس وكان متكئاً فقال: **«وشهادة الزور»**. قال: فما زال يقولها حتى قلنا: ليته سكت [2].

٣ – السكتة الخفيفة قبل المعلومة المهمة :

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : خطبنا النبي ﷺ يوم النحر فقال: **«أتدرون أي يوم هذا؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال : **«أليس يوم النحر ؟»** قلنا بلى، قال: **«أي شهر هذا ؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: **«أليس ذو الحجة؟»** قلنا: بلى. قال: **«أي بلد هذا ؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **«أليست بالبلدة الحرام ؟»** قلنا: بلى. قال : **«فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا إلى يوم تلقون ربكم...»** إلخ الحديث [3].

٤ – تكلم ببطء عند المعلومة المهمة :

فإن ذلك أدعى لجذب انتباه المستمعين، وأبلغ في إيصال المعلومة المهمة إليهم.

٥ – تجنب السكتات الطويلة من غير حاجة :

كتلك التي تفعل عند تقليب الأوراق أو البحث عن ورقة معينة أو استذكار نص معين من القرآن أو الحديث أو غير ذلك.

٦ – تجنب تكرار كلمة معينة بكثرة لغير حاجة :

نحو: (يعني، إيش، عرفت، تعرف، سمعت، أقول، شفت كيف، في الحقيقة، ليه، في الواقع، هاه... إلخ).

---

(١) صحيح الجامع برقم ٧٠٠٩ مجلد ٥ – ٦.

(٢) مختصر الشمائل المحمدية للألباني رقم ١٠٤ صفحة ٧٤.

(٣) إرواء الغليل رقم ١٠ صفحة ٤٣.

٧ – ارتفاع الصوت :

ينبغي أن ترفع صوتك بحيث تسمع جميع المستمعين دون أن تزعجهم تأسياً برسول الله ﷺ.

٨ – ارفع الصوت عند المعلومة المهمة :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته : **«ويل للأعقاب من النار»** مرتين أو ثلاثاً [(١)].

وأخرج مسلم من رواية جابر رضي الله عنه قال : (كان النبي ﷺ إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته)[(٢)].

٩ – لا يكن صوتك رتيبا مملا في الشدة والحدة:

فإن التنويع في شدة الصوت بين الارتفاع والانخفاض، وفي الحدة ترقيقاً وتفخيماً، يمنع تسلل الملل والنعاس إلى المستمعين، ويشد انتباههم إليك شدًّا.

ثالثا : - المؤثرات غير الكلامية : -

١ – المظهر العام :

لا بد أن يوافق سنة المصطفى ﷺ من إعفاء اللحية وجعل أسفل الثوب فوق الكعبين بالنسبة للرجال ونظافة الملبس وحسن الهندام، هذا بالإضافة إلى كونه مقبولاً لدى المستمعين من حيث العرف والتقاليد فإن الله سبحانه وتعالى رد على المشركين عندما اعترضوا على كون النبي المرسل إليهم بشراً وطلبوا أن يكون ملكاً بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٩].

٢ – توزيع النظرات :

ينبغي الإقبال بالوجه والنظر إلى جميع المستمعين وعدم النظر فقط في الأوراق أو إلى أعلى أو إلى أسفل أو إلى جهة واحدة أو إلى شخص معين، فإن ذلك أدعى لجذب انتباه

---

(١) صحيح الجامع برقم ٧٠٠٩ مجلد ٥ – ٦.

(٢) صحيح النسائي برقم ١٤٨٧ المجلد الأول صفحة ٣٤٥.

المستمعين جميعهم إليك؛ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة)[1]، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم، يتألفهم بذلك، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليَّ، حتى ظننت أني خير القوم فقلت: يا رسول الله، أنا خير أو أبو بكر ؟ قال : **«أبو بكر»**، فقلت يا رسول الله، أنا خير أو عمر؟ فقال: **«عمر»**، فقلت: يا رسول الله، أنا خير أو عثمان؟ قال: **«عثمان»**. فلما سألت رسول الله ﷺ فصدقني، فلوددت أني لم أكن سألته)[2].

٣ – تعبيرات الوجه :

ينبغي على الملقي أن يتفاعل مع ما يقول فإن كان حديثه عما يفرح تهلل وجهه فرحاً. وان كان عما يحزن بان الحزن على وجه. وإن كان عما يغضب احمرت وجنتاه من الغضب. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : يقول ﷺ : **«بُعثت أنا والساعة كهاتين»** وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه [3]..... الحديث.

وعن فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس أنها سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، قالت : فصليت مع رسول الله، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: **«ليلزم كل إنسان مصلاه»**، ثم قال: **«أتدرون لم جمعتكم ؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً فجاء، فبايع وأسلم. وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال»** [4].

---

(١) رواه ابن ماجة وصححه الألباني رقم الحديث ٤٢ المجلد الأول صفحة ١٤.

(٢) مختصر الشمائل المحمدية حسنه الألباني برقم ٢٩٥].

(٣) صحيح النسائي وصححه الألباني برقم الحديث ١٤٨٧ المجلد الأول صفحة ٣٤٥.

(٤) رواه مسلم وصحيح الجامع برقم ٢٥٠٨.

٤ – تحريك اليد والجسم :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : يقـول ﷺ : **«بُعثت أنا والسـاعة كهـاتين»** ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى[١].

(وكان ﷺ إذا خطب يشير بإصبعه المسبحة)[٢]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: **«يأخذ الجبار سماواتـه وأرضـه بيـده** (وقبض بيده يقبضها ويبسـطها) **ثم يقول: أنا الجبار ! أين الجبارون ؟ أين المتكـبرون ؟»** قـال: ويتميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه. حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟ [٣].

٥ – وضع الوقوف أو الجلوس :

(كان الرسول ﷺ يخطب وهو واقف على المنبر ويتكئ أحيانـاً علـى عصـا أو سـيف أو على رجل)[٤].

وكان يحدث أصحابه وهو جالس، وربما جلس متكئاً أحياناً.

وقد مر بنا حديث (وقول الزور) وكيف كان الرسول ﷺ متكئاً ثم جلس.

٦ – الحركة والانتقال:

ذهاباً وإياباً حسب ما يناسب الحال لأنه أدعى لجذب انتباه المستمعين.

٧ – كيف تتغلب على القلق؟

١ – استحضر الإخلاص لله تعالى يقول سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧].

٢ – أكثر من إلقاء الكلمات والمواضيع.

٣ – حضر الموضوع بإتقان.

---

(١) صحيح ابن ماجة رقم الحديث ٤٣ المجلد الأول صفحة.١٤

(٢) مختصر صحيح مسلم رقم الحديث ٤١٤ صفحته ١١٤.

(٣) صحيح ابن ماجة رقم الحديث ١٦٤ المجلد الأول صفحة ٣٩.

(٤) صحيح سنن النسائي ١٤٨٤ المجلد الأول صفحة ٣٤٥.

٤ - جرب الإلقاء لوحدك مرة أو أكثر قبل مقابلة الجمهور.

٥ - أكثر من ذكر الله وأنت في طريقك إلى الإلقاء يقول تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٦ - اسأل الله اطمئنان القلب والصبر والتثبيت، يقول تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠].

٧ - ابدأ الإلقاء بذكر الله وحمده؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله... الحديث)[1]. ولعل أحسن ذلك خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يعلمها لأصحابه، وهي: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره...**» إلخ[2].

٨ - حافظ على تركيزك في موضوعك.

٩ - كن إيجابياً في تفكيرك تجاه نفسك وتجاه المستمعين فأنت قادر على الإلقاء بإذن الله، وعملك من أحسن الأعمال وأشرفها حيث يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وقد وعد الله سبحانه وتعالى بالتيسير لك إن أنت ذكَّرت الناس ودعوتهم فقال جل من قائل: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الأعلى: ٨ - ٩].

كما أن المستمعين متفاعلين معك فقد كلفك الله بالتذكير ووعد بتأثر من يخشى فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: ٩ - ١٠].

واعلم أن المستمعين لا يعلمون أنك قلق، ولو علموا بذلك لعذروك لأنهم يقدرون موقفك، ولو كان أحدهم مكانك لشعر بما تشعر.

---

(١) صحيح سنن النسائي رقم الحديث ١٤٨٧ المجلد الأول صفحة ٣٤٥.

(٢) رسالة خطبة الحاجة للألباني.

٨ – كيف تقيس مدى استجابة الجمهور ؟

١ – فهم المستمعين للموضوع بإجاباتهم على أسئلتك.

٢ – سرورهم وارتياحهم للموضوع.

٣ – تبني وجهات النظر التي تدعو إليها.

٤ – تحسن علاقاتهم بك ومحبتهم لك.

٥ – تبنيهم للسلوك الذي تدعو إليه.

٦ – دعوتهم للآخرين إلى السلوك الذي تدعو إليه.

يتبين مما سبق طرحه، أن الإلقاء بات سلاحاً من أسلحة الدعوة إلى الله ينبغي الاهتمام به، والإلمام بفنونه لكي نضمن بإذن الله وصول المعلومة الصحيحة إلى المدعوين ومن ثم يكون التغيير المراد في وجهات النظر وفي السلوك.

إن مما ينبغي التنبيه إليه هو أن الدعوة إلى الله عبر الكلمة المسموعة لابد أن تستمر ولا تتوقف بحجة ضرورة استكمال الإلمام بفنون الإلقاء. بل لابد أن نتقي الله ما استطعنا فندعو إلى الله بما عندنا من العلم ومن مهارات الإلقاء مع مواصلة تعلم مهارات أخرى والتدرب عليها، فرب كلمة خرجت من قلب مخلص يكون لها أكبر الأثر في قلوب المستمعين[1].

* * * * *

(١) د/ محمد فهد الدوسري/ بتصرف قليل.

المبحث العاشر
وصايا للداعية الجديد

هذه وصايا وإرشادات للداعية الجديد لتقويم السير وتصحيح المسار..

١- صاحب الإخلاص في دعوتك :

فالواجب على الداعية الجديد فضلاً عن غيره أن يستشعر دوماً أن الدعوة إلى الله عبادة يتقرب بها إليه، وكل عبادة لا تقبل إلا بإخلاص صاحبها، ومـم ينـافي إخـلاص الداعيـة أو يعكر عليه صدق نيته، أن يبتغـي بدعوتـه محمـدة النـاس أو لفـت أنظـارهم إليـه، أو إثبـات وجوده ومنافسة أقرانه، والداعية الجديـد قـد لا يقصـد هـذه الأمـور ولكنـه يصـاب بهـا في مواضع ويهمل قلبه فيصل إليها ويتدهور أمره.

ذُكر عن عبد الله بن عمر أنـه كـان يمشـي يومـاً في المسـجد الحـرام فمـر برجـل يقـص القصص، فقال رجل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن أتدري ما يقول الرجـل. ؟(فقـال: نعـم.. يقول :انظروا إليّ)، ولعل ابن عمر رضي الله عنه شعر من حال هذا الواعظ إتيانه بالغرائب يريد جمع الناس إليه فكان ما قال.

٢- كن مخلصاً لدعوتك :

وهذا يعني بـذل الـنفس والنفـيس في سـبيلها، فنجـاح الداعيـة لا يكـون إلا بإخلاصـه لدعوته فإن العامل الأساسي للنجاح ليس هو كثـرة علـم الداعيـة ولا قـوة بيانـه وسـحره، ولكن قبل ذلك الإيمان بدعوته التي يدعو إليها، والخوف الشديد مـم يعتريهـا، إن مثـل هـذا الإنسان يصيح بالناس ويترك أقوى الآثار ولو كان أبكم، يقول أ. محمد الراشد: " إنما يوصل الداعية إلى غايته شغفه بدعوته وإيمانه واقتناعه وتفانيه فيها وانقطاعه إليها ".

ومن الصور التي يظهر فيها عدم إخلاص الداعية لدعوته :

إعطاء الدعوة فضول وقته – التثاقل عن الأنشطة الدعويـة – الرمـي بثقـل الواجبـات الدعوية على الآخرين والتملص منها قدر الإمكان – التلفيق في إعداد الأنشطة الدعوية.

٣- لا تنسَ فضل الدعوة :

فإن مم يعين على مواصلة الطريق، ويشحذ الهمم، أن يتذكر الداعية فضل الدعوة وأجرها العظيم، فقد كان رسول الله ﷺ يذكر أصحابه بهذا الفضل ليشجعهم، ومن ذلك قوله لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»** وقوله ﷺ : **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا»**.

٤- دعوتك واجبٌ عليك :

فينبغي للداعية الجديد أن يعلم أن نشاطه الدعوي ليس نفلاً يتفضل به على دينه، بل هو واجب لا تبرأ الذمة إلا به، وحق للمسلمين لا يجوز التقصير فيه، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: "فعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته ".

٥- لا تنسَ نفسك من الهدى :

فإن الداعية في زحمة الهموم الدعوية والمشاغل اليومية قد يهتم بالآخرين لكنه ينسى نفسه، وهنا تحدث له آفات لا يشعر بها إلا بعد حين، ومنها خواء النفس وقسوة القلب وفتور الهمة وانحراف النية أحياناً، يقول أ. محمد الراشد: " يجب أن يبقى رجال الصفوة بعض أوقاتهم لمواصلة تربية أنفسهم بالعلم والعبادة، وإلا قست قلوبهم من بعد لذة الابتداء "، وقرب الداعية من كتاب الله يجب أن يكون متعةً لروحه وسكناً لفؤاده وشعاعاً لعقله، ووقوداً لحركته ومرقاة لدرجته.

٦- كن قدوة حسنة :

وهذا يعني أن يكون الداعية صورة حسنة لكل ما يدعو إليه ويريد غرسه في المدعوين، بل أن يكون فعله وسلوكه قبل قوله وكلامه، والداعية نفسه شهادة للدعوة، وهذه الشهادة قد تحمل الناس على قبول الدعوة وقد تحملهم على ردها ورفضها، يقول عبد الواحد بن زياد: "ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر بشيء يكون أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم منه.

ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤].

٧ – خاطب الناس على قدر عقولهم :

فالواجب على الداعية أن يراعِي جهل الناس واختلاف بيئتهم حتى لا تكون دعوته فتنة لهم، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه "حدّثوا الناس بم يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم"، ومن صور عدم مراعاة فهم الناس :

– طرح الداعية للخلافات الفقهية بتوسع بحيث لا يفقه الناس الراجح من المرجوح.

– كلام الداعية في مسائل دقيقة كالقضاء والقدر.

– إسهاب الداعية في الحديث عن الجماعات الإسلامية وأخطائها بطريقة تجعل الناس يسيئون الظن بها جميعاً.

– تعميم الداعية حول بعض الأمور فيجعل العامة يتساهلون في البدع والمحرمات واتباع الأقوال الضعيفة.

– كلام الداعية مع المدعو في مناهج العلماء والدعوة بطريقة تفصيلية قد تنفر المدعو.

٨– إنما أنت مذكّر :

فالله تعالى أمر نبيه محمد ﷺ بالدعوة والتبليغ، ولم يطالبه بالنتيجة فقال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]، فالمطلوب أن يبذل الداعية قصارى جهده فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فعليها، ومن فوائد استشعار ذلك أن لا يصاب الداعية بالإحباط عند إعراض المدعوين وفيه حفظ لمشاعره وصون لنفسه: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

٩– لا دعوة إلا بعلم:

فعلى الداعية أن يعتقد أن لا دعوة إلا بعلم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]،

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

١٠. جدّد علمك وطوّر مهاراتك :

فالداعية لا يليق به أن يقف عند حد من العلم الشرعي بل عليه أن يستزيد منه يوماً بعد يوم، وليست كثرة الأشغال الدعوية مبرراً للتوقف عن طلب العلم، فالناس لن يعذروا الداعية عند وقوعه في الزلل والخطأ، ولن يقبلوا اعتذاره بالجهل، وهكذا الحال بالنسبة للمهارات النافعة للدعوة كمهارات الإلقاء والقراءة والتأثير في الآخرين، فلن يصل الداعية إلى التأثير على المدعوين حتى يسخر المهارات لبلوغ الهدف، ومن أسباب تطوير الذات علمياً ومهارياً حضور الدروس الشرعية وتلخيص الكتب الشرعية والثقافية وحضور الدورات التطويرية في التخطيط والتأثير والإدارة وغيرها.. وزيارة الدعاة من أهل الخبرة والتجربة.

١١- لتكن جهودك الدعوية مكملة لبقية الدعاة :

ويستفاد هذا من قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فقد سمى الله فئة الدعاة أمة للإيماء إلى وجوب كونهم مجتمعين على صفات وخصائص وروابط متميزة تجعلهم ظاهرين في الناس كأمة واحدة لا اختلاف ولا تنازع بين أفرادها، والتجارب لا زالت تؤكد أهمية التنسيق بين أنشطة الدعاة بحيث يحصل التكامل والانسجام، ومن فوائد هذا التكامل تبادل التجارب وقوة الأنشطة ونجاحها وتسخير الطاقات.

١٢- كن مدركاً لواقعك :

فحال الدعاة يشهد على أن فقه واقعهم سبيل متأكد لنجاحهم في تحديد الأولويات فيما يدعون إليه، ولابد من الاعتراف بوجود الخلل في هذه الثقافة عند كثير من الدعاة فهناك عجز في معرفة الحاضر المعاش والواقع المعاصر فكثيراً ما نقع في التهويل أو التهوين فنضخم الشيء الهين ونهون الشيء العظيم، سواءً في إمكانياتنا أو عيوبنا أو قضايانا.

١٣. فاصبر صبراً جميلاً :

فإن اعتياد الناس على معاصيهم ودوام غفلتهم يحتاج إلى جهد دعوي مستمر، ولا يكون ذلك إلا بالصبر والمصابرة، وها هو عمر بن عبد العزيز يقول "إني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فنى عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره"، ومن مواضع الصبر عند تعلم الدين والصبر على توجيهات المربين وطلبة العلم ومجاهدة النفس على قبولها والصبر على المدعوين والصبر على انتقادات الآخرين.

١٤- عليك بما تطيق :

فإن الله لا يكلف المرء إلا ما يطيق قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فبعض الصالحين يفهم بذلك الوسع في الدعوة أنه أدنى العطاء للدين، ولذا هؤلاء لا يقدمون إلا النزر اليسير، والمطلوب أن تصل النفوس إلى أكبر ما في وسعها وأن يكون جهدها متزايداً كل يوم.

١٥- تخول الناس بالموعظة :

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (حدّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تملّ الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت فإن أمروك فحدثهم وهم يشتهون) وعن ابن مسعود : "حدّث القوم ما حدوك بأبصارهم وأقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدثهم ".

١٦- لا تكن فظاً غليظاً :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، **«إن الله يحب الرفق في الأمر كله»**، فعلى الداعية استمالة القلوب وهدايتها، فالناس بحاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم.

١٧- لا تنتظر مجيء الناس إليك :

فشأن الداعية أن يحتك بالناس ويتعرف عليهم، ويزورهم في مجالسهم ومنتدياتهم، يقول أ. محمد الراشد: "ومن انتظر مجيء الناس إليه في مسجده أو بيته فإن الأيام تبقيه وحيداً، ويتعلم فن التثاؤب"، وينبغي أن يعلم الداعية أن مخالطة الناس وحضور مجالسهم لا ينسيه أنه لا يجوز للداعية السكوت عن المنكرات الموجودة بل لابد من البيان والإنكار، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠].

١٨- لا تخف من الفشل :

فما لم يزج الداعية بنفسه في غمار دعوته بدون الخوف من الفشل غير عابئ بم يوجه له من النقد، فإنه لن يتقدم ولن يصل إلى دفة التوجيه والتغيير، ولا تنس أن الفرق بين الداعية وغيره من الناس أن الله يحتسب للداعية أجر عمله ولو كانت النهاية فاشلة بالمقياس البشري.

١٩- إياك والاستعجال المذموم :

يقول ﷺ : «**التأني من الله والعجلة من الشيطان**»، فقد يقع الداعية الجديد في استعجال أمر فيجد عاقبة يندم عليها مدى الحياة، ومن صور ذلك استعجال الداعية تحول الناس عن معاصيهم، أو استعجالهم في نقل الأخبار المغلوطة، أو استعجاله في تخطئة الدعاة والعلماء والمربين، والأخطر استعجال الداعية في البروز للناس والتكلم بينهم فيما لا يحسنه.

٢٠- لتكن دعوتك شمولية :

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام : " وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله الأمر به، وكل ما أبغضه الله ورسوله من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله النهي عنه "، وهذا يوضح أن موضوع الدعوة هو الإسلام كله عقيدة وشرعاً وأخلاقاً ومعاملة، وأن المدعوين هم جميع الناس كل بحسبه.

٢١- إياك والفوضوية :

بعض الدعاة المتحمسين يبذلون جهوداً في مجالات عديدة، ويضربون في كل وادٍ بسهم إلا أن هذه الجهود تثمر ثماراً هزيلة، وسبب ذلك الفوضوية الدعوية، لذا يقال للداعية :

عليك بتنظيم طريقتك الدعوية ومعرفة الأولويات، ومن صور الفوضوية : الفوضوية في طلب العلم الشرعي، أو في التعامل مع الأنشطة الدعوية، في ترتيب الأولويات والموازنة بين الواجبات، أو غير ذلك من الصور.

٢٢- لا تنس استشارة أهل الخبرة والعلم :

يتناسى بعض الدعاة وهم في بداية الطريق أن الدعوة إلى الله وسيلة تتعلق بأطراف كثيرة وتحتاج إلى خبرات عديدة، ولذا إذا خاضوا غمار مخالطة المدعويين تبين لهم أمور تحتاج إلى اتخاذ مواقف وتقديم أولويات وتقدير المصالح من المفاسد، وهذا كله يعني حاجة هؤلاء الدعاة إلى استشارة أهل الخبرة والعلم ليصلوا إلى أحسن النتائج، ولعل من أسباب تجاهل الاستشارة تصور بعض الدعاة أنه أدرك الأمر من جميع الزوايا وهو لا يدري أنه علم أشياء وفاته أخرى.

٢٣- أدومه وإن قل :

ثبت عنه ﷺ : **«أن أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه»**، وكان هديه ﷺ المداومة على العمل، ألا يمكن للدعاة إلى الله أن يستضيئوا في دعوتهم بمعاني هذا الحديث ويتمثلوها، فالدعوة إلى الله من أفضل الأعمال، فينبغي أن تسلك هذا المسلك، فالمداومة في الدعوة تعني معاني عديدة منها :

أن تكون للدعوة عموماً أهداف واضحة محددة، وأن لا تكون الدعوة مجرد ردود فعل لمواقف معينة، وأن لا تكون الدعوة دعوة مناسبات ومواسم أو محصورة بأوقات فراغ الداعية، كذلك لزوم الداعية موقعه والمحافظة عليه، ذلك أنه تبدو أمامه في كل وقت مجالات وفرص متعددة، فينبغي أن يحافظ على مكانه ولا يجاوزه إلا لمصلحة ظاهرة، أما أولئك الذين يتنقلون كل يوم من ميدان إلى آخر فما أقل إنتاجهم، كذلك عدم احتقار الميادين المهمة التي لها أثر عميق لكنه غير عاجل الثمرة، كميادين التربية والبناء، فالذي يعي مفهوم المداومة يرى أنه ليس بالضرورة أن تكون الأعمال ذات الأثر العاجل السريع خيراً منها وأولى.

٢٤- إياك وحب الرئاسة :

فإن الداعية إذا حرص على العلو على الآخرين فبذل الغالي والرخيص ليصل إلى إدارة مجموعة أو ترؤس لجنة خيرية أو غيره فإنه يوقعه في مفاسد عديدة : كضياع الإخلاص واتباع الهوى وغيره، ومن صور ذلك : حب الإمامة والخطابة ليبرز أمام الناس وكذا حب التدريس والتأليف ليشتهر، وكثرة مدح النفس وذكر الفضائل[١].

* * * * *

(١) ملخصاً من كتاب "وصايا للداعية الجديد" للشيخ عادل العبد العالي.

المبحث الحادي عشر
كيفية أداء الدعوة وأساليبها

قد بيَّنها الله عز وجل في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنة نبيه ﷺ، ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]فبين الله سبحانه وتعالى الطريق والكيفية التي يجب أن يتصف بها الداعية ويسلكها، يبدأ أولاً بالحكمة، والمراد بها: الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق أو الأدلة من الكتاب والسنة وستتكلم عن موضوع الحكمة في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة في الفصل الثاني بالتفصيل إن شاء الله.

وكذلك فإن الداعية إلى الله عز وجل مع كونه يدعو بالحكمة لابد أن يتحلى باللين وعدم الطيش والاتزان في دعوته ولابد أن تكون دعوته قائمة على الموعظة الحسنة بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، وعليه أن يجادل بالتي هي أحسن ويصبر ولا يتعجل ولا يعنف، بل يجتهد في إيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن، ولقد أمر جل وعلا موسى وهارون - عليهما السلام - لما بعثهما إلى فرعون أن يقولا له قولاً ليناً وهو أطغى الطغاة، قال الله جل وعلا في أمره لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤]، وقال الله سبحانه وتعالى في نبيه محمد ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أما إذا ظهر من المدعو العناد والظلم، فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

١ - أسلوب القدوة الحسنة :

القدوة الحسنة:

يقول الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

فهذا ذنب لمن يأمر بالمعروف ولا يأتيه، فإذا كان الداعية آمراً المدعو بأمر هو نفسه لابد أن يفعله، أو إذا نهاه عن شيء وهو يفعله فإن دعوته تبوء بالفشل.

ولهذا يجب على الداعية أن يكون قدوة حسنة، وقد ثبت الوعيد الشديد لأولئك الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه كما في الصحيحين من حديث أسامة ابن زيد قال: قال ﷺ : **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»** [1].

فالعامة إذا وجدت عند الداعية سيئة واحدة، و٩٩ حسنة، لغلبت هذه السيئة على تلك الحسنات، لذا يجب عليه أن يكون قدوة حسنة. فالداعية كالثوب الأبيض، كل نقطة سوداء تظهر فيه.

تعريفه :القُدوة والقِدوة في اللغة : الأسوة، يقال : فلان قدوة يُقتدى به.

والقِدَةُ : المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل.

وقُيدت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة، وقد جاء في الحديث الشريف : **«من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**.

والقدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين :

أ - قدوة حسنة مطلقة : أي معصومة عن الخطأ والزلل، كما هي في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ

(١) سبق تخريجه.

﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ب – وقدوة حسنة (مقيدة) أي بما شرعه الله عز وجل؛ لأنها غير معصومة، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يقتدى بهم في أمور دون أخرى، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري، أو خطأ اجتهادي، لذا كان الاقتداء بهم مقيدًا بموافقة شرع الله...

وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوبًا عامًا يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحًا حسنًا كان نبيًا رسولاً، أو كان تابعًا للرسل الكرام ناهجًا نهجهم في عمله.

٢ – أهمية أسلوب القدوة الحسنة :

تبرز هذه الأهمية من عدة أمور، منها :

١ – جعل الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر باتباعهم، والاقتداء بهم، فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢ – إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها : أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، ولا سيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها... وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان.

٣ – إن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأمي منهم، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره، ويقلده ولو لم يفهمه.

ومن هنا : كان فضل الصحبة للصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – لا يعدله شيء، وكان إنكار الله عظيمًا على من يخالف قوله عمله، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

٣ - ابتسامة مشرقة:

أى ابتسامة مشرقة كانت ترتسم على محيى النبى الرحيم ؟!..

أى بشر وأى سرور كان يفيض من قلبه على البشر كل البشر ؟!..

تلك الابتسامة التى جعلت جرير بن عبد الله البجلى ينتبه لها ويتذكرها ويكتفى بها هدية من الرسول العظيم فيقول : -

(ما رآنى رسول الله ﷺ إلا تبسم فى وجهى).

فهذه الابتسامة المشرقة التى يشرق بها وجه النبى أجل عند جرير من كل الذكريات وأسمى من كل الأمنيات..

كانت تعلو محياه تلك الابتسامة المشرقة المعبرة.

فإذا قابل بها الناس أسر قلوبهم ومالت إليه نفوسهم وتهافتت عليه أرواحهم.

يصف الأديب الأريب الدكتور عائض القرنى ابتسامة النبى فيقول :

يبتسم عن مثل البدر فى وجه أبهى من الشمس وجبين أزهى من البدر وفم أطهر من الأقحوان وخلق أندى من الرياض وود أرق من النسيم.

يمزح ولا يقول إلا حقاً فيكون مزحه على أرواح أصحابه أهنى من قطرات الماء على كبد الصادى وألطف من يد الوالد الحانى على رأس ابنه الوديع.

يمازحهم فتنشط أرواحهم وتنشرح صدورهم وتنطلق أسارير وجوههم.

فلا والله ما يريدون الدنيا كلها فى جلسة واحدة من جلساته.

ولا والله لا يرغبون فى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فى كلمة حانية وادعة مشرقة من كلماته).

وها هو عبد الله بن الحارث يصف لنا قدوتنا فيقول : -

"ما رأيتُ أحداً أكثر تبسمًا من الرسول ﷺ، وكان رسول الله ﷺ لا يُحَدِّث حديثاً إلا تَبَسَّم وكان مِن أضحك الناس وأطيَبِهم نَفسًا".

فلماذا العبوس يا داعية الإسلام ؟؟

أتحمل هماً أكبر من هم رسول الله ؟؟

ابسط وجهك وتذكر قول رسول الله ﷺ : **«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»** [1].

وقال ﷺ : **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»** [2] وهكذا كان الصحابة رضى الله عنهم فقد قيل لعمر رضى الله عنه هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون. قال : نعم والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي.

ويقول الأستاذ محمد قطب : (لا يكفي المال وحدة لتأليف القلوب ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية، لابد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف، المستمد من روح الله، ألا وهو الحب، الحب الذي يطلق البسمة من القلوب فينشرح لها الصدر وتنفرج القسمات فيلقى الإنسان أخاه بوجه طليق).

يقول ابن القيم في أهمية البشاشة :

(إن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفاً، فترى الصادق فيها من أحب الناس وألطفهم وقد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع).

ويقول الإمام ابن عيينة :

(والبشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين : وجه طليق وكلام لين).

ونحن نسأل: كم هو الجهد الذي تبذله والتعب الذي تعانيه لكي تبتسم في وجه أخيك؟! لا تكلفك الابتسامة مالاً تخرجه من جيبك، ولا وقتاً تضيعه من وقتك، ولا جهداً ترهق به بدنك.. ابتسامة كما يقال: لا تكلف شيئاً، ومع ذلك بعض الناس يبخلون بها،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

فمن بخل بما لا خسران عليه فيه فهو أشد الناس بخلاً ولا شك، ولذلك يقول بعض الذين كتبوا في 'علم النفس والمعاملات الإنسانية': إن الابتسامة لا تكلف شيئاً، ولكنها تعود بالخير الكثير، إنها تغني أولئك الذين يأخذون، ولا تفقر أولئك الذين يمنحون'. فإذا لم يكن عندك مال تعطيه فأعط من بشاشة وجهك، فهذا الذي ينبغي أن يكون من الإنسان لأخيه المسلم.

فالابتسامة مفتاح كل خير ومغلاق كل شر.

لها مفعولها السحرى وأثرها العجيب.

ولا يمكن أن يتجاهل الابتسامة من يرغب فى كسب محبة الآخرين والتأثير عليهم وفتح مغاليق قلوبهم.

يقول الصينيون فى حكمة يرددونها : -

(إن الرجل الذى لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغى له أن يفتح متجراً).

ونحن نقول : -

(إن الداعية الذى لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغى له أن يمارس الدعوة قبل أن يتعلم فن الابتسامة).

وفى كتابه الرائع فيض الخاطر يقول أحمد أمين : -

(ليس المبتسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط بل هم كذلك أقدر على العمل وأكثر احتمالاً للمسئولية وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب والإتيان بعظائم الأمور التى تنفعهم وتنفع الناس.

لو خيرت بين مال كثير أو منصب خطير وبين نفس راضية باسمة لاخترت الثانية فما المال مع العبوس ؟! وما المنصب مع انقباض النفس؟!

وما كل ما فى الحياة إذا كان صاحبه ضيقاً حرجاً كأنه عائد من جنازة حبيب ؟!

وما جمال الزوجة إذا عبست وقلبت بيتها جحيما ؟!

لخير منها - ألف مرة - زوجة لم تبلغ مبلغها فى الجمال وجعلت بيتها جنة.

النفس الباسمة ترى الصعاب فيلذها التغلب عليها تنظرها فتبتسم وتعالجها فتبتسم وتتغلب عليها فتبتسم والنفس العابسة لا ترى صعاباً فتخلفها وإذا رأتها أكبرتها واستصغرت همتها بجانبها فهربت منها وقبعت فى جحرها تسب الدهر والزمان والمكان وتعللت بلو وإذا وإن.

وما الدهر الذى لعنه إلا مزاجه وتربيته إنه يود النجاح فى الحياة ولا يريد أن يدفع ثمنه يرى فى كل طريق أسداً رابضاً.

إنه ينتظر حتى تمطر السماء ذهباً أو تنشق الأرض عن كنز.

ليس يعبَس النفس والوجه كاليأس.

فإذا أردت الابتسام فحارب اليأس.

إن الفرصة سانحة لك وللناس والنجاح مفتوح بابه لك وللناس.

فعود عقلك تفتح الأمل وتوقع الخير فى المستقبل.

فما أحوجنا إلى البسمة وطلاقة الوجه وانشراح الصدر ولطف الروح ولين الجانب.

٤ - ولنا فى حبيبنا ﷺ القدوة الحسنة..

إن انقباض الوجه والعبوس والاشمئزاز والتذمر ومرادفات هذه الكلمات مصطلحات نحذرك وننصحك بمحوها من قاموس حياتك.

طلب عمال أحد المحلات التجارية الكبرى فى باريس رفع أجورهم فرفض ذلك صاحب العمل فما كان من عماله إلا أن اتفقوا أن لا يبتسموا للزبائن كرد فعل على صاحب المحل.

فكانت النتيجة أن انخفض دخل المحل فى الأسبوع الأول حوالى ٦٠٪ عن متوسط دخله فى الأسابيع السابقة فانظر أثر عبوس الوجه.

وصدق ربى الخبير بالنفوس حين قال: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وما أجمل أن نقرأ عن الابتسامة ما أورده ديل كارنيجى فى كتابه الابتسامة..

إنها لا تكلف شيئاً ولكنها تعود بالخير الكثير.

إنها تغنى أولئك الذين يأخذون ولا تفقر أولئك الذين يمنحون !

إنها لا تستغرق أكثر من لمح البصر لكن ذكراها تبقى إلى آخر العمر !

لن تجد أحداً من الغنى بحيث يستغنى عنها ولا من الفقر فى شىء وهو يملك ناصيتها ؟

إنها تشيع السعادة فى البيت وطيب الذكر فى العمل.

وهى التوقيع على ميثاق المحبة بين الأصدقاء.

إنها الراحة للتعب وشعاع الأمل للبائس وأجمل العزاء للمحزون.

وبرغم ذلك فهى لا تشترى ولا تستجدى ولا تقترض ولا تسلب !

إنها شىء ما يكاد يؤتى ثمرته المباركة حتى يتطاير شعاعاً !

فإذا ما أتاك رجالنا ليبيعوك ما تحتاج إليه وألفيتهم من التعب والإرهاق بحيث عز عليهم الابتسام فكن أخا كرم وامنحهم ابتسامة من عندك..

فوالله إن أحوج الناس إلى الابتسامة هو الذى لم يبق لـه شىء من الابتسام ليهبه. ![1]

٥ - هيا يا داعية الإسلام ويا صانع الحياة..... ابتسم:

يا من تريد أن تمتلك مفاتيح القلوب لتغرس فيها الخير والإيمان.

لترتسم على وجهك ابتسامة مشرقة ابتسامة حقيقية تنبع من أعماق قلبك.

ذلك القلب الذى امتلأ بحب الناس ففاض بشراً وسروراً، فالابتسامة لها رونـق وجمـال، وتعابير تضفي على وجه صاحبها الراحة والسرور، بل رتب النبي ﷺ أجراً عليها وقـال ﷺ : **«تبسمك في وجه أخيك صدقة»** وقال ﷺ : **«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»** والإمـام البخـاري جمع أحاديـث كثيرة للرسـول ﷺ وبـوب لها بـاب :(باب التبسم والضحك) دليل على الابتسامة الـتي كـان يحـرص عليهـا الرسـول ﷺ،

---

(١) د/ عمرو الشيخ/ بتصرف/ صيد الفوائد.

والإمام مسلم كذلك في صحيحه أحاديث بوب لها الإمام النووي فقال في كتاب الفضائل.. (باب تبسمه وحسن عشرته) وبوب الشيخ الغماري الأحاديث التي فيها (ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه) في مؤلف سماه (شوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة)، كل هذا وغيره بيان لجوانب تبسمه ﷺ. وهكذا كان الصحابة رضى الله عنهم فقد قيل لعمر رضى الله عنه هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون. قال : نعم والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي. يقول الشاعر :

هشت لك الدنيا فما لك واجماً ::: وتبسمت فعلام لا تتبسم

إن كنت مكتئباً لعز قد مضى ::: هيهات يرجعه إليك تندم

٦ - موانع الابتسامة :

لنقف أخي الكريم على أهم أسباب موانع الابتسامة عند البعض..

١- الظن أن ذلك من الجدية : يظن البعض أن عدم الابتسام هو جزء من الجدية التي لابد منها في شخصية الإنسان وهي من كمال الدين، وهذا ظن ليس في محله حيث إن الناس جُبلوا على الميل والمحبة لمن يبش في وجوههم، وأما ما يتعلق بالجدية فإنه لا يوجد أكثر من جدية الرسول ﷺ وعن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : (نعم كثيراً، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون، ويبتسم)[1]. ولم يكن هذا التبسم لينقص من مكانته ﷺ وإنما هو اللطف الذي ما خالط شيئاً إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.

٢- الخوف من قسوة القلب : يخلط بعض الناس بين الإكثار من الضحك والذي أخبر به الرسول ﷺ أنه سبيل لموت القلب وبين أهمية وضرورة الابتسام والضحك المعتدل لتقويم النفس وإزالة الهم وكسب الآخرين.. وعلينا الانتباه جيداً إلى شطحات الزهاد فإنها كثيرة كقولهم : (ما ضحك فلان قط) أو(ما رأي فلان إلا مهموماً) فهذا خلاف الفطرة والسنة النبوية. وما جاء في نص الحديث الذي رواه ابن ماجه بإسناد صحيح: **«لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»** فلم ينه عن الضحك إنما نهى عن كثرته.

---

(١) رواه مسلم.

٣- ظروف النشأة : لها دور كبير في حياة الإنسان، فمن يولد بين أبوين غضوبين تقل الابتسامة على محياه، فلا تراه مبتسماً أبداً، وهذا تبعاً للظروف البيئية التي تحيطه.

٤. طبيعة الإنسان العصبية، وكثرة سوء الظن عنده، وتعامل الصعب كلها عوامل تدفع الإنسان إلى قلة التبسم.

٧ - الهدية :

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«تهادوا تحابوا»** (١).

إن الهدية تورث المحبة، ولها ذكرياتها الخاصة، ويجب على الداعية ألا يؤخر تقديم شيء من الهدايا ولو كانت متواضعة، فالهدية عنوان المحبة، وهذه الهدية ليست لمن تربطك به علاقة قديمة، بل إذا أراد الداعية أن يكسب فرداً جديداً فيجب عليه أن يقدم له هدية، حتى ولو قَلَّت قيمتها، ولكنها ستمهد الطريق إلى قلب المدعو، الذي سيأتي إليك تلقائياً وسيبادلك الهدية والحديث، وسيوحي إليك بكثير من أسراره وآلامه، أما الذي يجعلك تضع العلاج لبعض تلك المشاكل التي يعاني منها، فيجب على الداعية أن يربط تلك القضايا بالدين حتى يتمكن الإيمان من قلب المدعو، مع الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى.

لله در الهدية! تلك الوسيلة التي تطفئ نيران الضغائن، وتحل أعقد الأزمات والمشكلات والنزاعات، فللهدية عظيم الأثر، وجسيم الخبر في استجلاب المحبة وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب.

وهي دليل على الحب، وبريد إلى القلب، وهي شعار التقدير، وعنوان التكريم، ولذلك فقد قبل النبي ﷺ الهدية، ومنحها، وأقرها، وأخذها من المسلم والكافر، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل، وحث النبي ﷺ على التهادي، فبها تطيب القلوب وتذهب وحر الخصومة.

٨ - الهدية سبيل الحب :

نعم، الهدية سبيل الحب، وبساط الود، وأكسير الألفة، لقول نبي الرحمة ﷺ : **«تهادوا تحابوا»** (٢).

---

(١) البيهقي في الكبرى٦/ ١٦٩، وإرواء الغليل ٦/ ٤٤.

(٢) رواه البخاري.

قال القرطبي : "فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، وفيه الأسوة الحسنة، ومـن فضـل الهدية – مع اتباع السنة – أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنـة في اللقاء والجلوس".

وانظر إلى صنيع بلقيس!

فقد كانت – بحق – عبقرية؛ عندما استخدمت سلاح الهدية؛ وأثره في تغيير النفوس، محاولة منها لاستقطاب أعظم ملوك الدنيا آنذاك، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)﴾ [النمل: ٣٥].

قال قتادة: "يرحمها الله! إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها؛ قد علمت أن الهدايـة تقـع موقعا من الناس!".

ولهذا أُثر عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الهدية تأخذ بالسمع والبصر والقلب»** (١).

وقال: **«تَهَادَوا تَحَابُّوا نِعْمَ مِفْتَاحُ الحَاجَةِ الهَدِيةُ»** (٢).

٩ - الصحابة والتابعون وهداياهم:

وانظر وتأمل كيف كانت هدايا الصحابة والتابعين، كيـف كـانوا أذكيـاء عنـدما عاشـوا معاني وقيم "الهدية" في حياتهم اليومية، وكيف أصبحنا أغبيـاء – عفـواً – عنـدما ماتـت فينـا ومن بيننا ومن حولنا أخلاق "التهادي".

* وأقبل سعيد بن العاص يوماً يمشي وحده في المسـجد، فقـام إليـه رجـل مـن قـريش، فمشى عن يمينه، فلما بلغا دار سعيد، التفت إليه سعيد؛ فقال: مـا حاجتـك قـال: لا حاجـة لي؛ رأيتك تمشي وحدك فوصلتك. فقال سعيد لجاريته: ماذا لنا عندك؟ قالت: ثلاثـون ألفـا. قال ادفعيها إليه.

* كان شريح إذا أهديت لـه هدية لم يرد الطبق إلا وعليه شيء.

---

(١) ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق ١١٠.
(٢) الأمثال في الحديث ٢٨٨.

* وأهديت إلى إبراهيم بن أدهم هدية، فلم يكن عنده شيء يكافئه، فنزع فروه؛ فجعله في الطبق وبعث به إليه!

ولا تَرد الهدية.. مهما كانت حقيرة:

وإياك، إياك أن تستصغر الهدية مهما ضعفت، وتحتقر المنحة مهما صغرت، وتتكبر على الأعطية مهما حقرت..

لقول النبي ﷺ : **«لو أهدي إلي كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت»**.

(صحيح) والكراع: من الدابة ما دون الكعب. يعني شيء هين لا يذكر.

وإذا رددت الهدية.. فبين سبب ردها.

فلو أهدي إليك ما حُرم، أو ما لك فيه عذر لرده، فبين ذلك لصاحب الهدية، ووضح له الأمر بسماحة ولطافة مرفقة بابتسامة، جبرًا للخاطر.

ففي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشيًا، وهو بالأبواء أو بودان، فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال: "أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم".

٩ - واظفر قلوب هؤلاء.. بالهدية:

١ - الأقربون أولى بالمعروف، وعلى رأسهم الآباء والأمهات.

٢ - من يختلف معك في الفكر أو المذهب..

٣ - من يحرص على الإساءة إليك، أو التجريح فيك، أو النيل من عرضك.

٤ - من ترغب في هدايته إلى طريق الالتزام والتدين.

٥ - من ترغب في ضمه إلى العمل الجماعي الخيري أو التطوعي.

كان هذا هو مجال الكلام، فبقي ميدان العمل، فقم، وانهض وطبق هذه السنة الميتة، فاحرص على الهدية ولو كانت رمزية، ولو سمحت بعد فراغك من قراءة هذه الصفحة.. قم بتوزيع شيء من الهدايا قدر استطاعتك على الأحباب والفقراء.

١٠ - استخدام بعض المزاح:

لا بأس من استعمال شيء من الدعابة والمزاح المباح، وذلك لإبعاد استثقال المدعو للداعية، فالداعية إذا كان مرحاً كان هذا أدعى لأن يحبه المدعوون - ولكن من دون إفراط فقد كان ﷺ يستخدم المزاح، ولكنه إن مزح لا يقول إلا حقاً وروى الترمذي في الشمائل عن الحسن البصري رحمه الله قال: أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة فقال: «**يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز**» فولَّت تلك العجوز تبكي، فقال ﷺ: «**أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]».

وهذا الأثر حسنه الإمام الألباني في مختصر الشمائل:

وللأسف الشديد أصبح المتدينون يُعرفون الآن بالتكشير، وعدم المزاح، والتعصب والتشدد، وذلك فهم خاطئ طبعاً، بل يجب على المسلم أن يكون به شيء من المزاح، وأن يقول الحق فيه كما كان النبي ﷺ والصحابة والسلف الصالح فقد كان الشعبي يمزح والأعمش كذلك وكثير من المحدثين من سلف هذه الأمة، وخير الأمور أوسطها.

* * * * *

الفصل الثاني

الدعوة إلى الله بالحكمة في ضوء القرآن والسنة

المبحث الأول
أهمية الموضوع

تظهر أهمية موضوع الحكمة من خلال التأمل في العناصر الآتية:

١ – أن لفظ الحكيم " ورد في القرآن الكريم عشرات المرات [(١)].

٢ – الحكيم اسم من أسماء الله تعالى.

٣ – أن الله قد أمر بالحكمة فقال – سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

٤ – أن الله أثنى على صاحب الحكمة، فقال: ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وامتن الله على لقمان حيث آتاه الحكمة فقال: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ ﴾ [لقمان: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ﴾ [يوسف: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

٥ – أن الحكمة هي : الفقه في دين الله، كما فسرها كثير من السلف، الرسول ﷺ يقول: **«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»** [(٢)].

٦ – أن الحكمة ضالة المؤمن، متى وجدها فهو أحق بها.

٧ – أن الرسول ﷺ دعا لابن عمه – عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: **«اللهم علمه الحكمة»** [(٣)].

٨ – أن مدار نجاح الدعوات على الحكمة.

٩ – أن الصحوة الإسلامية في يقظتها المعاصرة أحوج ما تكون إلى الحكماء.

---

(١) حكيم ٨١ مرة وحكيما ١٦ مرة.

(٢) البخاري٧١ ومسلم١٠٣٧ عن معاوية رضي الله عنه.

(٣) البخاري ٣٧٥٦.

١٠ - أن بعض المواقف والأعمال التي قامت بها الجماعات الإسلامية، وبعض الـدعاة كانت تفتقر إلى الحكمة، كالدخول في معارك عسكرية مع الأنظمة، حتى وإن كانت كافرة[1]، وقد جرّت مثل هذه الأعمال على أمتنا عموماً وعلى الدعاة خصوصاً الويلات ومثـل ذلـك أسلوب الاغتيالات، أو إحراق أماكن الفساد في بلد لا يملك فيه المسلمون السلطة وكل ذلك بسبب عدم الحكمة الناشئ من الجهل في فهم النصوص ودلالاتها.

ومن خلال ما بينت تتضح لنا أهمية الحكمة والحديث عنها في ضوء القرآن والسنة.

ولقد ورد للحكمة عدة معانٍ ما بين خاصة وعامة.

* * * * *

(١) وهذا لا يعني إبطال الجهاد، فالجهاد ماض إلى يوم القيامة، ولكن الجهاد لـه شروطه وأسبابه، وأحكامه.

المبحث الثاني
معنى الحكمة

المعنى اللغوي للحكمة :

قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم فصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها.

وقال ابن منظور:قيل الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم(١).

وقال في تاج العروس: الحكمة بالكسر – العدل في القضاء كالحكم، والحكمة العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها، وبهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ويقال: هي هيئة القوة العقلية العلمية، وقيل: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل. فالحكمة من الله: معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفته، وفعل الخيرات، وأحكمه: منعه من الفساد(٢).

هذه أهم المعاني اللغوية التي وردت في الحكمة وأصلها وكلها يدور حول المنع لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه أو ما قد يندم عليه وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم.

٢ - أهمية الحكمة في الدعوة:

يقول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩]، إذا فالحكمة منة، ونعمة عظيمة من الله تعالى – يمن بها على من يشاء من عبادة، وهي من الأشياء التي يمكن اكتسابها بالمراس والمران،ويعرف ابن القيم – رحمه الله تعالى – الحكمة بأنها : (فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي)(٣).

---

(١) لسان العرب مادة حكم(١٥/ ٣٠).
(٢) تاج العروس مادة حكم ٨/ ٣٥٣.
(٣) مدارج السالكين.

يقول ابن سعدي – رحمه الله – في تفسير : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده، ومن الحكمة، الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر، والنهي المقرون بالترغيب والترهيب...

إذاً فالحكمة في الدعوة أمر مطلوب، والداعي إلى الله مأمور بتوخي الحكمة حين دعوته ومصداق ذلك قول الله – تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله – سبحانه: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وحينما طبق الصحابة – رضوان الله عليهم – الحكمة في دعوتهم، وساروا على هدي المصطفى ﷺ ونهجه دخل الناس في الإسلام أفواجا، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض.

لكن لا يُفهم من الحكمة في الدعوة أنها تعني الرفق، والحلم مع المدعو فحسب، بل إن مراتب الحكمة تتجاوز ذلك كثيراً.

فمن الحكمة أن يكون الداعي رفيقاً ليناً مع المدعوين كما قال – تعالى – عن نبيه ﷺ : ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال – سبحانه – مخاطباً موسى وهارون – عليهما السلام: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٣ – ٤٤]، من الحكمة أحياناً استخدام الشدة والتأنيب أحياناً، ذلك لأن الحكمة تعني وضع كل شيء في موضعه، فهي لين في وقت اللين، وشدة في وقت الشدة. يقول الله – تعالى – على لسان موسى – عليه السلام – مخاطباً فرعون لما طغى وتكبر : ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ويقول – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة: ٧٣]، وإن من الحكمة أيضاً أن يكون الداعي قدوة في قوله وفعله،

يقول الله – تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الصف: ٢ – ٣]. ومن أصول الحكمة مراعاة حال المدعوين، إذ ليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد في الدعوة مع الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمتعلم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والهادئ والغضوب، بل لا بد من تنويع أسلوب المخاطبة كل بما يناسبه. يقول – تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٤].

إن الداعي الناجح هو الذي يعطي كل إنسان ما يلزمه من أفكار وتوجيهات، ويحاول أن يقنعه بالأسلوب الذي يناسبه، ويناسب مداركه.

يقول سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله: (ومن الحكمة إيضاح المعنى وبيانه بالأساليب المؤثرة التي يفهمها المدعو وبلغته التي يفهمها حتى لا تبقى عنده شبهة، وحتى لا يخفى عليه الحق بسبب عدم البيان، أو بسبب عدم إقناعه بلغته، أو بسبب تعارض بعض الأدلة، وعدم بيان المرجح، فإذا كان هناك ما يوجب الموعظة وعظ وذكر بالآيات الزواجر، والأحاديث التي فيها الترغيب والترهيب، حتى ينتبه المدعو، ويرق قلبه، وينقاد للحق، فالمقام قد يحتاج فيه المدعو إلى موعظة وترغيب وترهيب على حسب حاله، وقد يكون مستعداً لقبول الحق، فعند أقل تنبيه يقبل الحق، وتكفيه الحكمة، وقد يكون عنده بعض التمنع، وبعض الإعراض فيحتاج إلى موعظة وإلى توجيه وإلى ذكر آيات الزجر)[١].

٣ – ومن مراتب الحكمة :

المجادلة بالتي هي أحسن من ضرب الأمثلة، وبيان الحق بالأدلة العقلية والنقلية، وإعطاء الحجج الصادقة، ونقض الحجج الباطلة، مع تحري الوصول إلى الحق، يقول الله – تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وليحذر الداعي أن يتحول قصده من الدعوة إلى إظهار التفوق في النقاش، أو الغلبة في الجدل، ولكن ليكن القصد والغاية الإقناع والوصول إلى الحق.

(١) من أقوال الشيخ ابن باز في الدعوة ص/ ٦٤.

كما أن من أعلى المراتب التي يجب أن يتحلى بها الداعي إلى الله دفع السيئة بالحسنة، وهي مرتبة رفيعة لا ينالها إلا فئة نالت حظاً عظيماً كما قال - سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥]، وفي جميع الأحوال يجب على الداعي قول الحق، والصبر على الأذى، صبر المؤمنين العاملين، لا صبر الخانعين المستسلمين[1]،وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - قال: **«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»** [2].

* * * * *

(١) شبكة الفجر في القرآن الكريم.

(٢) رواه البخارى.

المبحث الثالث
الحكمة في القرآن الكريم

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لعدة معاني: واختلف المفسرون في تفسير الآيات الواردة في لفظ الحكمة، فنجد مقاتل - كما ذكر الرازي - يقول: تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه:

أولها: مواعظ القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وثانيها: الفهم والعلم:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام: ٨٩].

ثالثها: النبوة:

في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

رابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار:

في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

* وقال ابن كثير : قال علي بن طلحه عن ابن عباس رضى الله عنه : يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[1].

* وقال أيضاً: روي عن ابن عباس مرفوعاً: الحكمة القرآن، يعني تفسيره.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن. وقال إبراهيم النخعي: الحكمة: الفهم.

* وقال أبو مالك: الحكمة: السنّة.

* وقال زيد بن أسلم:الحكمة: العقل.

* وقال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هي:" الفقه في الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله".

* وقال عبد الرحمن السعدي مفسراً للحكمة: "الحكمة هي: العلوم النافعة والمعارف الصائبة، العقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصحة في الأقوال والأفعال ثم قال: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة التي هي: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام في موضع الإحجام[2].

* وقال القاسمي في تفسير الحكمة: قال كثيرون :الحكمة: إتقان العلم والعمل، وبعبارة أخرى:معرفة الحق والعمل به[3].

* وقال رشيد رضا مفسراً الحكمة: التمييز بين ما يقع في النفس من الإلهام الإلهي والوسواس الشيطاني[4].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٢٢.
(٢) تفسير ابن السعدي ١/ ٣٣٢.
(٣) انظر تفسير القاسمي ١/ ٢٤٥.
(٤) المنار ٣/ ٧٥.

* أما ابن عاشور فقد قال: وفسرت الحكمة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة، أي: بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ولا يُغلط في العلل والأسباب[1]، ونختم بما قاله الشيخ سيد قطب رحمه الله في تفسيره بأنها: القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال [2].

- ونستطيع أن نقول: إن المفسرين فسروا الحكمة بتفسيرين: الأول: النبوة.
- الثاني: العلم والإتقان، والتوفيق، والبصيرة، والعمل الصائب، ومنع الظلم، ووضع الشيء في موضعه، وكلها معان متقاربة.

أمثلة من الحكمة في القرآن الكريم:

١ - قصة أصحاب الكهف:

إن قصة أصحاب الكهف قصة عجيبة، ولن أقف عند تفصيل القصة ولكن أريد أن أشير إلى موقف الحكمة في تصرف هؤلاء الفتية وقدرتهم على تجاوز المحنة التي مروا بها.

ذكر ابن كثير نقلاً عن غير واحد من السلف والخلف أن هؤلاء الفتية كانوا من أبناء ملوك الروم وساداتهم وقد فارقوا قومهم لما رأوا منهم عبادة غير الله حيث كانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، ولهم ملك جبار عنيد، فاتفقوا على اعتزال قومهم، واتخاذ مكان بعيد يعبدون الله فيه، فأحضرهم الملك بين يديه وسألهم عن أمرهم وما هم عليه، فأجابوه بالحق، ودعوه إلى الله وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٤].

وفي النهاية ما كان من الملك إلا أن رفض دعوتهم وتوعدهم حتى يرجعوا إلى دين قومهم، وأعطاهم مهلة لينظروا في أمرهم، وبعد ذلك اجتمعوا وقرروا الفرار بدينهم مرة أخرى إلى مكان آخر، وهو الكهف الذي لجأوا إليه وتظهر الحكمة في قصتهم لما يلي:

---

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٦١.
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣١٢.

- أن هدايتهم إلى دين الله، وعدم تقليد قومهم فيما هم عليه هو عين الحكمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- اعتزالهم لقومهم بعد أن أدركوا أنه لا ينفع معهم نصح ولا دعوة، وهذه هي العزلة المشروعة، وبخاصة عند وقوع الفتن أو الخشية منها، وهذا مصداق الحديث الصحيح: **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتَّبِع بها شعف الجبال ومواقع القَطْر**[1] **يفر بدينه من الفتن»** [2].

صمودهم للحق عند مواجهتهم للباطل:

العزلة الثانية كانت عزلة سرية، لأن العزلة الأولى كانت عزلة دون تخوف، أما العزلة الثانية فكانت سرية لا يُعلم مكانهم لما قد يترتب على ذلك من مفاسد: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٠].

حكمتهم في قضاء حوائجهم: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١٩].

إن هذه القصة قصة عجيبة فيها الحكمة، والعبرة، وبيان منهج الدعوة وحسن استخدام الوسائل، وتقدير المصالح والمفاسد، ومعرفة ما آلت إليه الأمور، إلى غير ذلك من الدروس والعبر.

٢ – قصة سليمان وملكة سبأ:

سنقتصر في هذه القصة على النص القرآني الذي نقف عنده على بعض المواقف التي نلتمس فيها الحكمة في التصرف في اتخاذ القرار.

أول موقف نراه هو عناية سليمان لرعيته وتفقده لأحوالهم: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النمل: ٢٠].

---

(١) المطر.

(٢) سنن أبي داود كتاب الفتن والملاحم٣٧٢٢.

سليمان عليه السلام لا يتعجل في الحكم على غياب الهدهد، ولكن وضع الاحتمال الأول في السؤال عن السبب في عدم رؤيته، فقد يكون موجوداً ولكن سليمان لم يره لسبب من الأسباب: ﴿ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠].

إنه المنهج لعدم العجلة قبل اتخاذ القرار.

وعندما تأكد سليمان أنه كان غائباً أصدر القرار العادل: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [النمل: ٢١].

العذاب الشديد، أو الذبح، أو البراءة، وهي التي تنجيه من إحدى هاتين العقوبتين بشرط أن يجيء بسلطان مبين، فسليمان عليه السلام لم يغر بملكه وقوته وقدرته، ليتسلط على هذا المخلوق الضعيف، لماذا؟ لأنه يعلم قدرة الله عليه. وبعد أن ثبتت براءة الهدهد بأن جاء بسلطان مبين: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢].

إنه منهج للعدل، وأسلوب في القيادة يندر لـه المثيل.

يسمع سليمان عليه السلام خبر سبأ كما حكاه الهدهد، والخبر في غاية الأهمية، إنه خبر يزلزل الجبال، ملك قوي، عرش عظيم ويعبدون غير الله، كل هذا وهم في جوار سليمان، فقد يهددون ملكه ذات يوم، ومع هذا فلا يتعجل عليه السلام ويلتزم منهج التثبت، مع أنه يعلم أن الهدهد أقل من أن يكذب عليه وبخاصة أن الهدهد بحاجة إلى براءة ساحته بعد تخلفه وغيابه، فمن المستبعد أن يضيف إلى جانب ذلك جريمة لا تغتفر، فإذا كانت عقوبة الغياب بدون إذن هو العذاب أو القتل، فماذا ستكون عقوبة الكذب؟! المهم أن سليمان عليه السلام ما أخذته العاطفة وظل ملتزماً بمنهج التثبت، ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: ٢٧]، وهذا عين الحكمة وأساسها.

ويكتب سليمان الرسالة بأسلوب عجيب، حتى مع أعدائه، أسلوب رائع حكيم، يقتحم شغاف القلوب ويسيطر عليها مع إيجاز وقوة وبيان: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: ٣٠ – ٣١].

وعندما يسمع المرء خبر الهدهد وأن هؤلاء القوم تتزعمهم امرأة، يتساءل: أليس فيهم رجال؟!، ولكن عندما يرى كيف كانت هذه المرأة تقود قومها بالحنكة والسياسة والحكمة لا يستغرب ذلك ويدرك سر ذلك الاختيار[1]؛ ولننظر إلى شيء من حكمتها في قيادة قومها:

أ - فهي تلتزم منهج الشورى وتسلكه، ولا تقطع أمراً دون عقلاء قومها: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [النمل: ٣٢].

ب - عندما فوضها القوم باتخاذ القرار المناسب كانت حكيمة وعاقلة لم تستخف بقوة سليمان، ولم يدخلها الغرور بقول قومها: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [النمل: ٣٣]، بل كان رأيها الصائب وموقفها الحكيم: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤]، ولهذا كان لابد لها من اتخاذ خطوة عملية تكشف حقيقة العدو قبل الدخول في معركة قد تكون خاسرة: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥].

ونستمر مع هذه التصرفات الحكيمة، والقرارات الصائبة، حيث جاء جواب سليمان على رسالتها - الهدية: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: ٣٦ - ٣٧].

الآن نقارن بين الرسالة الأولى للدعوة في رقتها، ولينها، وقوتها، وبين هذه الرسالة الثانية في صرامتها وحزمها وبلاغة أسلوبها، وهذه هي الحكمة؛ وضع الشيء في موضعه، ولقد فعل سليمان عليه السلام ما ينبغي كما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، فقد آتاه الله الملك والحكمة كما آتى أباه عليهما السلام.

وأخيراً تتخذ المرأة القرار الحاسم الحكيم، الذي يعجز عن اتخاذه كثير من الرجال بسبب الهوى والتعصب والتقليد، إنه قرار الاستجابة لسليمان، ودعوته طائعة مختارة.

---

(١) وتولية المرأة الإمامة العظمى غير جائز عند جماهير العلماء وهو الراجح، ولكن هؤلاء القوم كانوا كفاراً، وليس بعد الكفر ذنب.

أما غاية الحكمة وذروتها في موقف سليمان عليه السلام مما حدث فهل داخله الغرور والعجب من نفسه – حاشاه من ذلك – بل قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أحبائي في الله: ما أحوجنا إلى تأمل هذه القصة والاستفادة منها بجميع أطرافها: سليمان عليه السلام، ملكة سبأ، الهدهد وإليك إبراز مواطن الحكمة في هذه القصة من خلال ما يلي:

- العدل.
- التثبت.
- بُعد الرؤية، وسعة الأفق.
- إتقان قاعدة المصالح والمفاسد؛ وهذا أمر مهم جداً في مسألة الدعوة إلى الله، مع العلم بأن درء المفاسد أوجب من جلب المصالح.
- القوة بدون عنف، واللين بدون ضعف.
- أداء المسئولية على وجهها.
- الشورى.
- نسبة الفضل لأهله.
- التنبه والحذر من الاستدراج.
- القوة في اتخاذ القرار في الوقت المناسب.
- الهدهد وما كان من أمره في التقصي والبحث والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فقد كان سبباً في إدخال هذه الأمة الكبيرة في دين الله عز وجل، فهلاَ دعونا إلى الله وحملنا هم الدعوة وأمر تبليغها إلى غير المسلمين وتذكير المسلمين المقصرين فيها، ونسأل الله الهداية لنا وللجميع.

٣ - هدهد التوحيد:

طائر التوحيد والعقيدة..

نعم ذلك الطائر الغيور على توحيد الله وإفراد الرب تبارك وتعالى بالعبادة.. لا تسألوا عن نسبه أو عن شرفه أو حتى عن قبيلته !!

ولا تسألوا عن لون بشرته !!

ولا حتى عن مظهره وشكله وجماله !!

ذلك الطائر هو : "هدهد التوحيد".

هذا هو نسبه، وذلك هو شرفه، "هدهد التوحيد" كما سُمي سلمان الفارسي "ابن الإسلام". قصَّ الله تبارك وتعالى علينا قصته ومحاورته مع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام وسأكتفي في هذه القصة بما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى؛ لأنه هو الهدى والنور والشفاء، ولن أتعرض للإسرائيليات الواردة في التفاسير فهي كثيرة، ولا تهم، إذ المهم للمؤمن هو أن ينشغل بكلام الله تبارك وتعالى وما أُبهم من كلام الله مما لم يرد فيه نصٌّ صحيح، فلا داعي للانشغال بهذا النوع من الفضول من العلم، وقد ذمَّ الله تبارك وتعالى التكاثر حين أصبحَ ملهاةً ومشغلة عن المقصود. وفي هذا المقام أذكر ما قاله ابن كثير - يرحمه الله - : " والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما يوجد في صحفهم، من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ. وقد أغنانا الله، سبحانه، عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة"[١] قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - (فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير. والله أعلم)[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير - ج ٦ / ص ١٩٧.

(٢) تفسير السعدي - ج ١ / ص ٦٠٥.

نص القصة مع توضيح شيء من معانيها :

أخبر تبارك وتعالى أن سليمان عليه الصلاة والسلام تفقدَ الطير وهـو الهدهـد ولم يجـده، فقال : لأعذبنه عذاباً شديداً؛ لأنه تغيب ولم يخبرني بتغيبه، أو ليأتي إليَّ بدليل مقنع يبين فيـه عذره، ثم لم يمكث طويلاً حتى جاء "هدهد التوحيد" فقال مباشرة لنبي الله : لقد أحطتُ بما لم تحط به حيثُ ذهبتُ إلى سبأ وجئتكَ بنبأ يقين وهو أني رأيت امرأة تملكهم وأوتيت مـن كـل ما يحتاجه الملوك من العظمة والفخامة، ولكني وجدتها وقومها يسـجدون للشـمس مـن دون الله تبارك وتعالى؛ حيثُ زيَّن لهم الشيطان هذه الأعمال وصدهم عن سبيل التوحيـد وتفريـد الرب تبارك وتعالى بالسجود وأنواع الطاعات والقربات.

ثم وكله سليمان عليه السلام بإبلاغ الخطاب بعد أن افتتحه بالبسملة التي اشتملت على جملة من صفات الرب تبارك وتعالى، ثم قال بعد البسملة : ألاَّ تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين. وهذا الخطاب في غاية الوجازة مع البيان التام فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها والانقياد لأمره والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب، ثم أخبر سليمان الهدهد بأنه إذا ألقى لهم هذا الخطاب أن ينظر ماذا يردونَ عليه في هذه الدعوة فقال لـه : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: ٢٨]. ثم وصل الخطاب إلى الملكة وقالت لقومها بعد أن جمعتهم ودارت بينها وبين قومها هذا الحوار: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٥]،وهكذا بعد أن قرروا في هذا الاجتماع الطارئ أن يرسلوا لنبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام بهدية !! وذلك حرصاً منهم عن أن يتنازل عن دعوته وتوحيده وعقيدته، لعله أن يطمع في هذه الهدية ويسكت عنها، وهكذا فأهل الباطل يستعملون هذا النوع لغسل عقل الإنسان يغروه بالدنيا وبالمال أو بالزوجة ونحو ذلك ليصدوه عن عقيدته وعن دعوته للتوحيد، وقد حصلَ هذا مع نبينا محمد ﷺ حينما جاءه كفار قريش فقالوا لـه

:[إن كنت تريد بما جئت به مالاً؛ جمعنا لك من أموالنا؛ حتى تصبح أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد بما جئت به جاهاً؛ سودناك علينا فلا نقطع أمراً دون أن نستشيرك، وإن كنت تريد ملكاً؛ ملكناك علينا فتصير ملك مكة، وإن كان هذا الذي يحدث لك شيئاً من الجن؛ طلبنا لك الطب ونذرنا فيه أموالنا حتى تشفى، وإن كنت تريد أن تتزوج امرأة جميلة زوّجناك أجمل فتيات قريش].

قال ابن سعدي رحمه الله: [دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: " وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال " أو " فتش عن الهدهد " أو: " بحث عنه " ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضا فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف – مع ذلك – يحتاج إلى الهدهد؟" وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله ﷺ ردها إلى هذا

الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى أو لفظاً أو معنى ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير[1].

فعند وصول هذه الهدية لنبي الله سليمان عليه السلام تذكرَ ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من النعم والخيرات وتسخير الجن والإنس والطير وتعليم الله له منطق الطير ولغاتها قال بعد أن تذكر هذه النعم وعلى رأسها نعمة التوحيد والهداية والإيمان لعبادة الرحمن وترك عبادة الهوى والشيطان قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النمل: ٣٦]. لأنكم تحبون الدنيا، وتعيشون من أجلها.

وهكذا نبينا عليه الصلاة والسلام لما رغبه كفار قريش في الدنيا وخوفوه من مخالفتهم قال لعمه: **«يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر – حتى يظهره الله أو أهلك فيه – ما تركته»** فليس هدف الأنبياء الدنيا والسلطان والجاه وإنما هدفهم إعلاء كلمة الله تعالى.

ثم أمر سليمان عليه السلام بإرجاع الهدية إليهم وتوعدهم على عدم استجابتهم له حين قال لهم في رسالته التي أرسلها مع " هدهد التوحيد " : ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: ٣١]. ومما توعدهم به لعدم استجابتهم لدعوة التوحيد والاستسلام لله تبارك وتعالى أنه قال له: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل: ٣٧]، ولكن هذه المرحلة جاءت بعد الدعوة الكلامية، فهو عليه الصلاة والسلام لم يبغتهم بالقتال ولم يفجأهم به، بل أرسل لهم الدعوة بالإسلام أولاً. ثم قال سليمان عليه السلام لجنوده: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النمل: ٣٨].

---

(١) تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٦٠٢).

وقد أخبره الهدهد أنَّ لها عرشاً عظيماً حين قال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣﴾ [النمل: ٢٣].

ثم انبرى لطلب سليمان عليه السلام بالإتيان للعرش اثنان :

أما الأول : فهو عفريتٌ من الجن وهو القوي النشيط من الجن وقال لـه : ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ۝٣٩﴾ [النمل: ٣٩].

فالظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر شهران ذهاباً وشهران إياباً، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا ألتـزم بـالمجيء بـه علـى كـبره وثقلـه، وبعده قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكـون معظـم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر[1].

وأما الثاني : فهو الذي وصفه الله تعالى بأنه الذي عنده علمٌ من الكتاب حيثُ قال : ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

فلما جاء الذي عنده علم من الكتاب بالعرش توجه نبي الله سليمان عليه السلام بحمد الله تبارك وتعالى وعلمَ أنَّ هذا من فضل الله تعالى عليه فأسندَ النعمة إلى ربه تبارك وتعالى ثم بعد ذلك قال سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ۝٤٢﴾ [النمل: ٤١ – ٤٢].

ثم بعد أن رأت عرشها العظيم عندَ نبي الله سليمان: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٤﴾ [النمل: ٤٤].

والصرح : هو القصر وكل بناء مرتفع، والممرد أي: المبنى بناء محكماً أملس، وقولـه: ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤] أي: زجاج. وتمريد البناء تمليسه.

والغرض أن سليمان، عليه السلام، اتخذ قصراً عظيماً منيفاً من زجاج لهذه الملكة؛ ليريها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله، تعالى، وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في

---

(١) انظر تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٦٠٥).

أمره انقادت لأمر الله وعَرَفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، فأسلمت لله، عز وجل، وقالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ [النمل: ٤٤] أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله، ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤] أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده، لا شريك لـه، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا (١).

٤ - قصة لقمان وابنه :

شهد الله بحكمة لقمان، القول الراجح أنه ليس نبياً (٢)، وقد ورد في حكمة لقمان آثار كثيرة، ذكرها المفسرون، ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، ولكنني سأقف على ما نلمسه من حكمة في هذه القصة التي ذكرها القرآن حين وصى لقمان ابنه:

أ – أول ما يشدنا في هذه القصة: حسن الأسلوب الذي يستخدمه لقمان أثناء دعوته لابنه، حتى إنه يخاطبه بأحب الألقاب إليه، وأقربها إلى نفسه(يا بني) وبهذا يتمكن من السيطرة على قلبه وعقله، وذلك أدعى لقبول النصح والوعظ وأن مبعثه الحب والشفقة والقربى.

ب – أن لقمان جمع في وعظه لابنه بين الأصول والفروع، والأقوال، والأفعال، والاعتقاد، والأمر، والنهي. فها هو ينهاه عن الشرك ثم يأمره بالصلاة، ويذكره بعدل الله، وشمول علمه وإحاطته، ثم نجده يأمره بأن يقوم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينهاه عن الكبر والخيلاء، والعجب، والغرور، حتى مشيته يبين لـه كيف تكون، وصوته لـه ضوابط وموازين.

ج – أن وصايا لقمان لابنه بلغت عشراً بين أمرٍ، ونهيٍ، وإخبار بمعنى الأمر أو النهي، كل هذا في كلمات قصيرة جميلة بعيدة عن التكلف، وهذا من الحكمة، ولهذا جاءت الحكمة والأمثال من كلمات قصيرة المبنى كبيرة المعنى، وهذا ما نلمسه في وصية لقمان لابنه.

د – الدروس التي يجب على كل داعية أن يخرج بها من قصة لقمان في دعوته أهمها:

- حسن الأسلوب، واختيار أفضل الكلمات للوصول إلى قلب المدعوين.

---

(١) تفسير ابن كثير – (ج ٦ / ص ١٩٧).

(٢) تفسير ابن كثير٣/ ٤٤٣، وتفسير القاسمي ٣/ ٤٧٩٦.

- التركيز على الأصول من التوحيد وغيره، مع عدم الإخلال بالفروع.
- الإيجاز في القول مع التركيز والشمول.
- لابد لكل داعية أن يعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالأمر الهين ولا اليسير وذلك يخشى على صاحبه من المزالق، ويستطيع الداعية أن يتخلص من ذلك بالصبر الذي ذكره الله في القرآن ٩٠ مرة وكذلك التواضع، ومن المهم التزام منهج الوسطية في الأمور كلها، وهذه وقفة سريعة مع هذه القصة العظيمة التي تفيض لنا حكمة وفقهاً وعلماً: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

* * * * *

المبحث الرابع
الحكمة في السنة

السنة كما نعلم هي المفسرة للقرآن، وهي المصدر الثاني للتشريع، ولذا سنذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في الحكمة مع الاختصار في ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما – قال: " ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره، وقال: **«اللهم علمه الحكمة»** [(١)].

قال البخاري:" الحكمة: الإصابة في غير النبوة".

قال ابن حجر: "واختلف في المراد بالحكمة هنا: فقيل: الإصابة في القول.

وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نورٌ يفرق به بين الإلهام والوسواس، ومنهم من فسر الحكمة هنا بالقرآن[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: **«فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فترل جبريل ففرغ صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بتسط من ذهب ممتلئ رحمة وإيمان فأفرغه في صدري ثم أطبقه»** [(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسُلِّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها»**[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٧٣.
(٢) انظر فتح الباري٧/ ١٠٠ والحكمة في الدعوة إلى الله ص ٢٣.
(٣) رواه البخاري ٣٤٩، مسلم ١٦٣.
(٤) رواه البخاري٧١ ومسلم١٣٥٢.

والحكمة هنا فسرت بالقرآن.

قال ابن الصلاح:" إن المراد بالحكمة: العلم المشتمل على المعرفة بالله"، ومعاني الحكمة في هذه الأحاديث قريبة من المعاني التي ذكرناها عند بيان الحكمة في كتاب الله تعالى[1].

١ - أمثلة من الحكمة في السنة النبوية:

تجري الحكمة على لسان رسول الله ﷺ كالماء الزلال، وأعماله ﷺ كلها عين الحكمة، فهو المعصوم من الزلل والخطأ.

وسنكتفي بأمثلة لبيان الحكمة في السنة كما لو كانت قلادة تحيط بالعنق:

فنجد حكمة الرسول ﷺ في حسن تعامله مع أصحابه ومراعاته لأحوالهم، وهذا أكثر من أن يحصى وأشهر من أن يؤتى له بأمثلة.

إجابة الرسول ﷺ للسائلين، حيث قد يبدو الخلاف والتعارض - أحياناً - بينهما، بينما هذا الخلاف اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك لحكمة عظيمة وهي مراعاة حال السائلين؛ مثال على ذلك:

سأل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الرسول ﷺ قائلاً: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: **«الصلاة على ميقاتها»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«بر الوالدين»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»**، فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني[2].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت:" يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: **«لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور»** [3].

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلاً قال:" يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: **«لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»** [4].

---

(١) فتح الباري ٦/ ٥٣٢، والحكمة في الدعوة إلى الله ص ٢٤.

(٢) البخاري٢٧٨٢.

(٣) رواه البخاري ٢٧٨٤.

(٤) أحمد٤/ ١٩٤، صحيح الترمذي للألباني.

وغير ذلك من الأحاديث التي سأل أصحابها عن أفضل العمل، فاختلفت إجابة رسول الله ﷺ؛ مراعاة لحال السائلين وإدراكاً منه ﷺ أن ما يستطيعه هذا قد لا يستطيعه ذاك، إلى غير ذلك من الأسباب التي يراعي فيها حالة الفرد وحاجة الأمة وقواعد الشرع.

ولو أن الدعاة إلى الله استطاعوا أن يكلفوا الإنسان بما يحسنه عدا الواجبات وفروض العين وابتعد عما لا يستطيع لحققت الأمة اكتفاءً ذاتياً في جميع ميادينها، ولكن واقع أغلب الناس في هذا الزمان كما قال الشاعر:

ومكلف الأشياء ضد طباعها ::: متطلب في الماء جذوة نار

٣. وانظر إلى هذا الأسلوب الرائع في المواقف التي تحتاج في معالجتها إلى الحكمة وكيف عالجها الرسول ﷺ :

فعن أبي أمامة رضى الله عنه قال: (إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ وقال: (يا رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: **«ادنه»**، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: **«أتحبه لأمك؟»** قال: لا والله!! – جعلني الله فداءك – قال: **«ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»**، قال: **«أفتحبه لابنتك؟»** قال: لا والله يا رسول الله – جعلني الله فداءك – قال: **«ولا الناس يحبونه لبناتهم»**، قال: **«أفتحبه لأختك؟»** قال: لا والله! – جعلني الله فداءك – قال: **«ولا الناس يحبونه لأخواتهم»**، قال: **«أفتحبه لعمتك؟»** قال: لا والله!! – جعلني الله فداءك – قال: **«ولا الناس يحبونه لعماتهم»**، **«أفتحبه لخالتك؟»** قال: لا والله ! – جعلني الله فداءك يا رسول الله – قال: **«ولا الناس يحبونه لخالاتهم»**، فوضع يده عليه وقال: **«اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه»**. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

أرأيتم هذا الأسلوب العجيب في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وكيف جاء هذا الشاب وقد هاجت شهوته ورغب في الحرام، ولكن حكمة الرسول ﷺ، وبحكمته في الإقناع عاد هذا الشاب محصناً بعيداً عن الشهوة وبعيداً عن الشبهة.

وأيضاً في قصة الرجل الذي بال في مسجد الرسول ﷺ، وأراد الصحابة أن يضربوه

---

(١) أحمد ٥/ ٢٥٦ وقد صححه الألباني.

فقال ﷺ : **«لا تزرموه»** [1] ثم بعد ذلك أخذ ﷺ يفهمه بالحكمة والموعظة الحسنة أن هذه المساجد لا تجوز لشيء من هذا ولكن هذه المساجد جعلت للصلاة وذكر الله وغير ذلك من العبادات.

ولعل من أهم الأمثلة في هذا المجال: قصة الحديبية وما وقع من أحداث فيها كانت تقتضي الحكمة في أسمى معانيها وكانت حدثت أمور لا تحمد عقباها ولكن سنتكلم من باب الحصر لا التفصيل، وسنتحدث عن القضية التي عقد فيها الصلح ونقرأ كما في صحيح البخاري:

فجعل النبي ﷺ يقول : **«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»**، فقال سهيل بن عمرو: أما الرحمن فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا الرحمن الرحيم، فقال ﷺ : **«اكتب باسمك اللهم»**، ثم قال: **«هذا ما قضى عليه محمد رسول الله»**، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ : **«والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد ابن عبد الله»** [2].

إن التأمل في هذه الحادثة العظيمة يظهر لنا مقدار حكمته ﷺ وعدم استجابته للاستفزاز أو وقوفه على أمر فيه سعة مع أنه يحقق للمسلمين مكاسب باهرة وهذا من باب النظر في المصلحتين والسعي في تحصيل أعلاهما، ولذلك جاءت النتيجة بتسمية الله لهذا الصلح فتحاً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

إن الدعوة إلى الله يجب أن تستفيد من هذه الدروس، وقد يتوهم متوهم أن الحكمة تقتضي التنازل دائماً إذا كان الأمر في مصلحة الإسلام والمسلمين، كما هو واقع مع بعض العاملين في الدعوة والمتحمسين للدعوة ممن ينقصهم العلم الشرعي، وهذا خلل في المنهج، وخطأ في التصرف، وبخاصة أن هؤلاء يحتجون دائماً بقصة الحديبية عند كل تنازل يقدمونه، في الحقيقة هناك قضايا لا تقبل التنازل أبداً - وهذه هي الحكمة - وهذا كثير جدا في كتاب

---

(١) تقطعوا عليه بوله.

(٢) صحيح البخاري٣/ ١٠٠.

الله عز وجل، وسنة الرسول ﷺ، وفعل الخلفاء الراشدين، ومن ذلك سبب نزول سورة الكافرون، وكذلك قصة قريش مع الرسول عندما طلبوا أن يخصص لهم مجلسا دون الضعفاء من المسلمين؛ فنزل قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨].

أما أبو بكر رضى الله عنه وقصته في حرب الردة وعدم تنازله عن شعيرة من شعائر الإسلام وقوله كلمته الخالدة:" والله لو منعوني عناقاً - أو عقالاً - كانوا يؤدونه للرسول ﷺ لقاتلتهم عليها.

وحيث يبين أنه سَيُسَوِّي بين من ترك الصلاة ومنع الزكاة، ولن يقبل التفريق بينهما، والقصة موجودة بالتفصيل في كتب الحديث والسيرة[١].

وأما أعظم أمر رأينا الحكمة متمثلة فيه من خلال منهج القرآن وسنة الرسول ﷺ فهو معالجة قضية المنافقين، وهو العلاج الذي استمر منذ هجرته ﷺ إلى المدينة وحتى غزوة تبوك، بل إلى وفاته ﷺ ولقد شغل وقتاً كبيراً من وقت الرسول ﷺ في المدينة، والآيات كثيرة في كتاب الله عز وجل تتحدث عن ذلك حتى نزلت سورة كاملة في هذا الموضوع، وقد اتسم علاج هذه المشكلة بعدة سمات من أبرزها: [٢]

طول المدة، وهي ما بين هجرة الرسول ﷺ إلى قبيل وفاته وهذا يدل على الصبر العظيم الذي تحلى به الرسول ﷺ وهو يعالج هذه المشكلة العويصة بتؤدة ورويّة.

الآيات الكثيرة التي نزلت تتكلم عن القضية حيث لا يقاربها قضية أخرى إلا قضية الشرك والمشركين، وقضية أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى قادر على حسمها في آية واحدة، ولكن القرآن الكريم جاء ليرسم منهجاً للبشر فيه صفة الشمول والديمومة لأنه دين عالمي.

---

(١) انظر فتح الباري كتاب الزكاة ٣/ ٣٦٢.

(٢) بحث في الحكمة للشيخ ناصر بن سليمان العمر/ بتصرف.

الحرص على وحدة الصف، مع عدم السكوت عن الباطل وإقراره، وهذه مسألة يغفل عنها كثير من الدعاة وقد تحقق الأمران فبقي الصف المسلم موحداً وتم القضاء على المنافقين بأساليب عدة.

أخذ الناس بظواهرهم، وترك سرائرهم إلى الله عز وجل، وهو منهج فريد تميز به الإسلام عن سائر النظم والأديان، ومع أن المنافقين أشد كفراً من المشركين فلم يؤاخذوا بما بطن منهم - مع علم الرسول ﷺ بما هم عليه من النفاق والكفر - ولكن القضية قضية منهج وليست قضية أفراد يتم القضاء عليهم ثم ينتهي الأمر.

المحافظة على هيبة المجتمع المسلم في عيون الأعداء والخصوم حتى لا يقول الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه[1] وبخاصة كثرة الأعداء واستغلالهم لكل فرصة تسنح لهم بالدخول في الصف.

تركيز القرآن الكريم على الصفات وعدم ذكر الأفراد، حيث لم يرد في القرآن اسم منافق واحد، وهذا المنهج حقق آثاراً إيجابية ضخمه، وكان كفيلاً بالقضاء على هذه الحركة مع تجاوز السلبيات المتوقعة، ولهذا قال ﷺ في نهاية المطاف رداً على عمر - الفاروق - الذي طالما طالب بقتل المنافقين حماية لدين الله(أين عمر؟) لو قتلنا هؤلاء يوم طلب عمر لأرعدت لهم أنوف تريد اليوم قتلهم. [2]، وهذا المنهج هو الذي أدى إلى قتلهم معنوياً، دون الحاجة إلى قتل أي فرد منهم حسياً وهذه - والله - هي الحكمة في أسمى معانيها، لا كما نرى في هذه الأيام لا يدري القاتل لِمَ قَتل،

---

(١) البخاري ٤/ ١٦٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٨/ ٧٦، وسيرة ابن هشام٣/ ٣٢٧.

ولا المقتول لمَ قُتل، والله المستعان، فأين الحكمة في الدعوة إلى الله ونشر دين الله. فلابد أن نرسم منهج شرعي لمواجهة حركات المنافقين في الأمة، حتى نعمل على شل فاعليتها والقضاء عليها دون إحداث فتن داخل الصف المسلم ولن يتحقق هذا الأمر إلا بالالتزام بالحكمة التي رأينا بعض مظاهرها وسماتها في منهج القرآن والسنة عند معالجة هذه القضايا الكبرى.

* * * * *

المبحث الخامس
موانع الحكمة

١ - الهوى وعدم التجرد:

يقول سبحانه: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

ويقول: ﴿ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

والآيات في ذم الهوى كثيرة جداً وكلها تدل على استحالة اجتماع الحكمة والهوى فتأمل قول الله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩]، والحكم بما أنزل الله هو مقتضى الحكمة وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ [محمد: ١٤].

وفي حديث الرسول ﷺ: **«... حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوًى متبعاً ودنيا مؤثَرَة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يَدانِ لك به؛ فعليك خُوَيصةَ نفسك...»** [(١)].

وهذا دليل على فقدان الحكمة وذهابها، والحكمة منبعها العقل بل إن معناهما واشتقاقهما متقارب - فكلاهما يدل على المنع مما لا ينبغي - ومن هنا جاء قول الشاعر حيث قال مبيناً تأثير الهوى على الحكمة فقال:

وآفة العقل الهوى فمن علا ::: على هواه عقله فقد نجا

والهوى يعمي، ويصم كما قال شيخ الإسلام، فمن كانت هذه حاله فأنى له الحكمة؟!

٢ - الجهل - الأخذ بظواهر النصوص:

والجهل ضد العلم، وما وجد الجهل في شيء إلا شانه وما نزع من شيء إلا زانه، والتأمل في هذه الآيات يبين تأثير الجهل وأنه والحكمة لا يجتمعان، حيث بيّن الله عز وجل أن السبب في غياب الحكمة هو الجهل: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤].

وقال: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧].

---

(١) ابن ماجة ٤٠٠٤.

وقال: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال: ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦].

ومن خلال هذه الآيات يتضح لنا تأثير الجهل على الحكمة وأنه من خوارمها ولذا قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ::: وأجسادهم دون القبور قبور

فهل ننتظر الحكمة من الأموات؟!! (بالطبع لا!).

٣ - الأخذ بظواهر النصوص، وعدم الجمع بين الأدلة:

وذلك كمنهج الظاهرية بالأخذ بظواهر النصوص؛ ولذا لم يوفقوا للإصابة في الكثير من المسائل.

أما عدم الجمع بين الأدلة فهو مزلق آخر من المزالق التي يقع فيها بعض طلاب العلم فيعتمدون على دليل دون الآخر، وهذا في النهاية يؤدي إلى اتخاذ مواقف بعيدة عن الحكمة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ففطنوا لشيء وغابت عنهم أشياء.

ومن ذلك الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: ٣٨ - ٣٩].

ويغفلون عن الأحاديث التي تبين أن الإنسان قد يكون آثماً إذا رأى منكراً عمله غيره فلم يغيره، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه، حسب استطاعته وكذلك يغفلون عن الأحاديث التي تبين مشاركة المسلم لغيره في الأجر، كما ورد في الكثير من الأحاديث منها:

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : **«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»** [(١)].

ومثل ذلك الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الوصية٣٠٨٤.

على وجوب الإنصات مطلقاً ويغفل الأحاديث الواجبة لقراءة الفاتحة في الصلاة مع الإمام والمسألة خلافية(١).

٤ - الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها:

وهذا يختلف عن السابق، لأنه استخدام للدليل في غير موضعه والأمثلة توضح ذلك:

فكم سمعنا من الناس من إذا طلب منه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر قال: ما لي وللناس ولم أكلف بهم والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقد روى الإمام أحمد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:" أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها في غير موضعها وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **«إن الناس إذا رأوا المنكر ولم ينكروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»** (٢). (٣).

ومن الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها، استدلال الناس بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وبخاصة عند تبرير عدم المشاركة في الجهاد في سبيل الله، ولم يعلموا أن هذا الدليل حجة عليهم لا لهم؛ ولننظر في هذا الحديث:

روى ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم بن أبي عمران قال:" حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري فقال ناس : ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: "نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الإسلام وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله،

---

(١) ومحل ذلك كتب الفقه، وإنما المراد التمثيل على استخدام دليل دون الآخر.

(٢) مسند أحمد العشرة المبشرون بالجنة ١.

(٣) قال ابن كثير: فقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة، وابن حبّان في صحيحه، وغيرهم من طرق كثيرة، عن جماعة كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد متصلاً مرفوعاً به، ومنهم من رواه عنه موقوفاً عن الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره.

وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم فنزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد[1].

والأمثلة في هذا كثيرة جداً والاستدلال بها على هذا يخالف الحكمة وينافيها.

٥ - عدم فهم الدليل:

وذلك بأن يكون الدليل صحيحاً، والاستشهاد به في موضعه، ولكنه لا يفهم الدليل على وجهه الصحيح - وذلك فرع عن الجهل - وهذا يخالف الحكمة في تصرفه، وأسلوب تطبيقه. ومثال ذلك: أن الرسول ﷺ قال: **«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين...»** [2].

فيأتي فيضرب ابنه ضربا مبرحا وغليظاً وهذا غير مراد من الحديث، وهو مخالف للحكمة؛ لأن المراد هو عدم الضرب المبرح الموجع، لأن الطفل لم يُكَلّف بعد، فمن كان في سن العاشرة أو الحادية عشرة؛ فلم يبلغ سن التكليف فكيف نعاقبه عقاباً شديداً والمراد هو التربية والتعويد لا العقاب والتعزير. والحكمة قد تقتضي في مثل هذه الحالة أن نعاقبه بطرق قد تؤلمه أكثر من الضرب؛ كأن نحرمه من مصروفه، أو من الذهاب إلى صديقه ليلعب معه، وهذا تأديب بطريق شرعي بغير أن نلطم خداً أو نكسر عظماً.

● وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

فيأتي الزوج ولا يفهم معنى الآية؛ فيقول أن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً فيبدأ بالضرب قبل الوعظ والهجر ويضرب زوجته ضرباً شديداً مؤلماً، وكل هذا خلاف الحكمة وناشئ من قصور الفهم.

---

(١) قال ابن كثير ١/ ٢٢٨ رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره، وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه كلهم من حديث يزيد بن حبيب وقال الترمذي: حديث حسن غريب وقال الحاكم: على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) أبو داوود٤١١٣، أحمد ٢/ ١٨٧، وقال الأرناؤوط في شرح السنة ٩/ ٢٢ : إسناده حسن.

(وحتى إذا ضرب كما قال الفقهاء: كأن يضع سواكاً تحت إبطه، ويضرب ضرباً غير مُبَرِّح؛ أي لا يرفع يده إلى آخرها ويضرب ضرباً قد يكسر عظماً أو يخمش وجهاً أو يلطم وجهاً، فيكون ضرباً المقصود منه التأديب وليس الضرب للإهانة).

٦ - قلة التجربة:

لذا نجد أن بعض تصرفات الشباب تخالف الحكمة لقلة التجربة وضعفها وأن هذه التجربة محدودة، فمثلاً نجد بعض الشباب الملتزم حديثا يتمسك بالسواك ويلتزم بالسنة، ولكن يشدد على الناس وهو لا يفهم أي شيء في الدين، ولكنه قد قرأ حديثاً، أو سمع آية، أو درساً ويظن أنه وصل لدرجة عليا في العلم، فهم بعض هؤلاء الناس ينفرون الناس من الإسلام لقلة تجربتهم.

٧ - الفردية:

وهي أيضا من خوارم الحكمة الظاهرة لذا قال ﷺ : **«... فإنّ الذئب يأكل القاصية»**[1].

وقال الشاعر في هذا المعنى:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ::: رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

فهنا كما بين أنه من السهل على الذئب أن يقتنص الشاة البعيدة عن القطيع؛ كذلك من السهل على الشيطان أن يهجم على الرجل الذي يبتعد عن جماعة المسلمين، فيأخذ به يميناً وشمالاً ويطرحه أرضاً، ولا يجد ما يستطيع أن يقوي به نفسه وذلك لبعده عن الجماعة، فكذلك هو يكون بعيد كل البعد عن الحكمة.

٨ - ثلاث موانع متقاربة للحكمة:

أ – عدم تحديد الأهداف.

ب – النظرة السطحية.

جـ آنية التفكير وموسمية العمل والارتجال.

---

(١) أبو داود ص ٥٤٧ والنسائي ٢/ ١٠٦ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٧٠١.

إن هذه العوائق الثلاثة متقاربة في معناها وحقيقتها، وإن كان كل واحد منها يحمل معنًى خاصاً وإن كنا نستطيع أن نقول : إن بينهم عموماً وخصوصاً.

فعدم تحديد الأهداف بدقة يؤدي إلى آنية التفكير وموسمية العمل، وهذا هو الارتجال بعينه وهذا الأمر لا ينشأ عادة إلا من سطحية الأمور، والوقوف عند ظواهر الأحداث، دون النظر في أسبابها، ومآلاتها وآثارها والنتيجة الطبيعية لاتخاذ القرار، والموقف من الحدث وهو عدم تطابق ما يتخذ من قرار مع ما يستوجبه الحدث، وبالتالي يجانب الحكمة؛ لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه.

وهناك أمثلة لذلك مثلاً:

- طبيب جاءه مريض وقد بدت بعض البثور على وجهه فقام الطبيب بوصف بعض المراهم التي تزيل البثور دون البحث في أسباب هذا المرض، فتكون النتيجة هي عودة البثور بين فترة وأخرى لعدم القضاء على أسبابها.
- مثال آخر: مَن في أسنانه تسوس ويشكو من آلامها، فكلما جاء إلى الطبيب أعطاه ما يسكن له الألم، ويستمر الألم يعاوده، والطبيب مستمر في وصف المسكنات، دون اتخاذ العلاج الحاسم بإزالة التسوس، حتى لو أدى ذلك إلى فقدان السن ذاته، أو انتقال التسوس إلى ما حوله من أسنان أو إلى العصب، إذا ما أهملت الأسباب، وتم تجاهل حقيقة المرض.

٩ - تقديم الجزئيات على الكليات:

وهذا ناشئ من قصور العلم، وقِصَر النظر، وهذا الأمر ابتلينا به كثيراً في عصرنا الحاضر، وفي بعض دول العالم الإسلامي.

وأدرك أعداء الإسلام هذه الثغرة، فأقاموا بعض شعائر الإسلام الجزئية، وهدموا الأصول والأركان، يعاقبون المفطر في رمضان ولكنهم لا يزيلون مظاهر الشرك، ولا يأمرون بالصلاة فضلاً على أن يعاقبوا تاركها، ويقرأون القرآن في الإذاعة وينقلون خطبة الجمعة في التليفزيون، ولكنهم يتحاكمون إلى شريعة الطاغوت.

ورأينا عدداً من الناس يغضبون إذا رأوا شارب الدخان - وهو منكر ولا شك - ولكنهم لا يحركون ساكناً عندما يرون الربا، وقد ضرب في الأرض أطنابه، وينفعلون إذا خرجت امرأة سافرة عن وجهها - وهذا حرام في الكتاب والسنة - ولكنهم يتجاهلون دخول اليهود والنصارى والوثنيين إلى بلاد المسلمين، وإقامتهم بين ظهرانيهم.

ونضرب مثالاً كما بين الله سبحانه وتعالى أنه بضرب الأمثلة تتضح الصورة:

مريض أصيب بالزائدة، فذهب إلى المستشفى مسرعاً، فأصابته شوكة في إصبعه، فلما وصل انشغل الطبيب بالشوكة عن الزائدة التي قد تنفجر بين لحظة وأخرى فتودي بصاحبها فأين الحكمة في هذا التصرف يا مشايخ وعلماء المسلمين؟؟!!!

١٠ - العجلة وعدم ضبط النفس:

العَجَلة من الشيطان، وإذا ابتلي الإنسان بهذه الخصلة الذميمة التي هي من أمراض القلوب، ستقوده إلى المهالك، ومن آثار العجلة ومظاهرها عدم ضبط النفس في المواقف التي تحتاج إلى تأنٍ، وتؤدة وروية.

وأكثر أسباب الندم ناتجة عن العجلة والانفعال غير المنضبط، وهنا تكون النتيجة غير محمودة، قال الشاعر:

من غرس الحنظل لا يرتجي ::: أن يجتني السكر من غرسته

فهذا أمر مهم للناس وللدعاة عامة، وإلى الدعاة إلى الله خاصة؛ لأنهم بحاجة إلى روية وتؤده وتأنٍ وضبط نفس في المواقف التي تحتاج ذلك.

١١ - الخلط في المفاهيم:

الحكيم لابد أن ينطلق من مفاهيم صحيحة، وقواعد ثابتة، مستمدة من الكتاب والسنة، وإذا اختلطت المفاهيم لدى المرء وتشابهت الأمور لن يصل إلى مبتغاه، وسيتخبط في سيره، ومن الملحوظ في عصرنا الحاضر اختلاط الكثير من المفاهيم على كثير من طلاب العلم والدعاة، وهناك أمثلة على ذلك:

أ - الخلط في مفهوم خوف الفتنة، حتى أصبح سيفاً مسلطاً على رءوس الداعين إلى الله، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، فكلما أمر آمر بمعروف أو نهى ناهٍ عن منكر

قيل لـه أنك تثير الفتنه، ولم يعلم أولئك أنهم في الفتنة قد سقطوا، وكان من نتيجة هذا الأمر أن استمرت الأمة تقدم التنازلات واحـداً تلـو الآخـر، وبعـض الـدعاة إلى الله سـاكتون، أو مُسَكَّتون؛ خوفاً من الفتنة حتى ضرب الكفر أوتاده في بلاد المسلمين، وحتـى شـاعت البـدع والخرافات في الدين الإسلامي، وحتى أصبح المسلمون جهلة - كحاطب ليـل - لا يعلمـون الغث من السمين وهذه هي الفتنة في الحقيقة.

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ب - ومن الخلط في المفاهيم الخلط بين الحزبية والانتماء حتى سوى الكثير بينهمـا، مـع الفارق الكبير.

فالحزبية في الإسلام مذمومة، وهو تحزب المسلمون بعضهم ضد بعـض بـل يجـب علـى المسلمين أن يكونوا حزباً واحداً ضد الكفر وأهله.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

بل يجب علينا أن نكون حزباً واحداً نتمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

* * * * *

المبحث السادس
عدم إتقان قاعدة المصالح والمفاسد

وهذا يؤدي إلى تقديم جلب المصلحة على دفع المفسدة، ودفع المفسدة الصغرى بالكبرى، وجلب المصلحة الدنيا وترك العليا، فليس الحكيم هو من يعرف الخير والشر؛ وإنما الحكيم الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين وهذه القاعدة من أعظم قواعد الشريعة - وسبحان الله - الجهل بها يجر على المسلمين الشرور والويلات.

فلابد للداعي أن يفرق بين هذين الشيئين وأن يعلم هذه القاعدة تماماً: أن درء المفاسد أوجب من جلب المصالح وهذه من الأمور المهمة في تجميع الأمة وجعلها جسداً واحداً، وقد يحدث بسبب الجهل بهذه القاعدة افتراق الأمة إلى طوائف كثيرة وهذا مما يضعف في بنيان الأمة، وفي عين أعدائها.

١٢ - الغلظة والعنف:

من موانع الحكمة الغلظة والعنف والطيش، وما وجدت الغلظة في شيء إلا شانته، وما نزعت من شيء إلا زانته، ويكفي أن نتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وسرعة الغضب والانفعال من خوارم وقوادح الحكمة، فالأصل في المؤمن عامة، والداعي إلى الله خاصة، أن يؤلف القلوب وأن يعمل على اجتماع المجتمع المسلم تحت راية واحدة، وألا يفرق الناس خصوصاً لمن يعمل إماماً لمسجد وخصوصاً في البلاد غير المسلمة؛ حيث نرى الحزبيات في المساجد وكل هذا من خوارم الحكمة في الدعوة إلى الله ونشر دين الله، فالإمام في وظيفته، ومن يعملون معه في العمل الدعوي عليهم أن يكونوا يداً واحدة وأن يجعلوا المجتمع المسلم والأقلية مجتمعاً واحداً وألا يجعلوا هناك تفرقة ولا تحزباً وأن يكونوا رحماء بالناس.

فهذه أهم خوارم الحكمة وموانعها، وحري بالدعاة إلى الله أن يتأملوها ليجتنبوها، وخصوصاً طلاب العلم عليهم أن يحذروا أمتهم منها، ليكونوا مسَدَّدِين في أقوالهم وكذلك أفعالهم ونيّاتهم.

* * * * *

المبحث السابع
أركان الحكمة وأسبابها

لقد ذكرنا في الفصل السابق خوارم الحكمة أو موانعها ولكن لا بد أن نتكلم في هذا الفصل عن أسباب الحكمة، حتى يكون الأمر واضحاً جلياً عامةً، وقد أخذنا هذا الكلام من قول العلماء : "التخلية قبل التحلية"؛ فلابد أن أتخلى عن موانع الحكمة ثم بعد ذلك أتحلى بأركان الحكمة وأسبابها، وقد جمعت بين الأركان والأسباب؛ لأن بينهما عموماً وخصوصاً، فكل ركن سبب لا العكس.

١ - التجرد والإخلاص والتقوى:

هذا هو الأساس لكل عمل، والمنطلق لكل هدف وغاية، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويقول جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وقوله عز من قال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥].

والرسول ﷺ يقول : **«إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»** [(١)].

إننا لا نتصور حكمة بدون تجرد وإخلاص، ولذلك ذكرنا أن من موانع الحكمة الهوى، فإذا كان الهوى من موانع الحكمة، فإن التجرد والإخلاص من أسبابها.

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤].

ومن هذا المعنى نفهم قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

فإنه لن يكون إماماً إلا إذا كان حكيماً، وإذا كان إماماً للمتقين، فالتقوى صفة للإمام قبل المأمومين.

---

(١) مسلم ٢٥٦٤.

٢ - التوفيق والإلهام:

فالحكمة مطلب عزيز، وغاية سامية، ورتبة رفيعة، ينال صاحبها سمة من سمات الأنبياء والرسل، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، ولذلك فليست متاحة لكل فرد بل هي مع بذل الأسباب وتوافر الأركان فضل من الله تعالى ولذلك قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وبَيَّن الله سبحانه وتعالى أنه أعطى للقمان الحكمة، بل إن هناك سورة في القرآن اسمها لقمان؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان: ١٢].

والرسول ﷺ سأل ربه أن يُلهم ابن عباس رضى الله عنه الحكمة، ويعلمه إياها، فقال ﷺ: **«اللهم علّمه الحكمة»** وقد سبق تخريج هذا الحديث.

وعندما نفقه هذه الحقيقة فإنه يتعين علينا أن نتعامل معها بما يجب أن نعمله من أسباب، لماذا؟؛ لكي يمن الله علينا بها: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٣ - العلم الشرعي:

والعلم من أهم قواعد الحكمة ودعائمها، فكما أن الجهل مانع من موانعها فإن العلم سبب من أسبابها وركن من أركانها؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وخشية الله من الحكمة، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

طبعا لا يستوون في أشياء كثيرة، ومن هذه الأشياء المهمة إدراك الحكمة وقد قَرَنَ الله بين الحكم - وهي الحكمة - والعلم في عدة آيات في كتاب الله، قال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

ويقول عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢٢].

ويقول عن داود وسلميان عليهما السلام: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال عز وجل عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القصص: ١٤].

ومن هذه الآيات نفهم أن من أقوى الأدلة على اقتران الحكمة بالعلم قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

ومن علم الأمر المختَلَف فيه أو ما يكون فيه إشكال على العامة هو الحكمة، وأولو الأمر هنا هم العلماء وكذلك نفهم ارتباط الحكمة بالعلم وكذلك الحكمة بالعلم من قول الرسول ﷺ : **«من يرد به الله خيراً يفقهه في الدين..»** [(١)].

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ومن خلال هذه الأدلة يتضح لنا الأمر، بل إن بعض العلماء فسروا الحكمة بالعلم، وممن أطال في ذلك وفصّل في هذا الأمر رشيد رضا [(٢)]، وكذلك الرازي[(٣)]، وهذه حقيقة ولا بد أن نلزمها حتى نؤتى الحكمة.

٤ - التجربة والخبرة:

التجربة والخبرة هما من أهم أسباب التوفيق لتحصيل الحكمة، وقد ورد عند البخاري في الأدب المفرد قال:"لا حكيم إلا ذو تجربة".

والمثل المعروف يقول:"اسأل مجرب ولا تسأل طبيب".

فالتجربة في الحياة رصيد ضخم وتعادل أعلى الشهادات، فإذا أضفنا التجربة إلى العلم أصبحت أهم من الشهادة، وهل الشهادة إلا علم وتجربة، مع أنها في الغالب - أي الشهادة - تكون تجربة قاصرة، ولكن التجربة مع الشهادة تكونان رصيداً كبيراً جداً.

ولقد وقفنا طويلاً عند آية في القرآن، قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم ٦٩.

(٢) انظر تفسير المنار ٣/ ٧٥.

(٣) تفسير الرازي ٧/ ٦٧.

وهنا نلاحظ أن ارتباط بلوغ الأشُد والاستواء في سن الأربعين لـه عدة دلالات، ومنها أن المرء يكون قد حصل على رصيد مناسب من التجربة، بل إننا نلمس من حياة الناس أن ما قبل الأربعين رصيد التجربة فيه أقوى من رصيد العطاء، وما بعد الأربعين نجد العطاء فيه أقوى من التجربة ألا وهي الخبرة، حيث أن الأربعين مرحلة وسطية في عمر الإنسان، حيث أن ما قبلها من العمل يعادل ما بعدها في الأعم الأغلب، ومما يجري في سياق الآية أن الرسول ﷺ بعث على الأربعين سنة، والله سبحانه يقول في موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القصص: ١٤].

قال الحسن: "(بلغ) أربعين سنة "[١].

وخلاصة الكلام أن التجربة عامل مهم في حصول الحكمة وتحقيقها.

٥ - الاستشارة:

الفردية كانت من خوارم الحكمة، ومن وسائل تجنب الفردية أن نستشير والشورى لها مكانتها في الإسلام، وللدلالة على عِظَم وأهمية الشورى:

أن الله سبحانه وتعالى أمر النبي ﷺ - وهو النبي المعصوم - الذي يوحى إليه أن يستشير الصحابة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

بل إن هذه الآية جاءت في سياق يفيد أن هذا هو مقتضى الحكمة، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال سبحانه وتعالى واصفاً المؤمنين، مثنياً عليهم في هـذا الأمر فقال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

بل إننا وجدنا آية أخرى نصاً في هذه المسألة، وهي قضية فطام الولد فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير٢/ ٤٧٣ مع اختلاف المفسرين في ذلك.

وسبحان الله فصل الولد وفطامه يحتاج أيضاً إلى حكمة حتى لا يضار وهو صغير، وقد يكون ضحية خلاف بين الوالدين، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية قد جعل التشاور شرطاً في هذا الأمر، وليس مجرد التشاور بل لابد أن يكون تشاوراً حقيقياً يكون نتيجته التراضي والاتفاق، وإلا فلا، ولذلك ابن كثير قال: " فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما، فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد برأيه في ذلك بدون مشاورة الآخر"(١).

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية الشورى في جميع مجالات الحياة وأثرها في مواجهة الأحداث، ولو استغنى أحد عنها، لاستغنى رسول الله ﷺ عنها؛ فقد كان يستشير صحابته في الملمات، بل إنه كان يأخذ برأيهم ولو خالف رأيه ﷺ كما حدث يوم أُحُد.

وكما قال الشاعر :

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ::: رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

وأيضاً يقول الشاعر:

ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم ::: من يُستشار إذا استُشير فيُطرَق
حتى يحل بكل واد قلبه ::: فيرى ويعرف ما يقول فينطق

وقال آخر:

إذا كنت في حاجة مرسلاً ::: فأرسل حكيما ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى ::: فشاور لبيباً ولا تعصه

وقالوا أن الناس ثلاثة: رجل كامل - أي الكمال النسبي - وهو الذي له عقل ويستشير، والثاني نصف الرجل؛ وهو الذي له عقل ولا يستشير - وأرى أنه لو كان له عقل لاستشار - والثالث لا شيء؛ وهو الذي لا عقل له ولا يستشير (٢).

---

(١) قاله الثوري وغيره، تفسير ابن كثير ١/ ٢٨٤.

(٢) انظر حتى لا تغرق السفينة ص ٦٨.

بُعد النظر وسمو الأهداف:

إن الذي يعيش لقضية مصيرية يختلف عن الذي يعيش على هامش الحياة، فعند وقوع حدث من الأحداث أو مواجهة قضية من القضايا، سنجد الفرق بين التفكيرين؛ لأن الأول سيربط القضية بالأهداف التي يسعى إليها ومن خلال هذا المنظور سيعالجها، وهذا الذي يرمي إليه الشاعر بقوله:

ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم ::: من يُستشار إذا استُشير فيُطرَق
حتى يحل بكل واد قلبه ::: فيرى ويعرف ما يقول فينطق

والشاهد هنا، حتى يحل بكل واد قلبه، فهو عن كيفية إعطاء الرأي واتخاذه في الموقف بناءً على الظروف المحيطة به، بعيد النظر في الأسباب والآثار فهو بادِ الرأي، ولذا فإن علو الهمة وبُعد النظر سببان من أسباب التوفيق والسداد في الرأي، وصدق الشاعر إذ قال:

وإذا كانت النفوس كبارا ::: تعبت في مرادها الأجسام

٦ - فقه السنن:

فقه السنن عامل مهم في نضوج الرأي وسلامة التفكير، لأن التفكر في السنن الكونية والشرعية مما حث القرآن على العناية به في آيات عديدة؛ قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم: ٩].

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٩].

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج: ٤٦].

الله سبحانه وتعالى قرن السير في الأرض - وهو إما حسي أو معنوي بالعقل - وهو أيضا موطن الحكمة، بل إن الآيات جاءت أيضاً بالأمر، ولم تقتصر فقط على الاستفهام فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١١].

فقراءة التاريخ والاطلاع على أحوال الأمم الماضية وقراءة القرآن والاطلاع على أحوال الأمم الماضية يضيف إلى رصيد التجربة رصيداً علميًّا من تجارب الآخرين، ولذلك قال الشاعر:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ::: ضل قوم ليس يدرون الخبر

وكلما تعمق الإنسان في رؤية الماضي من خلال السنن الكونية - سنة الله التي ليس لها تحويلاً وسنة الله التي ليس لها تبديلاً - وكذلك السنن الشرعية والكونية كان أكثر قدرة على وضوح الرؤية في المستقبل ضمن الضوابط الشرعية والضوابط العقلية.

٧ - رجاحة العقل:

إن العقل مكان الحكمة وبيتها، وبين العقل والحكمة اشتراك لفظي ومعنوي، وقد يطلق العاقل على الحكيم، والحكيم على العاقل، فإذا اجتمعا افترقا، وإن افترقا اجتمعا، حيث أن الحكمة أعم من العقل وأشمل، ومما يدل على ارتباط العقل والحكمة أن الله تعالى لمّا ذكر الحكمة فقال: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ختمها بقوله عز وجل: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، أي أولو العقول، قال ابن عاشور : وقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ تذييل للتنبيه على أن من شاء الله إيتاءه الحكمة هو ذو اللب - العقل - الذي يفكر بحكمة، وأن تذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استصحاب اللب وقوته، واللب في الأصل يعني: خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان؛ لأنه أنفع شيء فيه[(١)].

ولأثر العقل في تصرفات المرء وسلوكه، ذكره الله في القرآن كثيراً تنويهاً بمكانته وأثره في الحياة.

٨ - العدل:

أمر الله سبحانه بالعدل في كتابه في عدة مواضع ولا يمكن أن تجتمع الحكمة مع الظلم أبداً، والحيف والجور يقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النحل: ٩٠].

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].

ويقول عز وجل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٣/ ٦٤.

ويقول سبحانه: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥].

وعند التأمل في مكانة العدل من الحكمة يقول تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل: ٧٦].

والحكم والحكمة اشتقاقهما واحد، والمعنى متقارب، وعند النظر في دلالات الحكمة نجد أنها في مآلاتها بمعنى الحكم، لأن الحكم هو الحكم بين الخصوم، والحكمة هي النظر في أمرين، أو عدة أمور، واختيار الصائب أو الأصوب منها، والله تعالى قد جعل العدل أساس الحكم؛ قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

فكما أن العدل من لوازم الحكم فهو من لوازم الحكمة أيضاً، بل ركن من أركانها، وأساس من أسسها، والعدل والحكمة معناهما: " وضع الشيء في موضعه"، وإن كانت الحكمة أعم من العدل كما سبق البيان.

٩ - التثبت:

من الوسائل التي تؤدي للحكمة أيضاً التثبت، وهو منهج شرعي دعا إليه القرآن حيث قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦].

وبما أن العجلة والاستخفاف من خوارم الحكمة، فإن التأني والتثبت من دواعي الحكمة، والعجلة من الشيطان، وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

وهذه الآية أعم من التثبت بل هي أمر بالصبر، والتثبت يحتاج للصبر.

وفي آية سورة الحجرات بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى بالتثبت، قال في الآية التي بعدها: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [الحجرات: ٧].

أي لو أن الرسول استجاب لما يريدون دون تثبت ولا روية، لأصابهم العنت والمشقة – سواء كانت حسية أو معنوية – وهذا مما يخالف الحكمة ومقاصدها، والذي يمعن النظر في

كثير من الأحداث المعاصرة، يدرك أن من أبرز آثارها السلبية العجلة وعدم التثبت، وقد أدرك أعداء الإسلام هذه الثغرة، فأكثروا من الإشاعات والأراجيف، وتلقاها الكثير من المسلمين بدون روية ولا تثبت ولا تبين، ولم يلتزموا المنهج الرباني في ذلك حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

ولهذا فقدنا الحكمة في كثير من الأحداث التي مرت بالمسلمين فجاءت النتائج كما نرى.

١٠ - المجاهدة:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أي: لنوفقنّهم لإصابة الطرق المستقيمة كما فسرها الإمام الطبري[١] والحكمة هي التوفيق لإصابة الحق.

وبهذا فإن من أعظم الأسباب للتوفيق للحكمة هي المجاهدة وهي المفاعلة من الجهاد فهو جهاد بعد جهاد، وحمل للنفس على تحقيق مراد الله مرة بعد أخرى، وهذه الآية وعد من الله بأن من جاهد نفسه باحثاً عن الحكمة، فإن الله سبحانه وتعالى سيوفقه إليها، ولو بعد حين، وهذا وعد الله ومن أصدق من الله قيلا؟ (لا أحد).

١١ - الدعاء والاستخارة:

قال الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال ابن عاشور : "الرشد معناه: إصابة الحق وفعله"[٢].

وقد تقدم أن من معاني الحكمة الإصابة في القول والعمل، والدعاء له منزلة عظيمة، وآثاره مُشاهَدة ملموسة، وتكرر في القرآن، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢١/ ١٥.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٢/ ١٨٠.

وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥].

والاستخارة أيها الأحبة قرينة الدعاء، نوع من أنواعها، عندما يعرض للمرء طريقان فأكثر، ولا يدري أيهما يسلك، فإنه بالاستخارة الإنسان يوَفَّق للصواب والحكمة.

١٢ - الصبر:

قيل: إن الصبر مفتاح الفرج، ولقد وردت آيتان في كتاب الله، وقفت عندهما متأملاً وخرجت بعد ذلك مستنتجاً أن الصبر دعامة من دعائم الحكمة، بل سبب من أسبابها، ولذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

فقال: إن الصبر من أعظم أسباب التوفيق للإمامة ولا يمكن أن يكون إماماً للمتقين إلا إذا كان حكيماً، قال الإمام الطبري:" وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتم بهم، ويُهتدى بهديهم"[(١)].

ولأهمية الصبر وأثره في الحياة، وردت آيات كثيرة تحث عليه وتأمر به وبلغ عددهم ٩٠ مرة في القرآن الكريم، ومن الآيات التي وردت تبين أثر الصبر في الحصول على الحكمة والتوفيق إليها، منها قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥].

فالإنسان المسلم المؤمن إذا سلك منهجاً يجعل من عدوه صديقا حميماً، فإن ذلك دليل على الحكمة وحسن التصرف، والقرآن يبين أنه لن يصل لهذه المنزلة إلا من كان صابراً موفَّقاً، وهناك آيات كثيرة عند التدبر لها، يدرك المسلم منزلة الصبر من الحكمة، وأثره في التوفيق لها، وسبحان الله عندما نقف عند هذه الآية نقف خاشعين، داعين الله سبحانه وتعالى

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١١٢.

أن يوحد أمة المسلمين، وأن يجعلهم يتمسكون بأصول الشريعة، وأن يتركوا هذه الفرعيات، التي ما جلبت على الأمة إلا التفرقة والنزاعات والخلافات التي شغلتهم عن الأصول وعن أمهات الأمور. ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الكهف: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الصبر من صفات الحكماء ولذلك أوصى الله به الرسل والأنبياء وعباده المؤمنين، فهلاّ شمر الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى عن سواعدهم حتى يعملوا بما أمر الله سبحانه وتعالى من الصبر وبذلك، يتحصل للإنسان الحكمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

١٣ - الرفق ولين الجانب:

وخير ما نختم به هذه الأسس والأركان المؤدية للحكمة، هو الرفق واللين، فإن الله رفيق يحب الرفق، والرسول ﷺ يقول: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يترع من شيء إلا شانه»** [1].

وكان ﷺ وهو الرفيق بأمته يوصي صحابته بالرفق والسكينة دائماً، وخاصةً وقد مدح الله سبحانه الرسول ﷺ فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) صحيح مسلم٢٥٩٣، ٢٥٩٤.

فالرفق واللين من سمات الحكماء ومما تجدر الإشارة له هنا أن هناك فهماً خاطئاً لمفهوم اللين؛ حيث يتصور الكثير أن الرفق واللين مرادف للضعف. وهذا طبعاً فهم خاطئ، إن الرفق واللين لا يضاد القوة ولا يستلزم الضعف، وإنما يضاد العنف والفظاظة والغلظة، ومن الأدلة على ذلك:

أن الله تعالى وصى الرسول ﷺ باللين ومدحه لذلك ونفى عنه الفظاظة والغلظة، ولا يُمدح إلا بالممدوح.

أن الرسول ﷺ من أقوى الرجال - بل هو أقواهم - وهو مع اللين والرحمة والرفق وخفض الجناح للمؤمنين وحتى لغير المؤمنين.

الرسول ﷺ أوصى الذي يريد أن يذبح ذبيحته باللين والرفق، والذبح من مظاهر القوة لا الضعف. قال ﷺ : **«... وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»** [(١)].

وفي هذا الحديث دليل على أن القوة باللين والرفق؛ فحد الشفرة دليل على القوة بلين ورفق.

أن الجهاد مظهر من مظاهر القوة - بل هو القوة بعينها - ومع ذلك ينهى فيه عما يؤدي إلى العنف والغلظة، فنهى عن التمثيل بالأعداء، وقتل الشيوخ، والنساء، والأطفال، وقطع الشجر، ومن هذا يتضح أنه لا منافاة بين اللين والرفق وبين القوة وكلها من صفات الحكماء.

وكانت هذه من أهم وأبرز الأركان للحكمة، وأحياناً قد تجتمع هذه الأركان في شخص واحد - وهو نادر طبعاً -، وقد تتوافر في مجموعة من الأفراد كلها، وكما ذكر العلماء أن المجدد قد يكون فرداً واحداً وقد يكون مجموعة من العلماء، والدعاة يجددون لهذه الأمة أمر دينها[(٢)] ولهذا فإن الحكمة قد تكون كاملة وقد تكون نسبية وهو الأكثر، وهذا المفهوم يساعدنا في البحث عن الحكمة والحكماء عند مواجهة الأحداث والأزمات وهو المطلوب.

* * * * *

(١) صحيح مسلم ١٩٥٥.
(٢) انظر كتاب التجديد والمجددون.

المبحث الثامن
الكلمة الطيبة

بالكلمة الطيبة تستطيع أن :

١- تنادي المدعو وتدعوه بأحب الأسماء إليه وأوقعها في نفسه، فهو أسلوب محبب إلى القلب المدعو.

٢- تدعو للمدعو بأن يهديه الله ويشرح صدره ويفتح عليه.

٣- تشوق المدعو إلى الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله من خلال الترغيب في الخير والترهيب من الشر.

٤- تربط حياة المدعو بمعاني الإسلام قولاً وعملاً من خلال العيش معه عيشاً جماعياً.

٥- تشيع كل عمل إسلامي تراه أو تسمع به، فهي وسيلة لزرع الحس الإسلامي في نفوس الناس.

٦- تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

٧- تُذكّر المدعو بفضائل الأعمال الصالحة، فهي من أهم الحوافز إلى عمل الخير والاستزادة منه.

٨- تشكر كل من ساهم في نشر الخير والدعوة، ففي هذا الشكر تشجيع للعاملين للعمل الخيري والدعوي.

٩- تطرح مشاريع خيرية ودعوية في المجالس العامة والخاصة ولك أجر الدلالة على الخير.

١٠- تشجيع كافة أعمال البر والخير لاسيما في مجال الدعوة ونشر العلم.

١١- تكتب مقالاً في مجلة أو جريدة أو إنترنت وغيرها من وسائل الإعلام المقروءة والمرئية.

١٢- تقدم نصيحة إلى الآخرين، فالدين النصيحة.

١٣- تهدي ضالاً، وتعلم جاهلاً، وترشد تائهاً، وتذكر غافلاً.

١٤- تدعو كافراً إلى الإسلام.

١٥- تبذل شفاعة حسنة.

١٦- تُقدم رأياً وتقترح فكرة.

١٧- تروح قلباً وتنفّس كربة.

١٨- تبلغ آية وتروي حديثاً وتنقل فتوى.

١٩- تُحي سنة وتميت بدعة.

٢٠- تنشر دعوة، وتنشط خاملاً، وتنمي موهبة وتخط مشروعاً.

٢١- تشغل الناس بالله تعالى وأمره ونهيه وجنته وناره.

٢٢- تعلن عن محاضرة أو كتاب أو شريط مفيد.

٢٣- تقتنص الفرصة بالكلمة الطيبة في الحالات التالية :

- رفيق السفر في القطار أو الطائرة.
- فرصة اللقاء العابر على الوليمة أو أي مناسبة.
- جلسة استراحة في نادٍ أو مستشفى أو دائرة حكومية.
- جلسة المرافقة في الدراسة.
- مجال ارتباط في التجارة أو أي معاملة.
- في السوق وعند الشراء، أو في الحدائق العامة أو في المسجد أو في التعاريف مع الغير في السفر.

بهذه الوسائل للكلمة الطيبة: قد تنشئ دعوة، وقد تبني مؤسسة خيرية، وقد ينقذ الله تعالى بها قلوباً من السبات، وقد يخرج بها الله أمماً من عالم الأموات، وقد يتحول المجتمع بأكمله من الانحراف إلى الصلاح بإذن الله تعالى.

والموفق السعيد من وفَّقه الله لكلمة الخير التي تنتشر في الآفاق فيكون لـه أجرهـا وأجـر من يعمل بها إلى ما شاء الله.

ومن هنا ينبغي للداعية الإيجابي ألا يزهد أبداً بما عنده من العلم والخـير، أو يبتعـد عـن تبليغ الأمانة، فما يدري أين يكون ومتى تؤتي كلمته عطاءها ومتى تثمر؟. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

١ - من الكلمات التي ينبغي للداعية استخدامها :

بعض الكلمات الطيبة التي ينبغي على الداعية أن يمارسها أثناء كلامه مع الناس:

- جزاك الله خيراً.
- بارك الله فيك.
- عفا الله عنك لم فعلت ذلك.
- غفر الله لك.
- أشكرك أخي الكريم.
- رحمك الله تعالى.
- معذرة أخي الحبيب.
- لو سمحت أخي الفاضل.
- ما شاء الله لا قوة إلا بالله.
- لو تكرمت أخي المسلم.

إلى غير ذلـك مـن الكلمـات الطيبـة الـتي تطـرب الأذن، وتطمـئن القلـب وتحببـك إلى الآخرين.

فلتكن الكلمة الطيبة شعارك، ولتجر الكلمة الطيبة دوماً على لسانك.

كيف تصبح دليل خير للآخرين.

٢ - خمسون فرصة دعوية لهداية الآخرين إلى الله :

١- السيرة الحسنة وسيلة فاعلة لجذب الناس إلى طريق الخير.

٢- اربط حياة من حولك بالإسلام بذكر فضائله وقدرته على إسعاده للإنسان في الدنيا والآخرة.

٣- وَثّقِ الصلة مع الأقارب والأرحام، واكسب مودتهم بالكلمة الطيبة والخدمة العامة حتى يشعر كل فرد بأن لـه علاقة خاصة بك.

٤- حمِّل من حولك هَمَّ الدعوة والعمل للإسلام.

٥- اصنع من صديقك وقريبك وزميلك داعية إلى الله من خلال العيش معه عيشاً جماعياً.

٦- رغب في الخير: وهو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ. ورهب من الشر: وهو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، وهي وسيلة لها تأثيرها في النفوس، فمارسها بحكمة واتزان.

٧- إظهار المحبة والمودة والشوق أثناء المقابلة، والمهاتفة، والدعاء للشخص المقابل بأدعية تؤثر في نفسه مثل: رحمك الله، هداك الله، فهي وسيلة للتآلف وزيادة المحبة.

٨- الحرص على التعارف فهي بداية انطلاقة لدعوة الآخرين إلى الهداية والصلاح.

٩- الحرص على دعوة من تتوسم فيهم الخير والفلاح من الأصدقاء وأبناء الحي.

١٠- المشاركة الذاتية في الرحلات الإيمانية والزيارات الأخوية مع الحرص على تقديم ما ينفع من أمور الخير.

١١- محاضرة عامة في موضوع حيوي مناسب.

١٢- درس يومي أو أسبوعي منتظم.

١٣- خطبة (جمعة - عيد...).

١٤- إلقاء موعظة مؤثرة في مسجد أو في اجتماع، مع مراعاة الحكمة في اختيار الوقت المناسب والموضوع الملائم.

١٥- تقديم نصيحة هدية لمن تلاحظ عليه قصوراً أو ارتكاب معصية ظاهرة.

١٦- نشر الكتاب أو الكتب بطريقة مشوقة على حسب مستوى المدعو المعرفي والعقلي؛ ليكون تأثيره أقوى في نفسية المدعو.

١٧- توزيع الشريط الإسلامي المناسب، خاصة مع من لا يميل إلى القراءة (اترك في سيارتك مجموعة مناسبة من الكتيبات والأشرطة لتوزيعها على من تلقاه وتتلمس فيه الخير).

١٨- نشر المطويات التي تعالج موضوعاً معيناً يناسب من توزعه عليهم، وهي تتميز بأنها تُقرأ في دقائق معدودة.

١٩- إشاعة كل عمل إسلامي يراه الداعية أو يسمع به وهي علامة على حب العمل للإسلام.

٢٠- تأليف الكتيبات والرسائل، وهي من الوسائل التي يبقى نفعها، وثوابها لا ينقطع.

٢١- الرسالة، وهي أن يقوم الداعية بكتابة رسالة إلى مدعو ينصحه ويدله على الخير، أو ترك ما هو عليه من أخطاء، مع مزج هذه الرسالة بالعاطفة والرقة واللفظ الجميل.

٢٢- شكر كل من أسهم في دعم الدعوة والثناء عليه من خلال المقابلة أو المهاتفة أو المراسلة أو الفاكس أو عبر شبكة الإنترنت، وفي هذا تشجيع له على مواصلة العطاء الدعوي.

٢٣- التفكير فيما ينفع الدعوة والعمل الإسلامي والتخطيط الجاد له؛ لأن أول خطوة للعمل الجاد هو التفكير، لذا على الداعية أن تكون له جلسة تفكير لإيجاد الجديد للوسائل الدعوية أو تطوير ما هو قائم.

٢٤- الدعاء للمدعو بأن يهديه الله تعالى ويشرح صدره ويفتح عليه، وهذا أسلوب قرآني: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وأسلوب نبوي، قال ﷺ : **«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»** [(١)].

٢٥- تشجيع كافة أعمال البر والخير، ولاسيما في مجال الدعوة ونشر العلم وتقديم الخدمات.

٢٦- طرح مشاريع خيرية ودعوية في المجالس العامة أو الخاصة، مثل :

أ- كفالة داعية.

ب- تفطير صائم.

ج- كفالة يتيم.

د- طباعة كتاب.

هـ- وقف خيري.

وفي طرح مثل هذه المشاريع فائدة، وهي تعريف الناس بها ودلالاتهم عليها للمشاركة فيها، وبث الحس الدعوي لديهم.

٢٧- تخصيص وقت دعوي (ساعة في الأسبوع مثلاً) لزيارة الأرحام والجيران، وأن تكون الزيارة هادفة بمعنى: أن يضع الداعية هدفاً تربوياً يحققه من خلال تلك الزيارة.

٢٨- الدلالة على كل خير للمسلمين، فكن - أخي الداعية - دليل خير للآخرين. "ولك مثل أجور من تبعك منهم".

---

(١) البخاري.

٢٩- استثمار الفرص والمناسبات وتوظيفها لنشر الخير كـ (رمضان، الحج، الأعياد، الأفراح، الأتراح، المجالس العائلية والخاصة،...) والداعية الناجح: من يمتلك صفة حسن استغلال الفرص وتوظيفها في خدمة الدعوة، بل يصنع الفرصة ويوظفها في خدمة الدين.

٣٠- دعوة فرد بعينه ومحاولة جذبه إلى طريق الهدى والاستقامة ولك - إن شاء الله - أجر صلاحه وهدايته.

٣١- المشاركة في المجلات الإسلامية وذلك بدعمها :

أ - معنوياً بالمراسلة والتشجيع. ب - مادياً بالاشتراك فيها.

٣٢- تقوية العلاقة بالمؤسسات الدعوية والإغاثية والمشاركة فيها بقدر الإمكان وخاصة في المواسم؛ كرمضان، الحج، الأعياد، الأفراح، المجالس العائلية... إلخ).

٣٣- تسخير وتوظيف الطاقات والمواهب والقدرات لخدمة هذا الدين.

٣٤- الحوار والمناقشة الهادفة بين اثنين فأكثر حول قضية من القضايا بهدف إحقاق الحق أو الدفاع عنه بالحجة والبرهان.

٣٥- ملازمة الإمامة في أحد المساجد، وذلك لتفعيل دور المسجد، ودعوة أهل الحي للهداية والعمل الصالح، قال تعالى : ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

٣٦- المساهمة في دعم نشاطات الدعوة مادياً ومعنوياً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

٣٧- التعاون الدعوي مع الآخرين والاستفادة منهم لنشر الدعوة الإسلامية بأقصى وقت ممكن: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].

٣٨- التخطيط بجدية لبرامج الدعوة، وضع خطة يومية، أسبوعية، شهرية، سنوية، مناسبات، مستقبلية....

٣٩- استثمار همة الناس والاستفادة منهم في متطلبات الدعوة:

أ - بناء مساجد.

ب - إقامة المنشآت النافعة ونحو ذلك.

٤٠- تسخير البيت في خدمة الدعوة وتأثيره على الأحياء المجاورة وذلك بنشر الدعوة بينهم.

٤١- المبادرة الذاتية لفتح نشاط دعوي مناسب مثل :

أ - مجلس حارة. ب - نشاط مدرسي. ج - تفعيل جماعة المسجد.

د - نشاط عائلي. هـ - إقامة معرض للكتاب والشريط الإسلامي أو معرض جراحات العالم الإسلامي.

٤٢- تنظيم - إن أمكن - جولة وقافلة لدعوة أهل القرى والمناطق النائية.

٤٣- الاستعداد الدعوي للمناسبات الإسلامية، وذلك بإعداد ورقة عمل لممارستها عمليّاً مثل: (رمضان - الحج - العيد...).

٤٤- قدِّم رأياً واقترح فكرة فلعلك تكون ممن سن في الإسلام سنة حسنة.

٤٥- القيام برحلة إيمانية إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة لمجموعة من الشباب من أبناء الحي لتربيتهم ودعوتهم إلى الله.

٤٦- الاستفادة من حملات الحج والعمرة من خلال إعداد البرامج التربوية والثقافية.

٤٧- الاستفادة من الشبكة العالمية (الإنترنت) في الدعوة إلى الإسلام ونشر مبادئه السمحة.

٤٨- تخصيص ساعة في اليوم للقراءة في الكتب الدعوية، لزرع الحس الدعوي الذاتي، ومعرفة الوسائل والأساليب الجديدة وكيفية ممارستها دعوياً في واقع الناس.

٤٩- المشاركة الدعوية في وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز وغيرها.

٥٠- وأخيراً : أن يستشعر الداعية المسلم مسؤوليته تجاه دعوة الإسلام وتبليغها للناس بأقواله وسلوكه وأعماله، فتعيش الدعوة حية في قلبه، متوجهة في ضميره، تجري في دمائه، فتنقله من الفتور والكسل إلى الحركة والعمل، ومن حظوظ النفس وشهواتها إلى احتياجات الدعوة وواجباتها (الرائد دروس في التربية والدعوة).

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المبحث التاسع
كيف ندعو غير المسلمين إلى الاسلام؟

١ - الإحسان لغير المسلمين في المجتمعات الإسلامية من الوسائل الهامة في دعوتهم، فقد شرع الإسلام لغير المسلمين من الذميين والمستأمنين المعاملة الحسنة لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨].

وهذه الآية أصل في معاملة غير المسلمين المعاهدين، وحكمها باق غير منسوخ، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: معنى الآية الرخصة في الإحسان إلى غير المسلمين والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين بموجب عهد أو أمان أو ذمة.

القرآن والسنة يدعوان إلى الإحسان:

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة في ضرورة الإحسان إلى الناس في القول والعمل وإيجاب العدل معهم قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، أما السنة ففيها الكثير من الشواهد على الإحسان والعدل مع غير المسلمين، كما أن فيها عدداً من النصوص التي تبين عاقبة الظلم خاصة ظلم أهل الذمة، وتوعد من ظلمهم بأن يكون حجيجه يوم القيامة، منها قوله ﷺ : **«ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»** وأن عمر رضي الله عنه كان يقول: "أوصيكم بذمة الله فإنها ذمة نبيكم"[(١)] وكان يقول: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفوا فوق طاقتهم.

وكان العلماء والقضاة يسيرون على هذا النهج من النصح للخلفاء بأن يرفقوا بأهل الذمة، لقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف قوله لأمير المؤمنين هارون الرشيد "وقد ينبغي

---

(١) صحيح البخاري.

يا أمير المؤمنين – أيدك الله – أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم.

لا بد من التفريق بين الإحسان والولاء والبراء. وجدير بالذكر هنا أن هناك فرقاً بين البر المسموح به وبين الموالاة والمودة المحرمة، فهناك فرق ظاهر بين الإحسان في المعاملة للمعاهدين وبين مودتهم بالقلوب، فالأمر بالبر والإحسان إليهم لا يستلزم مودتهم بأي حال من الأحوال، فقد أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين الكافرين، مع أنه نهى عن مودة الآباء والأبناء إن استحبوا الكفر على الإيمان، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى في شأن الوالدين: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٨]، قال ابن حجر رحمه الله "البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادّ المنهي عنه".

من صور الإحسان الثابتة في الشرع:

مما سبق يتبين أن الإحسان لغير المسلمين من الأمور الهامة في دعوتهم وتحبيب الإسلام إليهم، ومما أباحه الله في ذلك ما يلي:

الصدقة: فيجوز للمسلم أن يتصدق على الجار الكافر من غير المحاربين من غير الزكاة للآية التي ذكرتها، وقد مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند مقدمه إلى أرض الشام بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت. ثانيا : صلة القرابة وتبادل الهدايا وحسن الجوار. صلة الرحم من الأخلاق المحمودة عند كل عاقل وفي كل دين، ولا بأس أن يصل المسلم المشرك قريباً كان أو بعيداً، وتتأكد الصلة في حق الوالدين كما سبق ذكره في الآية قبل ذلك، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قدمت أمي وهي مشركة عند رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة

أفأصل أمي؟ قال: **«نعم صلي أمك»** قال ابن حجر: قولها راغبة "أي راغبة في شيء تأخذه وهي على شركها"[1] ولهذا استأذنت أسماء أن تصلها ولو كانت راغبة في الإسلام لم تحتج إلى إذن.

وكما يجوز صلة القريب والإهداء إليه، فإنه يجوز قبول هديته لأن النبي ﷺ قبل هدية زينب بت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر، حيث أهدت له شاة مشوية مسمومة كما ثبت ذلك في السنة.

قال ابن باز رحمه الله : ويحسن إليه – أي غير المسلم – ويتصدق عليه إن كان فقيراً، ويهدى إليه إن كان غنياً، وينصح له فيما ينفعه لأن هذا مما يسبب رغبته في الإسلام والدخول فيه.

إعانة المحتاج من صور الإحسان:

ومن ذلك أيضاً إعانة المحتاج سواء كان بكفالة العاجز منهم أو كبير السن، وهذا هو ما سار عليه الخلفاء الراشدون في صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة، ففي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق – وكانوا نصارى – وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله.

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، ولمن أراد أن يتعرف على المزيد فى هذا الموضوع فليرجع إلى كتابنا الموسوم بـ (المنهج القرآنى فى مجادلة أهل الكتاب) ففيه شرح تفصيلى..،

---

(١) رواه البخاري.

ويدخل في ذلك إغاثة الملهوف وإسعاف المحتاج منهم كما لو وجد مصاباً أو من انقطع به الطريق فلا حرج أن يعينه، قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله : قضاء حاجة الكافر لا بأس بها إذا كان ليس فيه معصية اهـ.

زيارة مرضاهم وتعزيتهم :

ومن ذلك أيضا عيادة مرضاهم، واستند من أباحها من العلماء إلى ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً ليهودي كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال : أسلم فأسلم [١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "عيادته – يعني النصراني – لا بأس بها فإنه قد يكون في ذلك مصلحة لتأليفه على الإسلام.

ويؤخذ مما سبق أن على الدعاة إلى الله ألا يوجهوا دعوتهم إلى الكبار فقط بل يوجهوا دعوتهم إلى الصغار أيضا كما فعل عليه الصلاة والسلام.

أما التعزية ففيها خلاف بين العلماء، والظاهر أنها تجري مع المصلحة، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "لا بأس أن يعزيهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك، وقال ابن عثيمين رحمه الله : التعزية جائزة إذا كان هناك مصلحة شرعية.

وقد سئل الشيخ ابن باز عما يقوله عند تعزيته، فقال يقول له: جبر الله مصيبتك أو أحسن لك الخلف بخير، وما أشبه ذلك من الكلام الطيب، ولا يقول غفر الله له ولا يقول: رحمه الله إذا كان كافرا أي لا يدعو للميت، وإنما يدعو للحي بالهداية وبالعوض الصالح ونحو ذلك.

وليعلم أن الداعية المسلم يستطيع أن ينتهز فرصة التعزية بإدخال السكينة والهداية إلى قلوب غير المسلمين ودعوتهم عمليا بالقدوة والموعظة الحسنة، فإنه عندما ترق القلوب وتتأثر بالمصائب يكون انقيادها إلى الحق أقرب وكفى بالموت واعظا.

---

(١) صحيح البخاري.

هذه بعض صور الإحسان التي يمكن للدعاة إلى الله استغلالها مع غـير المسـلمين ممـا دل عليه الكتاب والسنة وذلك بهدف تحبيب الإسلام إليهم وترغيبهم في الدخول فيه. إن المسلم مطالب خاصةً المسلم الذي آتاه الله علماً وفهماً وإدراكـاً أن ينتفـع بعلمـه وفكـره وأن ينفـع الناس بذلك.

ولا شك أن هناك صفات ينبغي أن يتحلى بها المسلم ليكون قدوة لغير المسلمين، عندما يرونه يحسون أن الإسلام يتجسد فيه، ومن هذه الصفات أن يُقبل المسلم على نفسه ويجعلـها خاضعة لكل ما يتلقى عن الله ورسوله من الأوامر والنـواهي، كمـا أن المسـلم مطالـب بـأن يستسلم لله ويتجرد لـه ليكون أدعى للقبول.

ثانياً: ومن العوامل الحساسة المهمة التي ينبغي على المسلم اتباعها هو الأسلوب الحسـن في نطاق الكتابة والخطابة والتحدث والنقاش، وبالأسلوب يستطيع المسلم أن يصيب الهـدف ويبلغ القصد بأقل التكاليف وأيسرها.

إن عرض المسلم لأفكاره ومبادئه بأسلوب شيق جذاب يحبب الآخرين إلى الإسلام فـلا ينفرون أو يبتعدون، كما أنه ينبغي مخاطبة الناس على قدر عقولهم ومـداركهم، فـلا يخاطـب العمال الكادحين بأسلوب الفلاسفة أصـحاب المنطـق ولا ينـاقش الملاحـدة المـاديين بلسـان عاطفي خال من الحجة والبرهان.

والنفوس جبلت على حب من أحسن إليها بل وقد تدفعها القسوة والشدة أحياناً إلى المكابرة والإصرار والنفور فتأخذها العزة بالإثم. وليس معنى اللين المداهنة والرياء والنفاق وإنما اللين ببذل النصح وإسداء المعروف بأسلوب دمث مؤثر يفتح القلوب ويشرح الصدر كما قال تعالى موصياً نبيه موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

ثالثـاً: معرفـة الشـخص المـدعو والتعـرف علـى أفكـاره ومفاهيمـه وتصـوراته وعللـه ومشكلاته لأن ذلك وسيلة إلى التعرف على المنافذ التي تنفذ إلى نفسيته.

إن المسلم في الحقيقة هو مشخص للمرض ومقدم للعلاج لمن يحتاج إليه، كما أنه لا ينتظر أن يأتي إليه الناس بل إنه يسعى إلى البحث عنهم وزيارتهم بين وقت وآخر وفي فترات مناسبة لهم بل ودعوتهم في مختلف المناسبات والمشاركة في أفراحهم وأتراحهم.

رابعاً: والمسلم في دعوته الناس دائماً يؤكد على معاني العقيدة الإسلامية ويحاول أن يزرع بذرة الإيمان بالله في قلب المخاطب، وأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت، وأن هناك حياة بعد الموت، وأن هناك حساباً وعقاباً يثاب فيه المحسن مقابل إحسانه ويعاقب فيه المذنب على إساءته.

فالحديث عن العقيدة الإسلامية وتجلية معانيها وأصولها وما تستلزمه وتتضمنه هو الأساس في دعوة الداعي وهي مما يجب أن يؤكد عليه دائماً ولا يغفل عنه مطلقاً لأنها الأصل في الإسلام فإذا استقام له هذا الأصل واستجاب له المدعوون بعد كفرهم سهل عليه إقناعهم بمعاني الإسلام وفروعه.

كما أنه عند الحديث عن واقع المسلمين وممارستهم يحاول المسلم أن يوضح أن ما يصيب المسلمين اليوم من تقهقر وتخلف وما هم فيه من تفكك إنما هو بسبب بعدهم عن الإسلام.

وإن إدراك المدعو إلى الإسلام لأصول العقيدة الإسلامية ومعرفته شروط لا إله إلا الله يسهل أمر تعليمه وتدريسه بقية أصول الإسلام وأركانه بل ويساعد على تحفيظه القرآن الكريم.

خامساً: إن المسلم مأمور بالصبر على الدعوة فهو لا يستعجل نتائج دعوته عندما يدعو الناس إلى الإسلام، كما أن اليأس لا يعرف إلى قلب المسلم سبيلاً ولا يمكن أن يصيبه الوهم إذا تأخر ظهور النتائج المرجوة من الجهود التي بذلها في سبيل دعوة الآخرين إلى الإسلام، ومن الصبر على الدعوة أن يقوم بواجب النصيحة في المواقع التي تجب فيها النصيحة وتنفع فيها الكلمة الحقة دون خوف من الناس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

سادساً: إن المسلم مأمور بالتضحية في سبيل الله، التضحية بالوقت.. التضحية بالجهد.. التضحية بالكفاءة الفكرية والمكانة الاجتماعية والتضحية بالمستقبل اللامع والتضحية بالأماني والآمال، يقتدي في ذلك بسلف الأمة الذين ضربوا أروع أمثلة التضحية في كل ما قاموا به في سبيل الدعوة،واقرءوا إن شئتم القرآن والسنة وسترون الأمثلة الكثيرة فى التضحية والامتثال لله تعالى.

فما أحرى الأحفاد أن يسلكوا سبيل الأجداد السابقين، إنه لن تقوم للمسلمين قائمة ما لم يتصفوا بهذه الصفة الكريمة – التضحية – ذلك أنهم في حالة فقدانها فإن هذا يعني التسابق على الدنيا والتعلق بالأمور السافلة، ذلك أن التضحية بمعناها الحقيقي هو أن يرسم في ذهن المسلم مفهوم تقديم مصلحة الإسلام على كل مصلحة والعيش بالإسلام تحت أية ظروف، لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة والجهاد في سبيل الله.

إن قلوب المسلمين لا ينقصها التحمس للدين والفضيلة كما لا يروقها ما ترى من عمليات الهدم والتضليل التي يتعرض لها الإسلام، وكذا فهم حريصون كل الحرص على الإسلام ولكنهم يحتاجون إلى من يشرح لهم الدليل ويوضح السبيل.

أخي المسلم : كن أنت القائد الذي يريهم السبيل ويبين لهم الدليل فتكون بذلك قد ساهمت في مواجهة المخاطر التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون في أنحاء الأرض وتكون قد دفعت عن المسلمين شراً كبيراً وفتحت لهم باباً واسعاً بدعوة من يأتيك إلى الإسلام.

* * * * *

المبحث العاشر
أمور تندر فيها مراعاة الحكمة

هناك أمور وقضايا كثيرة يتساهل كثير من الناس في مراعاة الحكمة فيها، مع أنها أولى من غيرها؛ لأهميتها ولما يترتب على ترك الحكم فيها من آثار سلبية، ولسنا في مقام الحصر لهذه الأشياء وتعدادها، ولكن سنذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

الوالدان، والأولاد، والزوجة، والأهل، والأرحام : فموضوع بر الوالدين، وتربية الأولاد، ومصاحبة الزوجة ومعاشرتها، وصلة الأهل والأرحام والأقارب موضوع وقع الناس فيه بين إفراط وتفريط، قليل منهم من يُوَفق إلى الأسلوب الأمثل ويؤدي حق الله في هذا الجانب.

فمثلا الزوجة، هناك من أساء فهم حق القوامة التي منحه الله إياها، الآية الكريمة تقول: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣٤].

فتسلط على زوجته، واعتبرها مملوكة له، ويعاملها معاملة السيد لمملوكه، ويتجاهل حقوقها كأنها قطعة أثاث في البيت، ولكن المنهج الشرعي في معاشرتها، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩].

وهذا استعباد لم يأذن به الله، وآخرون خضعوا لسلطان الشهوة؛ قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

فاستعبدتهم النساء، وأصبحت المرأة هي السيدة في البيت فلا يقضي أمر من دونها، ولا يعتذر عن أمر من مطالبها، فضاعت القوامة، ولن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة.

والقليل من وُفّق للعمل بهذه الأدلة، قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال عز وجل: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩].

وقول الرسول ﷺ : **«لا يفرَك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر أو قال غيره»**[1].

وقوله ﷺ : **«إنما هن عوان[2] عندكم»** [3].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تبين حق الزوج والزوجة فالحكيم هو من يراعي الحكمة في التعامل مع زوجته وأولاده.

١ - التعامل مع المجتمع:

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من التناقضات، وكثيرة هي المتناقضات الآن، ويحتاج المجتمع إلى الحكمة في التعامل حتى يكون هناك إيجابيات، وبعداً عن السلبيات، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

٢ - التعامل مع أهل البدع:

هذا مطلب مهم للغاية، وقد بيّن العلماء المنهج الشرعي في التعامل مع أهل البدع، وفرقوا بين البدع صغيرها وكبيرها، والظاهر منها والمستتر، كما فرقوا بين الداعي إلى بدعته، والقاصر لها على نفسه، وليس هذا مكان بيان لذلك، ولكن أردت أن أشير إلى الخلل الواقع في ذلك من قبل بعض الدعاة وطلبة العلم، مما يجانب الحكمة ويضادها، فالأصل هو كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، والأصل أن نبتعد عن البدع وألا نستدرك على الرسول ﷺ لأن البدع تأتي من باب الاستحسان، والذي يستحسن شيئًا ويفعل أشياء ما فعلها الرسول ﷺ ولا الصحابة، فكأنه استدرك على الرسول ﷺ وقال : يا رسول الله لم تبلغ الدين كاملاً، والله عز وجل قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) رواه الإمام مسلم ٦٣/ ١٤٧٠.

(٢) أسيرات.

(٣) الترمذي ١١٦٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة١٨٥١.

٣ - في إنكار المنكر:

لماذا إنكار المنكر؟ وهل الأمر بالمعروف لا يحتاج إلى حكمة؟

ليس الأمر كذلك ولست بصدد بيان الأمور التي تحتاج إلى الحكمة، وإنما المراد هو الإشارة إلى ما يفتقر إلى الحكمة من حيث الواقع، والمُشاهَد أن الإخلال بالحكمة في النهي عن المنكر أعظم من الإخلال بها عند الأمر بالمعروف، وكذلك فإن ضوابط إنكار المنكر قد تخفى على الكثيرين أكثر من خفاء ضوابط الأمر بالمعروف، وخلاصة القول أننا بحاجة إلى الحكمة عند الأمر بالمعروف، ولكننا في حاجة أشد إليها عند إنكار المنكر؛ لأنه لابد من مراعاة قاعدة المصالح والمفاسد، وقاعدة سد الذرائع، وغيرهما من القواعد الشرعية لماذا ؟ لأنه من لا يملك الحكمة في إنكار المنكر سيفتح على الأمة أبواباً من الشرور، والمشاكل والمفارقات لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولهذا كان الإخلال بالحكمة له من الآثار السلبية التي لا تخفى على أحد كما بيّنّا.

* * * * *

المبحث الحادى عشر
فن العتاب وفقه الخطاب

هناك ألوان كثيرة وفنون شتى للتحاور والتفاهم بين الناس، كما قال تعالى لموسى وهارون فى مخاطبة فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤]، فاللين وسيلة من وسائل الخطاب بين الناس للوصول إلى الهدف المنشود من الإقناع وغيره من مقاصد التحاور.

وهناك الشدة ورغم كونها على النقيض من اللين إلا أن لها مواضع لا بد منها، ولها ثمار ليست بمعزل عنها، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال الشاعر[(١)]:

إذا أَنــتَ أَكرَمــتَ الكَــريمَ مَلَكتَــهُ ::: وَإِن أَنــتَ أَكرَمــتَ اللَئــيمَ تَمَــرَّدا

وَوَضعُ النَدى في مَوضِعِ السَيفِ بِــالعُلا ::: مُضِرٌّ كَوَضعِ السَيفِ في مَوضعِ النَــدى

وهناك العتاب وهو فنٌّ ولونٌ من ألوان الخطاب يختص بالمتحابين وأصحاب العلاقات المترابطة والوشائج القوية، وقد يكون من الخطورة بمكان إن لم يُستخدم على الوجه الأمثل، ويُوضع فى موضعه اللائق به.

ولقد تعلم النبى ﷺ من ربه - تبارك وتعالى - فقه العتاب حيث كان القرآن ينزل بالعتاب من الله - تبارك وتعالى - لخليله ومصطفاه سيد البشر ﷺ ليوجهه إلى الأمثل والأوفق والأرفق والأحسن من السياسات والقرارات، عندما يفعل النبي ﷺ ما يكون خلاف الأولى.

فمن ذلك أن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وقد أسلم قديمًا جاء إلى النبي ﷺ وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم.

---

(١) المتنبي ٣٠٣ - ٣٥٤هـ أبو الطيب الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب العربي.

فقال عبد الله: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك مرارًا وألح عليه وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك؛ ليتمكن من مخاطبة الرهط طمعًا ورغبة في هدايتهم، وعبد الله لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزل قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ [عبس: ١ - ١٠]، فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه: **«مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيْهِ رَبِّي»** [(١)].

قال العلماء: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالمًا بأن النبي ﷺ مشغولٌ بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله - تبارك وتعالى - عاتبه؛ حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء والمساكين؛ وما فعله النبي ﷺ كان نوعًا من المصلحة؛ لأنه بإسلام هؤلاء القوم تُسلم القبيلة كلها، إلا أن الله - تبارك وتعالى - وجهه إلى الأولى والأحسن وهو أن النظر إلى المؤمن وإن كان فقيرًا أصلح وأولى من الإقبال على الأغنياء طمعًا في إيمانهم.

فانظر إلى العتاب الرقيق فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾ [عبس: ١]، بضمير الغيبة، تعظيمًا وإجلالاً له ﷺ ولم يقل: عبست وتوليت بلفظ المخاطب، لإيهام أن من صدر عنه هذا الفعل ليس هو ﷺ، والسامع لهذه الآيات للمرة الأولى لا يعلم من هو المقصود بها، وإن علم فليس في الأسلوب شدة أو نقمة إنما توجيه للأحسن والأصوب، كما أن في التعبير بضمير المخاطب فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ ﴾ [عبس: ٣]، الإيناس بعد الإيحاش، والإقبال بعد توهم الإعراض.

وهكذا يكون العتاب الرقيق باستخدم الألفاظ الرقيقة التى لا تؤثر سلبًا على نفس سامعها بحيث ينسى أنه عتاب ويتحول إلى مُدافعٍ ومجادلٍ عن موقفه لِيُثْبِتُ أنه على صواب، ولا يؤتي العتاب - في تلك الحالة - ثمرته المرجوة.

ومن ذلك أيضًا عن ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قال: لَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى في بدر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: **«مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الأُسَارَى»** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ

---

(١) تفسير القرطبي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»** قُلْتُ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»** شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ [1]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

فالنبي ﷺ فى هذا الموقف آثر السلامة، وهو رأي كثير من أصحابه، ولكن الله – تبارك وتعالى – أرشده إلى الأولى من ذلك وهو الشدة فى هذا الموقف؛ لأن هؤلاء هم صناديد الكفر وكبار أهل الضلال، فالأولى معهم القتل والتنكيل بدلاً من العفو والصفح خاصة والدعوة في بداياتها وتحتاج إلى أن تظهر بمظهر القوة بين قبائل العرب، وكان هذا هدفًا لا يعدله المال، ولذا سُمي هذا اليوم بيوم الفرقان لعظمته فى تاريخ الدعوة.

فعاتبه الله بقوله: (ما كان لنبي) فالخطاب ليس موجهًا مباشرة إلى رسولنا ﷺ ولكنَّ المعنى: لا يحق لأي نبي مهما كان أن يكون فى هذا الموقف وعنده أئمة الكفر الذين حاربوه وأخرجوه ومكروا به وأرادوا قتله أن يعفو عنهم.

وهكذا يكون العتاب الرقيق الذى لا يوجه مباشرة إلى الملوم؛ حتى لا يتشاغل بالدفاع عن نفسه، وينسى فى ظل الجو شديد السخونة أن يتعلم ويفهم المراد من التوجيهات السديدة، والنصائح الرشيدة، ويفهم عن اقتناع ورضا نفس أن الأولى هو فعل ما يرشد إليه العاتب.

---

(١) رواه مسلم.

ولقد تعلم النبي ﷺ أيضًا فقه العتاب وفنه من أحاديث ومواقف الأنبياء التي قصها الله تبارك وتعالى عليه، وأعلمه بها فمن ذلك ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً»** (١).

عاتب الله تبارك وتعالى هذا النبي الذي يقال: إنه العُزَيْر، بأنه قتل جماعة النمل لأنه لُدغ من واحدة فقط، فاستعى الله انتباهه وقال له: **«فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً»**.

والناظر لقوله تعالى: **«فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً»** يجد أنها لطيفة موجهة لما هو أرفق بهذا النبي؛ حيث إن الموقف لا يستدعي الشدة فالخطب يسير، وأمة النمل مهما بلغت لا تملك من أمرها شيئًا.

وعلى هذا المنوال من الأدب الجم والفقه العميق لفن العتاب تعامل النبى ﷺ مع أصحابه فى المواقف التى تحتاج إلى ذلك، وتوجيههم إلى ما هو أصلح وأولى فكان ﷺ بذلك يهذب أصحابه ولا يلجئهم إلى الدفاع عن أنفسهم بل يلفت انتباههم إلى العبرة والعظة من العتاب.

ولقد حرص ﷺ أن تكون الصيغ والكلمات معبرة وموحية بالحب والعطف والشفقة على محدثه؛ لتنفذ هذه النصائح والكلمات إلى قلبه فيتأثر بها ويعمل بمقتضاها.

فمن ذلك ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا [بعد غزوة حنين] فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ: **«فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ

---

(١) رواه البخاري ٣٣١٩، مسلم ٢٢٤١، أبو داود ٢٥٦٥، النسائي ٤٣٥٨، ابن ماجة ٣٢٢٥.

فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لـه أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»** قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ: **«أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ»** قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ: **«أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ»** قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقْنَا.

في هذا الموقف المؤثر كان النبي ﷺ يستطيع أن يقول: أنا رسول الله؛ ويجب عليكم طاعتي فاسمعوا وأطيعوا، ولكنه ﷺ لم يفعل بل هذبهم بعتابه الرقيق الذي ما سمعه أحد من أهل القلوب الرقيقة إلا بكى مع بكاء الأنصار، وفهم العبرة والعظة المستهدفة في جو هادئ لهذا المقام، وهي أنه ترك الأنصار لإيمانهم وتقواهم، وتألف أناسًا سوف يكونون بعد ذلك حماة الإسلام وحصنه.

وأرسل ﷺ يومًا أحد صحابته عاملاً على الصدقة فجاء حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي لي، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن صعد المنبر عشية بعد الصلاة وقال: **«أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَهَلا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لـه أَمْ لا....»** [1].

ورأى رجلاً آخر يغتسل فى مكان فسيح بلا إزار، ولا يستتر عن أعين الناس فصعد ﷺ المنبر وقال: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ؛ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ**

---

(١) رواه البخاري ٦٦٣٦، مسلم ١٨٣٢، أبو داود ٢٩٤٦.

فَلْيَسْتَتِــرْ» [1].

وغيرها من المواقف التى تدل على أن النبي ﷺ لا يُعَرِّضُ باسم أحد من صحابته بل يقول: **«ما بال أقوام يفعلون كذا»، «إذا فعل أحدكم كذا»** يعاتبهم بأسلوب مهذب رقيق ليس فيه تجريح للمشاعر ولا غض من قيمة الشخص الذي اقترف خطأ، فكان ﷺ مثلا حيًا للصحابة فى فقه التعامل مع الناس. بل كان يتعامل مع أهله - أعني زوجاته - بهذا الفقه فمن ذلك ما قصه ربنا تبارك وتعالى فى سورة التحريم حيث قال: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم: ٣].

أي أن النبي ﷺ استكتم حفصة سرًا بتحريم العسل على نفسه: (وأن أبـاك وأبـا عائشـة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي)[2]؛ فذكرته حفصـة لعائشـة فـأظهره الله عليـه، فعـرف بعضه وأعرض عن بعض.

أي: قال لها: إن الله أوحى إليَّ ما أفْشَيْتِ من السر فى تحـريم العسـل، وأنـك أخـبرت عائشة بذلك، وأعرض عن قولـه: (إن أباك وأباها يكونان خليفتي على أمتي من بعدي).

وهذا التغاضي عن كثير من أخطاء الأحبة والمقربين من شيم الكـرام الأخيـار الـذين لا يلومون أحبابهم على كل ما يفعلون أو يأتون مـن أخطـاء ولكـن يكفـي التعـريض ببعضـها والكف عن البعض الآخر.

ويُعَدُّ هذا من قمة فقه العتاب وفنه بمكان، لا يصل إليـه إلا مـن تـأدب بـآداب القـرآن وتعلم من النبي العدنان ﷺ.

قال الحسن: ما استقصى كريم قط.

وقال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام.

---

(١) رواه أبو داود ٤٠١٢، النسائي ٤٠٦، صحيح الجامع ١٧٥٦.

(٢) رواه الدارقطني في سننه عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وعلى هذا يجب علينا أن نتعلم من النبي ﷺ الأساليب اللطيفة فى العتاب والمحاورة الرقيقة التي تجعل المعاتَب لا يخرج عن حب معاتبه، ولا يجنح إلى الإعراض عنه بل يسمع ويطيع لأن معاتبه لا يبغي إلا صلاحه وكماله سواء فى الفعل أو القول.

أما إذا تخطى الأمر الحدود، وتعدى الحرمات فهنا يقف النبي ﷺ زاجرًا آمرًا ناهيًا بشدة، ولا مجال للعتاب فى هذه اللحظة إلا الزجر والهجر، فعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِزَيْنَبَ: **«أَعْطِيهَا بَعِيرًا»** فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ[(١)].

وما قاله ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة حين أراد أن يشفع فى المرأة المخزومية التى سرقت ويريد زيدٌ أن لا تقطع يدها فغضب ﷺ من الحب ابن الحب وقال له بلهجة شديدة: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»** [(٢)].

هذه بعض المواقف من حياته ﷺ التى تبرز وتوضح ما للعتاب من قيمة حيوية فى ديننا وشريعتنا، لعلنا نعتبر بها فى عصر الجفاء والغلظة علها أن تُبرد أكبادنا وتطفئ نار قلوبنا وتهدئ من روعنا.

* * * * *

(١) رواه أبو داود ٤٦٠٢، حسنه الألباني فى صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٣٥.

(٢) رواه البخاري ٣٤٧٥، مسلم ١٦٨٨، أبو داود ٤٣٧٣، الترمذي ١٤٣٠، النسائي ٤٨٩٥، ابن ماجة ٢٥٤٧.

المبحث الثاني عشر
في إشاعة بعض الأخبار والمفاهيم

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [النساء: ٨٣].

من القضايا التي تقل فيها الحكمة مما ظاهرها المسرة أو الخوف، وفي باطنها الأحداث التي تخفى على الكثيرين، وخاصة وقت الأزمات والحروب.

ولأن الحكمة ليست متاحة لكل واحد أمر الله رد الأخبار إلى الرسول في حياته وإلى سنته وعلماء الأمة بعد وفاته، لأن أولئك هم الذين يدركون الحكمة، ويعلمون ما وراء هذه الأخبار، ومن ثَم يقررون ما يناسب الحال وهم الذين يفقهون قول الرسول ﷺ : **«كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع»** [(١)].

لأن كثيرًا من الإشاعات والأخبار ليست على ظاهرها، بل قد تكون مكذوبة من أصلها.

١ - النقد وبيان الأخطاء:

كثير من الناس قد ضلوا في هذه المسألة؛ فطائفة أطلقوا ألسنتهم دون حسيب أو رقيب، وطريقتهم النقد والتجريح، وإحصاء الأخطاء والمثالب للعلماء أو لطلاب العلم ولا يسمعون بمنقصة إلا وأذاعوها، ولا مذمة إلا وأشاعوها،

وهناك أيضاً طائفة أخرى اعتبروا النصيحة فضيحة، والتنبيه على الأخطاء تجريح، وجعلوا لبعض الأفراد والهيئات والجماعات قداسة لا تمس ومنحوهم حصانة لا ترفع، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

---

(١) صحيح مسلم ٥.

ومن هنا فإن موضوع النقد وبيان الأخطاء موضوع حساس، له ضوابط يجب أن تراعى، وحدود لا يجب تعديها ولا تجاوزها، ومراعاة هذا الأمر هو الحكمة التي نعنيها والضالة التي ننشدها.

هذه نماذج من أمور كثيرة يجب أن تراعى الحكمة فيها، ونلحظ تساهل كثير من الناس في ذلك مما ترك كثيراً من الآثار السلبية في واقع المسلمين ومجتمعاتهم.

٢ - مسائل متعارضة سوى الناس بينها:

هناك مسائل وقضايا اختلط فيها الأمر على المسلمين، فسووا بينها مع أنها متضادة ومتعارضة، وبينها خيط رفيع لا يدركه إلا الحكماء، ممن وهبهم الله البصر والبصيرة، فالأول مذموم، والثاني ممدوح بل ومطلوب، ولذلك بعض الناس يصف الكريم بالإسراف، وآخرون يصفون المسرف بالكرم، وهكذا، وسنذكر بعض هذه القضايا والمسائل تنبيهاً إلى خطورة عدم التفريق بينها، وتصور أنها من المتماثلات، لنكون على بينة من أمرنا؛ تجنباً لفتح هذه الأبواب على مصراعيها دون تبصر لحقيقته وآثاره.

فمن ذلك الخلط بين:

- القوة، والعنف والغلظة.
- الرفق واللين، والضعف.
- المداراة، والمداهنة.
- المصلحة، والمفسدة.
- النصيحة، والتشهير والإسرار، والسكوت عن الحق.
- الغيرة، والاندفاع غير المنضبط.
- العزة، والتكبر.
- التواضع، والذل.
- والتأني، والبرود والخمول والكسل.

- الشجاعة، والتهور.
- خوف الفتنة، والجبن والخوف.

وكثير من الناس يصعب عليه التفريق بينهم، فنجد من يصف الشجاع بالمتهور.

وتجد من يثني على المتهور ويصفه بالشجاع - أي خلط - والمنهج الصحيح هو تسمية الأشياء بأسمائها، ولا يتسنى ذلك إلا لمن رزق علماً وفهماً وقدرة على وضع الشيء في موضعه، وهذه هي الحكمة التي نتحدث عنها، فنسأل الله سبحانه وتعالى بعد ذلك أن يرزقنا الحكمة وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى ونحن بحاجة دائماً وأبداً إلى الحكمة والنظر البعيد أشد وأولى.

وصدق الشاعر إذ قال:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ::: هو أول وهي المحل الثاني

وإذا كان يعز توافر الحكمة في فرد واحد فإن توافرها في مجموعة أفراد أحرى وأجدى وأقرب للمنال، ولهذا علينا ألا نخالف الجماعة وألا نتفرق ولذا قال الشاعر:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ::: رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

إن الأمة أحوج ما تكون إلى الدعاة الحكماء، العاملين المخلصين الملتزمين بمنهج الرسول ﷺ في وقت أصبح الحليم فيه حيران، ونسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية، فالعلاج بين أيدينا؛ كتاب الله وسنة النبي ﷺ حيث قال ﷺ : **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي»**.

وقال ﷺ : **«قد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...»**[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) الحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٩٣٧.

ولكن لن يفقه ذلك إلا من آتاه الله الحكمة: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

المبحث الثالث عشر
خمسون نصيحة إلى كل معلم ومعلمة

١- صلاح النية : قال ﷺ : **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...»** الحديث[1].

فالنية أساس العمل فانو بعملك وجه الله عزَّ وجلَّ واستشعر ثواب تعليم أبناء المسلمين ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ولا يكن هدفك المكافأة المادية.

٢- اغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب : وحب الله عزَّ وجلَّ والخوف منه في السر والعلانية والتوكل والاعتماد عليه وطاعته فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه. فتأمل قول الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنه : **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»** [2].

لا إله إلا الله ما أجمل هذه الوصية وهذا التعليم من رسولنا ﷺ لابن عباس رضى الله عنه لتنير قلبه وتكون نبراساً له في حياته وطريقاً إلى سعادته في الدنيا والآخرة. فهلا اقتدينا بالرسول ﷺ ليكون من طلابنا أمثال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٣- حثهم على بر والديهم وإشعارهم بفضله وعظيم فائدته : وتحذيرهم من العقوق وأليم عذابه وأنه سبب من أسباب سخط الله عزَّ وجلَّ، كما أن طاعتهما سببٌ من أسباب رضاه سبحانه وتعالى. قال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، والآيات والأحاديث الدالة على عظيم حقيهما كثيرة فاذكرها لهم.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الترمذي.

٤- حثّهم على أداء الصلاة في وقتها: لقوله ﷺ عندما سئل: أي العمل أحب إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال : **«الصلاة على وقتها»** (١).

والمحافظة على صلاة الفجر والعصر؛ لقوله ﷺ : **«من صلى البردين دخل الجنة»** (٢). وأخبرهم بأن الصلاة لا تقبل إلا بطهارة، ولابد من استشعار عظمة الله عزَّ وجل حين الوقوف بين يديه لأداء فريضته بخشوع وإخبات قال ﷺ : **«ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله»** (٣). وأعلمهم أن الصلاة ركن من أركان الإسلام وأنها صلة بين العبد وربه.

٥- علمهم كيفية احترام المعلمين واحترام زملائهم واحترام النظام داخل المدرسة وخارجها.

٦- كن حليماً في معاملتك لهم وحسن الخلق معهم. فقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: **«تقوى الله وحسن الخلق»** (٤).

٧- تجنب الشدة والقسوة في عقابك ولا تُعْطِ الأمر أكبر من حقه. فقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٨- كن متسامحاً أكثر مع طلابك فليس كل خطأ يحتاج إلى عقاب فإنهم ما حضروا إلا للتعلم منك وأنت خير معلم.

٩- كن متواضعاً لهم ولا تتكبر عليهم وعلمهم حسن اختيار الصحبة الصالحة واجعلهم يألفونك ويحترمونك.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ::: على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى ::: طبقات الجو وهو وضيع

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤)أخرجه الترمذي.

١٠- علمهم تحية الإسلام: قال ﷺ : **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»** [(١)].

١١- حاول أن لا تصفهم بصفات سيئة ولا تسخر منهم، وحذرهم من استهزاء بعضهم ببعض قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [الحجرات: ١١].

١٢- علمهم الجد والمثابرة والحرص بالقول والفعل.

١٣- حذرهم من الصفات الرديئة وما نهى عنه الشرع؛ كالنفاق والكذب والغيبة والنميمة وسماع الأغاني والحسد والغضب وهكذا.

١٤- علمهم فضل الصلاة على النبي. قال ﷺ : **«من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً»** [(٢)].

١٥- حثهم على إماطة الأذى من الطريق قال ﷺ : **«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»** [(٣)].

١٦- كن داعياً إلى هدى دالاً إلى الخير سواء في الفصل أو فناء المدرسة أو في الشارع. قال ﷺ : **«من دلَّ على خير؛ فله مثل أجر فاعله»** [(٤)].

١٧- ازرع الثقة في نفوسهم وشجعهم على التصرف السليم والإجابة الصحيحة، وحفزهم ولو بهدية صغيرة فقد تكون في نظرهم كبيرة.

١٨- اترك مشاكلك واهتماماتك الخارجية خارج المدرسة. وكن صافي الذهن حاضر البديهة.

١٩- لا تغضب ولا تكن عصبي المزاج وكن صبوراً.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

٢٠- ذكرهم ببعض الآداب: كآداب الأكل والشرب قال ﷺ : **«يا غلام سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»**[1].

٢١- وآداب الشرب: سمِّ الله، اشرب بيمينك، اشرب ثلاثاً، اشرب جالساً، لا تتنفس في الإناء، لا تشرب من فِيِّ السقاء، احمد الله.

٢٢- وكذلك آداب الكلام والمجلس والنوم وآداب الاستئذان واللباس والأذكار الشرعية في اليوم والليلة.

٢٣- علمهم المحافظة على كتبهم وأدواتهم الخاصة، وكذلك المحافظة على نظافة الفصل وأروقة المدرسة وفنائها.

٢٤- علمهم عدم الإسراف بالماء والكهرباء وترشيد استهلاكها وعدم العبث بأشياء المدرسة.

٢٥- عوّدهم على نظافة ملابسهم ودفاترهم. وتقليم الأظافر وقص الشعر وظهورهم بالمظهر اللائق بهم كطلاب علم.

٢٦- ابذل جهدك وسخر طاقاتك وكن لهم خير معلم ومربٍّ وأباً فاضلاً، واعلم أن التعليم رسالة دينية قبل أن تكون مجرد مهنة أو وظيفة للمعيشة.

٢٧- كن مثقفاً محبّاً للبحث والاطلاع في مجال تخصصك وفي تخصصات أخرى.

٢٨- كن على علاقة طيبة مع مديرك وزملائك وطلابك وأولياء أمورهم.

٢٩- تعاون مع زملائك ومديرك لنجاح الخطة وتحقيق الأهداف المرجوة.

٣٠- لا تؤخر تصحيح الدفاتر حتى لا تتراكم عليك.

٣١- اكتب كلمات الثناء والشكر على دفاتر الطلاب المتميزين، ومن تلتمس منه الاهتمام ومحاولة التميز، وصحح الخطأ ليتداركوا ما أخطأوا به.

٣٢- حافظ على أسرار طلابك.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

٣٣- لا تيأس وتتكدر لبطء الفهم عند بعض الطلاب وعالج الأمر بحكمة فأنت مهيأ تربويّاً ومهنيّاً.

٣٤- ابدأ درسك بذكر الله عزَّ وجلَّ، والصلاة والسلام على النبي ﷺ.

٣٥- كن مهيئاً نفسيّاً لشرح الدرس.

٣٦- لا تنس كفارة المجلس قبل خروجك من الفصل.

٣٧- كن منظماً في عملك وليس عيباً أن ترجع لمن سبقك في هذا المجال لتستفيد منه وتكتسب من خبراته.

٣٨- لا تستغل أدوات المدرسة لأغراضك الشخصية وأعمالك الخاصة.

٣٩- لا تظلم الطلاب بخطأ طالب وتعاقب من لا ذنب لهم لسوء أدب صدر من طالب منهم.

٤٠- واعلم أن حاجة الصفوف الأولية ليست كحاجة الصفوف العليا في الوسائل، والأسلوب والمعاملة، والحزم ونحو ذلك.

٤١- اضبط فصلك ولا تركز متابعتك في جهة معينة أثناء الشرح وتغفل عن الجهات الأخرى، وركز على الضعاف مع عدم التغافل عن المتميزين ووجههم فرديّاً وجماعياً.

٤٢- اجذب نظر التلاميذ وشد انتباههم بأسلوب أو بآخر، وعزز مواقفهم الإيجابية، وأثنِ عليها ووجههم التوجيه السليم.

٤٣- عليك بمراعاة الفروق الفردية بين الطلاب وإعطاء كل ذي حق حقه.

٤٤- استغل حصة الانتظار لصالح الطلاب ولا تتركها بلا فائدة فهي جزء من عملك وعمرك.

٤٥- عرفهم بنعم الله عز وجل حيث توفرت لهم سبل المعيشة والمواصلات والمدارس المجهزة بكل شيء؛ كالتكييف، ودورات المياه، والمقاصف، والملاعب، والمكتبات، والكتب المجانية، والخامات، والوسائل لكل مادة، وأن هذه نِعَمٌ لم تكن موجودة من قبل، ولابد من شكرها لتزيد وتدوم.

٤٦- حذرهم من التشبه بالكفار والمشاهير ممن لا يستحقون أن يكونوا قدوات؛ كالمغنين والممثلين ونحوهم، وبين لهم محاذير قصات الشعر وغيرها وعدم تقليدهم لقوله ﷺ : **«من تشبه بقوم فهو منهم»**.

٤٧- حاول أن تطبق منهج وأسلوب رسولنا ﷺ وتقتدي به في كل شيء لقوله عزَّ وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٤٨- واعلم أن الأساليب والطرق تتنوع وتختلف باختلاف المراحل.

٤٩- تعاون مع مرشد المدرسة في حل مشاكل الطلاب. ومساعدتهم في تحسين مستوياتهم وتعديل سلوكم.

٥٠- كن مكملاً لما يتعلمه الطالب في المنزل.

٥١- لا تختلف أنت وأحد المعلمين أمام الطلاب. **«وكونوا عباد الله إخواناً»** [١].

٥٢- أيقظ ضميرك بدوام الخشية والمراقبة لله ليحيى قلبك وتسمو نفسك ولتكن عندك مراقبة ذاتية.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري.

الفصل الثالث

الدعوة الفردية وأهميتها

المبحث الأول
ما المراد بالدعوة الفردية

المراد بها: دعوة الناس منفردين؛ فالفردية هنا من حيث المدعو، ويقابل هذا دعوة الناس مجتمعين من خلال الدروس والمحاضرات؛ ولا نريد به العمل الفردي الذي يقابله العمل الجماعي، فالفردية في هذا النوع من حيث الداعي منفرداً بعمله مستقلاً بآرائه.

١ - أهمية الدعوة الفردية:

إن أهمية هذا النوع من أنواع الدعوة تنبثق من أهمية الدعوة إلى الله، فالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة واجبة على المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال:" بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره على أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الحق لومة لائم "[١].

وإنّ كثيراً من الناس يجهل أهمية الدعوة الفردية، لأنهم يظنون أن الدعوة ينبغي أن تكون للناس عامة وذلك بإلقاء المواعظ والمحاضرات والدروس، والحقيقة أن هذا لا يكفي، فالدعوة الفردية تكون ناجحة في أغلب الأحيان أكثر من الدعوة الجماعية لذلك نجد النبي ﷺ اهتم بالدعوة الفردية خاصة بأول مراحل الدعوة، فقد وضع ﷺ اللبنات للدولة الإسلامية عن طريق الدعوة الفردية التي أثرت في الناس، فجعلت الأفراد المتمسكين بهذا الدين مضحّين بالغالي والنفيس، فسبحان الله، قد بدأت الدعوة للدين بهذا النوع – دعوة الأفراد.

٢ - ثمرات الدعوة الفردية أفضل من الجماعية:

- تربية الأفراد تربية متكاملة، ولا تقتصر على جانب واحد وتهمل الباقي، وهذا ما يسميه بالشمولية في التربية، ولهذا فالدعوة الفردية تكون أنجح من الدعوة العامة في

---

(١) الفتح ١٣/ ١٩٢، النووي/ مسلم ١٢/ ٢٢٨.

تربية الأفراد، لأن الدعوة الجماعية لا يمكن أن تتبع أخطاء الأفراد خطأ خطأ، بل نجد أن الدعوة الفردية من خلالها يمكن التنبيه على كثير من الأخطاء التي يقع فيها الكثير من الأفراد وبهذا يمكن استكمال التربية.

- الدعوة الفردية يمكن متابعة التطبيق العملي للتوجيهات الملقاة على الأفراد.
- في الدعوة الفردية يمكن الرد على كثير من الشبهات التي تلقى على مسامع الأفراد والتي لا يمكن التحدث فيها في الدعوة الجماعية.
- في الدعوة الفردية يمكن غرس المبادئ الإسلامية الصحيحة ويمكن التحدث عنها بكل جدية ووضوح إذا جاء الوقت المناسب لكل مبدأ.
- في الدعوة الفردية يمكن إيصال الحق للذين نُفِّروا عن سماعه وعن مجالسة أهله.
- هذا النوع طريقة سريعة لكسب أكبر عدد من أنصار الدين.
- يمكن متابعة الأفراد متابعة دقيقة بخلاف الدعوة الجماعية، فإنه لا يمكن متابعتهم من خلالها.
- هذا النوع لا يحتاج إلى غزارة علم بقدر ما يحتاج إلى حكمة في الدعوة فيمكن أن يقوم به أفراد محبون للدعوة.
- الدعوة الفردية لا تحتاج إلى كثير من المعاناة فهي سهلة جداً، ويمكن أن يقوم بها أي إنسان، وأي داعية من خلال عمله، فالطالب في مدرسته أو جامعته، والموظف في عمله، والطبيب في مستشفاه.

٣ - حالات الدعوة الفردية:

هناك بعض الحالات يحتاج فيها الداعي إلى استخدام الدعوة الفردية؛ لأن الدعوة الجماعية في هذه الحالات لا تنفع، وإن كانت الدعوة الجماعية أيسر وروّادها أكثر من الدعوة الفردية، وسنذكر بعض هذه الحالات:

١ - المكانة الاجتماعية للمدعو: إن بعض الأفراد يكون معتز بوضعه الاجتماعي، ويرى أنه لو خالط عامة الناس في تجمعاتهم فهذا انتقاص لقدره - وهذا إن حدث يكون

بسبب عدم التزامه بالشرع التزاماً كاملاً – ففي مثل هـذه الحالـة لابـد أن يسـتخدم الـداعي الدعوة الفردية، فيذهب إليه في بيته، أو في عمله، ويدعوه على انفراد.

٢ – جليس السوء: إن البيئة التي يعيش فيها المدعو لها تأثير على شخصيته، فمن خـالط جلساء السوء انحرفوا به عن الجادة، فالمرء على دين خليله، ولذلك فمن كانـت هـذه حالتـه فإنه يصعب التأثير عليه نظراً لالتفاف رفقة السـوء حولـه، ولقلـة حيـائهم ومجـاهرتهم بـرد الحق، وتفاخرهم بارتكاب المعاصي والآثام، ففي هذه الحالة يجب الانفراد بالمدعو بعيداً عـن هذه الرفقة السيئة حتى يمكن التأثير عليه بإذن الله.

٣ – الحالة النفسية للمدعو: إن من الأسباب العائقة عـن الهدايـة نفـور المنحـرفين عـن الدعاة والمتمسكين بالدين، وهؤلاء إما أن يكون الشيطان قد استحوذ علـيهم، فهـم يعرفـون الحق ولكنهم يبتعدون عنـه إمـا كـبراً أو عنـاداً، أو لأنهـم يـرون أنـه لا يمكـن الالتقـاء مـع المتمسكين بالدين، نظرا لتنافر الطباع والأمزجة، هؤلاء يصعب دعوتهم إلى محاضـرات عامـة فيلزم على الداعي أن يستخدم معهم الدعوة الفردية حتى يبين لهم الحق، ثـم إن هـداهم الله تعالى يمكن أن ينخرطوا ضمن الدروس العامة مع عوام الناس.

٤ – معالجة جوانب النقص في الأفراد: قد يكون عند بعض الأفـراد جوانـب نقـص أو عيوب شخصية؛ ولهذا لا يمكن أن تعالج هذه الأمور ضمن الدعوة الجماعيـة، بـل يجـب أن يستخدم الداعية الدعوة الفردية لمناقشة المدعو، وتبصيره بهذه الأمور.

* * * * *

المبحث الثاني:
أطوار الدعوة الفردية

هناك مراحل ينبغي أن تمر بها الدعوة الفردية إذا أراد الداعي أن تؤتي هذه الدعوة ثمرتها، وهذه المراحل تختلف من مدعو إلى آخر، فمنهم من ينبغي أن تتدرج معه حسب ما قلناه، ومنهم من لا يجب، وهذا الأمر يرجع إلى الداعية نفسه، فهو الذي يختار كيف يتعامل مع الإنسان الذي يدعوه، وهذه الأطوار سنذكرها فيما يلي:

الطور الأول: وهو أن يوجِد الداعية صلة تعارف مع المدعو بحيث يشعره بأنه مهتم به وذلك بأن يتفقده بين الحين والآخر، والسؤال عنه إذا غاب وأن يزوره إذا مرض هذا كله قبل أن يفتح عليه باب الدعوة، حتى إذا صارت القلوب متقاربة، والأرواح متآلفة ومتحابة، ووجد التهيؤ من المدعو لتقبل دعوة الداعية، طرق الكلام إلى ما يريد، ولابد أن يعلم الداعية أنه بقدر نجاحه في هذا الطور مع المدعو يكون التأثير وتكون الاستجابة للدعوة، والتسرع في هذا الطور قد ينفر الناس من دعوته.

الطور الثاني : على الداعية أن يعمل على تقوية الإيمان عند المدعو، وذلك لأن أصل الإيمان في الأصل موجود إلا أنه تتفاوت نسبة الضعف من شخص إلى آخر، فإذا أراد الداعية أن يعالج قضية الإيمان فعليه أن يدخل في الحديث عن الإيمان مباشرة، بل عليه أن يستغل الأحداث بكل شيء يقوله بمختلف أنواعها، وعليه أيضاً أن يربط كل شيء يقوله بالأدلة الواردة في القرآن والسنة، فمثلا رزق شخص من الأقرباء والجيران بمولود جديد، فيبدأ الداعية بالكلام حول خلق الله لأبينا آدم، ثم كيف جعل الله الذرية من ماء مهين، وكيف جعل رحم الأم مكان لنشأة الجنين، وكيف أوصل الله الغذاء له طيلة تسعة أشهر، وما إلى ذلك. ولو كان مثلاً في مأتم فعليه أن يتكلم عن الموت وشدته والجنة والنار، ويستدل بالأدلة من القرآن والسنة، وإن كان في فرح فيتكلم عن الأمور التي ذكرها الشرع في نواحي الزواج؛ وألا يكون في الفرح مثلاً ويتكلم عن الموت، وعليه أن يربط كل مرحلة من المراحل التي يتكلم فيها بالقرآن، حتى إذا انتهى كلامه، وعلم أن الإيمان قد بدأ في الزيادة عند الناس، وأنهم مستبشرون بهذا الكلام، فعليه أن يبدأ في دعوة الناس بالطور الثالث.

الطور الثالث: يبدأ الداعية في إعطاء التوجيهات للمدعو التي من شأنها أن تصلح من عبادة المدعو وسلوكه ومظهره، فربما كـان في عبادتـه الكـثير مـن الأخطـاء أو أنـه لا يصـلي الصلوات في جماعة والمسجد قريب منه، وكذلك يعرفـه العبـادات المفروضـة، فيعلمـه كيفيـة الوضوء وكيفية الصلاة، ويأمره بالابتعاد عن السبل التي توصله إلى سخط الله عز وجل.

وأما إذا كان محافظاً على الجماعة ولكـن عنـده بعـض التقصـير فليعمـل الداعيـة علـى تبصير المدعو بالمعتقد السليم من التفصيل، الـذي هـو معتقـد السـلف الصـالح رضـوان الله عليهم، ويحسن بالداعية أن يبدأ بإهـداء وإعـارة بعـض الأشـرطة والكتـب النافعـة في مجـال العقيـدة، والترغيـب، والترهيـب، وكـذلك عليـه أن يُعَّـرِّف المـدعو علـى بعـض الشـباب الصالحين، ويأمر الشباب الملتزم بالإحاطة بـه حتـى لا يتركـوه لقرنـاء السـوء، وأن يجتـذبوه منهم، وبهذا نضمن بإذن الله تعالى استمرارية استقامة الدعوة.

الطور الرابع: يبدأ الداعيـة بتوضـيح شموليـة الإسـلام وأنـه لـيس مقصـوراً فقـط في الصلاة والزكاة، بل إن الإسلام يجب أن يحكم في كل صغيرة وكبيرة، وبهذا يكون المـدعو في هذا الطور قد حوَّل جميع حركاته وسكناته وفق شرع الله عز وجل.

الطور الخامس: وفيه يوضح للمدعو أن الإسلام ليس معناه أن نكون مؤديين للعبـادة ومتخلقين بالأخلاق الحميدة وإلى هنـا نتهـي، بـل ينبغـي أن يوضـح لـــه أن الإسـلام ديـن جماعي، دين نظام حياة وحكم وتشـريع، ديـن عقيـدة وأخـلاق وجهـاد، وأمـة واحـدة، وأن المسلم لا يمكن أن يأخذ الإسلام من جميع جوانبه إلا إذا فهم هذا الفهم السليم، فـإذا فهمنـا هذا الفهم، فإن هذا يملي علينا مسئوليات وواجبات يجب أن نقوم بتأديتهـا امتثـالاً لأمـر الله تعالى، حتى يقوم المجتمـع علـى القواعـد الصـحيحة للإسـلام في جميـع النـواحي السياسـية، الاقتصادية، والاجتماعية.

الطور السادس: وفيه يمكن للداعية أن يوضح للمدعو ما يستوجبه الواقع الذي تمر به الدعوة إلى الله، وأنها محتاجة إلى تكاتف الجهود، ولم الشمل، ووحدة الصف، والعلم؛ حتى يتمكن المسلمون من إعادة الخلافة الإسلامية التي كادَ لها أعداء الإسلام من الداخل والخارج حتى أطاحوا بها، فمنذ ذلك الحين والمسلمون يعيشون في ذل وهوان، حتى صار أعداؤهم لا

يبالون بهم، وذلك كله لأنهم رضوا بدنياهم وابتعدوا عن العمل بكتاب الله وسنة النبي محمد ﷺ. فإذا أردنا العزة والتمكين، وتغيير الأحوال إلى الأصلح، فعلينا أن نبدأ بإصلاح أنفسنا وأهلينا ومجتمعاتنا لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

الطور السابع: على الداعية أن يحث ويحمّس المدعو لطلب العلم، لأنه لا يمكن أن يعبد الله كما أمر بغير علم، فيُرَغِّب المدعو بمجالسة العلماء العاملين من أهل السنة والجماعة، أصحاب المنهج السليم، ويخبره إذا وجدت محاضرات خاصة سواء كان ذلك بالمرور عليه، أو بالهاتف، وأن يحثه على الانتظام في الصلاة بالمسجد حتى يعلو، وينبهه إلى أن خير سبل الخلافة هي – سبيل رسول الله ﷺ – سبيل العلم وتربية المجتمع مع تصفيته، ويعلمه أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها، وأنه مهما حاول المحاولون الذين حادوا عن هذا المنهج أن يعيدوا الخلافة الإسلامية، فإنما مثلهم كمن يبني بناية على شفا جرف هارٍ يوشك أن يقع، والله المسئول أن يجمع كلمة المسلمين، وأن يُمَكِّن لهم في الأرض إنه سميع مجيب.

* * * * *

المبحث الثالث

١- الإخلاص لله تعالى

إن أي عبادة من العبادات لابد لقبولها من شرطين أساسيين:

أ - الإخلاص لله تعالى.

ب - المتابعة للرسول ﷺ.

فالداعية يجب عليه أن يبتغي في دعوة الأفراد والجماعات وجه الله تعالى، وأن يبتعد عن كل ما يقربه من الرياء والسمعة، أو أن يكون لـه أتباع أو جماعة أو حزب.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

فإذا أخلص الداعية عمله لله ورزق المدعو الاستقامة، فإن الله تعالى يكتب للداعية مثل أجر المدعو ولا ينقص من أجره شيئاً، ففي الحديث الشريف قال ﷺ : **«من دعا إلى هدى كان لـه من الأجر مثل أجور من تبعه غير أنه لا ينقص من أجورهم شيئا»** [(١)].

٢ - صلة الداعية بالله تعالى:

إن صلة الداعية بالله تعالى من أهم الأسباب لنجاح الداعية في عمله وهذه الصلة تكون بالقرب من الله تعالى في جميع أصناف العبادة وخاصة الدعاء والتضرع بين يدي الله عز وجل، فقد قال ﷺ : **«الدعاء هو العبادة»** [(٢)].

فالداعية إلى الله يخوض معارك كلما انتهت معركة نشبت أخرى، ولا يمكن أن ينتصر ما لم يكن ناصراً لشرع الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ [محمد: ٧].

---

(١) النووي على مسلم ١٦/ ٢٢٧.

(٢) أبو داود ٢/ ٧٦، ٧٧ والترمذي ٥/ ٢١٢، ابن ماجة٢/ ١٢٥٨.

وفي الحديث من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«يقول الله عز وجل: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه»**[1].

فنجاح الداعية هو بالصلة بالله عز وجل خاصة، وبخاصة في الأزمنة التي تتحالف فيها قوى الشر ضد الإسلام والمسلمين، ولذلك كانت وصية الله تعالى للنبي ﷺ في بداية الدعوة أن يكثر من الاتصال به، والتقرب إليه، فقال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١ – ٢].

وهكذا أوصى النبي ﷺ ابن عباس رضى الله عنه فقال له: **«احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك»**[2]. وهذه الوصية ليست خاصة بابن عباس، وإنما هي عامة للأمة كلها إلى قيام الساعة، ينبغي على الداعية أن يحافظ على السنن ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأن يحييها ولا يستهين بأي سنة منها، وأنه من جملة البواقر التي أصيب بها المسلمون وجود فئة منهم يقسمون الدين إلى قشور ولباب، ويعنون بالقشور السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ، وليت الأمر يتوقف عند ذلك، ولنعلم أنه من ترك سنة بُدِّلَت مكانها بدعة، فلذلك علينا بالتمسك بالسنن.

٣ – العلم :

إن العلم ضرورة شرعية خاصة للدعاة إلى الله، فالعلم بالنسبة لهم سلاح يدافعون به عن الله عز وجل، ويدحضون به الشبهات التي تلقى من أعدائه، ويجب على من تعلم أن يعمل بعلمه وأن يدعو إليه ولهذا قيل:

هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

---

(١) الفتح ١١/ ٣٤٠.

(٢) تحفة الأحوذي ٧/ ٢١٩.

ولهذا يكون علم الداعية شيئاً رئيسياً ليتأثر المدعو، فإذا كانت قدرة الداعية العلمية محدودة - كما ذكرنا أن الدعوة الفردية لا تحتاج إلى كثير من العلم - فإنه ينبغي على الداعية أن يستخدم من الوسائل المتاحة كأن يهدي المدعو كتاباً، أو شريطاً، أو مجلة، وإن كان هذا ليس مبرراً لتقاعس الداعي عن طلب العلم، بل يجب عليه أن يتزود أكثر من العلم ويخالط العلماء ويخصص وقتاً لذلك.

٤ - التخطيط والتنظيم في الدعوة الفردية:

بعض الدعاة إلى الله ممن يلقون المواعظ والخطب يبذلون جهوداً كبيرة ولكنها في الغالب لا تثمر؛ وذلك لفقدان التخطيط والتنظيم فالواجب على الداعية أن يركز على الأفراد الأكثر قابلية للدعوة، وخاصة الذين من وراء دعوتهم نصرة دين الله، وللداعية أسوة برسول الله ﷺ حيث أنه ﷺ لم تنته فترة الدعوة السرية بمكة، إلا وقد دخلت الدعوة إلى كل القبائل المشهورة في مكة، فأسلم من كل عشيرة بعض أفرادها.

إن الدعوة تحتاج إلى أفراد من الذين لديهم القدرة على القيادة والتخطيط، فيجب على الداعية أن يعمل جاهداً على كسب هؤلاء الأفراد، لكي تستفيد منهم الدعوة، ولهذا كان ﷺ حريصاً على إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان يدعو الله بأن يعز الإسلام بأحد العمرين حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه فيما رواه عن البخاري: "ما زلنا أعزة منذ أن أسلم عمر". إلا أنه لا ينبغي ترك الأفراد المحبين للدعوة والملتفين حولها، والإعراض عنهم بهذه الحجة بل يجب إعطاؤهم نصيبهم من الدعوة ولهذا أنّب الله تعالى الرسول ﷺ لما ترك ابن أم مكتوم وبذل وقته مع عظماء قريش فأنزل تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ ﴾ [عبس: ١ - ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨ ﴾ [الكهف: ٢٨].

٥ - إيجاد البيئة الصالحة للمدعو:

كما ذكرت سابقاً أن البيئة التي يعيش فيها المدعو قد لا تساعده على الاستقامة، لهذا لابد من إيجاد البيئة الصالحة للمدعو، فقلنا أن يبتعد عن جلساء السوء ويُنقَل إلى الجلساء الصالحين، ونحن نعلم قصة الرجل الذي كان من بني إسرائيل - التي وردت في صحيح مسلم - وقتل ٩٩ نفساً وفي النهاية ماذا أمره العالِم؟ قال له الداعية:" لابد وأن تُغَيِّر البيئة التي كنت تعيش فيها وتبتعد عن أهل المعاصي، وتذهب إلى بيئة طيبة وتجاور الصالحين فيها". فعلى الداعية أن يأخذ درساً من هذا الحديث وأن يعمل جاهداً على نقل المدعو من البيئة السيئة للبيئة الصالحة التي تعينه على الطاعة، وعلى الذين يحيطون بهذا الفرد أن يحسنوا التعامل معه، وأن يهدوه الشريط النافع والكتاب الجيد، وكذلك عليهم أن يأخذوه إلى المساجد، وإلى حضور حلقات العلم، ومجالسة أهل العلم حتى يستفيد بوقته.

٦ - الموعظة:

ينبغي على الداعية الذي يزور المدعو ألا تنتهي زيارته بدون موعظة، ولابد أن تكون هذه الموعظة مؤثرة، مختصرة، مركزة، ففي صحيح البخاري من حديث ابن مسعود:" أن النبي ﷺ كان يتخولهم في الموعظة كراهة السآمة عليهم"، وعلى الداعية ألا يكثر من الزيارة للمدعو وإلا أصيبوا بالملل والتعب، وعليه أن يفهم أن خير الأمور أوسطها.

٧ - الالتزام بآداب الزيارة:

يجب على الداعية الالتزام بآداب الزيارة، فيتخير الوقت المناسب لزيارته، ولابد أن يتصل به تليفونياً أو بأي طريق، ويُعلمه الموعد الذي سيأتي إليه فيه، لا كما يفعل البعض بأن يطرقوا الباب دون أي موعد سابق، وبدون استئذان، غير مراعين أحوال رجل البيت؛ فربما كان مريضاً لا يستطيع أن يضيفهم ويحتاج لرعاية، أو مع أهله، فقد قال تعالى مبيناً هذه الآداب: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ ﴾ [النور: ٢٨].

ومن الآداب أيضاً ألا يتدخل في الأمور الخاصة مثلاً، أو سماع أشرطة المدعو، أو تقليب أوراقه.

٨ - المتابعة:

الدعوة الفردية تتطلب من الداعية جهداً ليس بالقليل خاصة في المدن الكبيرة فينبغي للداعية أن يهيئ نفسه حتى تعطي الدعوة الثمرة المرجوة، فالمتابعة أمر مهم في الدعوة الفردية؛ وذلك نظراً لأن كثيراً من المدعوين يتأثرون بالدعوة فيبدأون بالاستقامة، فإن لم يجدوا من الداعية التعهد فتروا؛ لأن البيئة التي يعيشون فيها لا تساعدهم على الاستقامة، بل تتحول إلى حرب شعواء ضد هذا العائد إلى الله، فربما أحاط به قرناء السوء حتى يعيدوه إلى ما كان عليه، لهذا كان لزاماً على الداعية أن يتعاهد ثمرة دعوته وأن يجعل لهذا الفرد أصدقاء صالحين يحيطون به حتى لا تتخطفه الأيدي المجرمة.

وكذلك من الوسائل النافعة: أن يصطحب هذا المدعو إلى حلقات العلم، والمواعظ والرحلات وغيرها، والله الموفق.

* * * * *

المبحث الرابع
الخطوات العشر لتغيير المراهق

الخطوة الأولى : اجلس معه :

• أنواع المجالسة :

١- الفوقية : بأن تكون أنت جالس وهو واقف.

• الرسالة : افهم. أنا أعلم منك وأنا أعلى منك شرفاً ومعرفة.

• النتيجة : المكابرة والعناد.

٢- التحتية : أنت واقف وهو جالس.

• الرسالة : أنا أقوى منك وأستطيع أن ألطمك وأهجم عليك في أي لحظة.

• النتيجة : الخوف وضعف الشخصية.

٣- المعتدلة : نفس مستوى المراهق وبمواجهته والدنو منه.

• الرسالة : أنا أحبك.

• النتيجة : الاطمئنان والصراحة.

• أين تجالسه :

١- في مكان مألوف.

٢- بعيد عن أعين الناس.

٣- فيه خصوصية وسرية.

٤- يفضل خارج المنزل أو مكان غير مكان حدوث المشكلة.

٥- يفضل التغيير والانتقال إذا كان الوقت طويلاً.

• متى تجالسه :

١- في وقت لا يتبعه انشغال.

٢- في وقت كاف للمراهق أن يقول ما لديه.

٣- في غير أوقات العادة اليومية الخاصة (النوم، الطعام... غيرها).

٤- وقت الصباح أفضل من المساء.

٥- في أوقات أو فترات متقطعة.

٢- الخطوة الثانية : لا تزجره (الرفق واللين) :

• لاحظ في هذا :

١- مراعاة نبرة الصوت في الحديث معه أن لا تكون حادة في كل وقت.

٢- مراعاة البطء في الحديث لتتأكد من أن المراهق يسمع كل كلمة مرادة.

٣- فصاحة ووضوح الكلمة والعبارة باستعمال العبارات التي يفهمها الشاب.

٣- الخطوة الثالثة : أشعره بالأمان :

• يجب أن يشعر المراهق بالأمان والثقة وأن المقصود هو البعد عن العادات السيئة والأخطاء المرفوضة ويمكن لتحقيق ذلك مراعاته :

١- في شكل الجلسة بالدنو منه دون التلويح باليد.

٢- بالصوت الهادئ بدون تأفف أو تذمر.

٣- بإعطائه فرصة كافية ليعبر عن نفسه.

٤- الخطوة الرابعة : تحاور معه :

• ينتبه في هذه الخطوة إلى أهمية :

١- الحديث معه بعرض المشكلة وبيان خطرها، ومدى حرصنا على حمايته، وإمكانية سماعنا منه، واحتمالية سماحنا له عنها.

٢- عدم تصيد أخطائه أثناء الحديث معه، وعدم مقاطعته كلما وجدنا تناقضاً أو خطأ، لأننا قد نعدل به عن الصراحة بهذا التصرف.

٣- استعمال أسلوب الإقرار الذاتي، بحيث يقوم المراهق بالإقرار من نفسه على نفسه بالخطأ الذي وقع فيه، وهذا يكون بالسؤال، غير المباشر المؤدي إلى الإجابة المباشرة.

٤- الحرص على الأسئلة الكثيرة التي تكون إجاباتها بـ (لا) إذا كان المقصود منع الشاب، والأسئلة الكثيرة التي تكون إجاباتها بـ (نعم) إذا كان المقصود دفع الشاب، بحيث لا يقل تكرارها عن عشر مرات في نفس الموقف.

٥- الخطوة الخامسة : أحسن الاستماع إليه :

• وللاستماع بصورة أجود يجب مراعاة :

١- عدم التحديق في عين المراهق، إنما النظر إليه بهدوء.

٢- الاستماع إلى الكلمات بالاهتمام المناسب.

٣- الانتباه إلى الإشارات الجسمية (مكان العين، الشفاه المشدودة، اليد المتوترة، تعبيرات الوجه وتغيراته، طريقة الجلسة... غيرها).

٤- التقليل من المقاطعة، أو الشرود عنه (بالنظر إلى مكان آخر، صوت فتح الباب، الاستماع للراديو... غيرها).

٥- الانتباه إلى نبرة صوته، مع التفاعل معها.

٦- الخطوة السادسة : أعطه حرية الاختيار:

• مجالات يمكن إعطاء الخيار للمراهق فيها :

١- طرق الحل للمشكلة.

٢- العقوبة وقدرها.

٣- المكافأة وكيفية الحصول عليها.

٥- أسلوب تنفيذ التكاليف المطلوبة.

٧- الخطوة السابعة : حفزه عند الإنجاز :

• الحوافز تشمل الأمور المعنوية كالشكر والثناء وإبداء الرضا عنه، والأمور المادية كالهدية وتقديم مصلحة لـه والخروج به لمكان معين، ويقصد من الحوافز تغيير سلوك غير سوي أو استقرار وتعزيز سلوك حسن.

٨- الخطوة الثامنة : عاقبه عند التقصير :

• من أشكال العقاب :

١- حرمانه من بعض محبوباته، أو التقليل منها.

٢- اللوم والعقاب اللفظي كالكلام معه بشدة.

٣- خسارته من بعض حقوقه مثل منعه من المصروف أو الخروج مع أصحابه.

٤- فقده للثواب الموعود به عند الإنجاز.

٥- ضربه إذا دعت الحاجة لذلك، لكن يكون آخر العلاج.

٩- الخطوة التاسعة : اجعل له مجالاً للعودة :

• وذلك بتقبله بعد التغيير، ونسيان ما كان منه، وكما قيل : " الوالد المنصف هو الذي تتغير نظرته عن ابنه كلما تغير ابنه "، وبفتح المجال لذلك عند الحديث معه عن ما يراد تغييره.

١٠- الخطوة العاشرة : الدعاء :

• وهذه الخطوة على جانبين :

١- الأول : الدعاء لـه بظهر الغيب، وأمامه بأن يغيره الله إلى ما هو أفضل.

٢- الثاني : حثه على الدعاء دائماً بأن يدعو الله أن يغيره إلى ما هو أفضل [١].

* * * * *

---

(١) بتصرف من كتاب مراهق بلا أزمة، للدكتور أكرم رضا.

المبحث الخامس
همسات في أذن الداعية

الهمسة الأولى :

أخلص بدعوتك وجه الله العلي القدير، ولا تنتظر المدح، ولا ترقب الجزاء إلاّ منه تعالى، علّق كل ما تقوله وتفعله لصالح السبيل الذي تدعو له، اتباعاً لسنة محمد ﷺ، واعلم أن ما تجده من ثمرات ناتجة عن دعوتك فإنما هي فضل من الله يؤتيه من يشاء وأن ما يواجهك في طريق الدعوة من مكاره وعوائق إنما هي ابتلاء لثباتك واختبار لموقفك فاصبر ولا تهن، واثبت ولا ترضخ للشيطان وأعوانه.

الهمسة الثانية : -

سيأتي يوم وتجد أن من يتابعك من الناس كثير، وأن من يحضر لسماع ما تقول جموع قد يصعب عدها، وتزيد نشاطاتك، وتتضاعف اتصالاتك عندها فتش عن قلبك، ومحص إيمانك واسأل نفسك هل صال الرياء بين أضلعها وجال، وكيف أنت وحب الظهور ؟ وهل اختلفت أهدافك من الدعوة أم لا؟ فإن للشهرة ضرائب، وللنفس أعداء وأضداد، والإيمان يزيد وينقص.

الهمسة الثالثة : -

كن واضحاً جلياً في دعوتك، وابتعد عن الألغاز والمبهمات، صّور موضوع دعوتك للناس كأنهم يرون مشهداً تعبيرياً، أنر للناس طرقهم المظلمات، واعلم أنك من مصابيح الدجى، ومعلمي الهدى، لا تتبع سبل التشويق الكاذب، والتصوير الخادع، والنقل الزائف، احذر من تلبيس الناس وجعلهم في حيرة، إذا أوردت لهم الأقوال فانقل لهم الراجح بأدلته، وإذا عرضت لهم النصائح فأخبرهم بالأهداف من اتباعها، وإذا شرحت لهم المسائل فاختم الشرح بالفوائد والأحكام.

الهمسة الرابعة : -

عزّز الهمة العالية بين جوانح قلبك، واسق ثمارها يوماً بعد يوم، واجعل نظرتك سامية، وخطوتك واثقة، ولا تتأثر بأهل السفه والطيش، ولا تراقب أهل الزيغ والانحراف إلا إذا

كنت تنوي إيضاح الحق لهم أو نصحهم وإرشادهم، واعلم أن اليأس والقنوط واستعمال النتائج والغضب علامات للهمة الضعيفة، وأمارات للفشل السريع.

الهمسة الخامسة :-

دع لسانك دائماً لاهجاً بالدعاء، متمثلاً بذكر الله تعالى، فالدعاء من أهم وسائل النصر والثبات، واستعن بالله تعالى ولا تعجز، واطلب الثبات على الحق، وأن يجعلك من الهادين المهديين، الناصحين المرشدين، الداعين إلى الخير.

الهمسة السادسة :-

لا يهمك ما تجد في طريقك للدعوة من منغصات وأكدار، فاصبر فإنما ذلك طريقك إلى الجنة بإذن الله، وهو نفس الطريق الذي تعب فيه الأنبياء، قال ابن القيم رحمه الله: والطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمناشير زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعانى من أنواع الأذى كلها محمد ﷺ [1].

* * * * *

(١) صيد الفوائد.

المبحث السادس
كيف يصل الداعية بأفكاره إلى الآخرين؟

الداعية الى الله تعالى لابد لـه أن يصل بفكرته إلى الناس حتى ينفع وينتفع؛ وحتى تثمر أفكاره عملاً صالحاً عنده وعند المدعوين؛ ومن وجهة نظري: أرى أنه لابد من توافر عدد من الصفات في صاحب الفكرة الذي يريد أن يوصلها إلى الناس وفي الفكرة ذاتها وفي المتلقي أو المراد إيصال الفكرة إليه.

أولا : من ناحية صاحب الفكرة :

١ - أن يكون مريداً بفكرته وجه الله تعالى وحده دون ما سواه من البشر: فالإخلاص دافع يجعل الفكرة تندفع ذاتياً حتى تدخل في قلب المستهدف من إيصال الفكرة إليه. يقول الحبيب ﷺ : **«إنما الأعمال بالنيات؛ وإنما لكل امرئ ما نوى»**. وفي حديث جمع القرآن الذي يحوي عبراً كثيرة وفوائد جمة نرى ونلمس شاهداً للإخلاص الذي يكون ثمرته تقبل الغير لفكرتي التي أطرحها عليه؛ فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال: عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله لـه صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. إلى آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم

عند حفصة بنت عمر). ففي هذا الحديث نلمس إخلاص عمر الفاروق رضي الله عنه حيث أنه لم يطلب هذا الأمر من أبي بكر رضي الله عنه إلا لوجه الله تعالى فقال أبو بكر: (فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر) فالله تعالى هو الذي تكفل بإيصال فكرة الفاروق المخلص إلى أبي بكر الصديق رضي الله عن الجميع.

٢ - أن يريد بفكرته نفعاً عاماً للمسلمين:

فصاحب هذا النوع من الأفكار يجد أيضاً عوناً من الله تبارك وتعالى على إيصال أفكاره للناس؛ وكما ذكرت سابقاً أن حادثة جمع القرآن فيها من العبر الكثير؛ فنحن نلمس فيها أيضاً إرادة الفاروق رضي الله عنه نفع المسلمين بجمع القرآن ولم يرد مصلحة شخصية ولا منفعة دنيوية بعيدة عن نفع إخوانه من الموحدين فتكفل المولى جل وعلا بهذا الأمر وشرح صدر الصديق لما اقترح عمر عليه.

٣ - أن يتميز بسمات شخصية تؤهله لترويج أفكاره بين الناس:

فمن الممكن أن يحوز المسلم عقلاً مفكراً يحوي أفكاراً عديدة متجددة فياضة لا تتوقف عند حد؛ ولكنه للأسف لا يستطيع أن يصل بفكرته إلى الناس نظراً لشدة حيائه؛ أو انطوائيته وعدم اجتماعيته؛ أو عدم إلمامه ببعض المهارات الحوارية؛ أو غير ذلك من الأسباب.

فالشخص الذي يريد أن يصل بفكرته إلى الناس؛ أو يعرضها عليهم عرضاً يجعلهم يقبلون هذه الفكرة أو غيرها؛ أرى أنه لابد أن يحوز بعض الصفات أو السمات الشخصية التي تؤهله لذلك؛ ومنها:

(أ) - جزالة الفكرة وعمقها وصحة الأساس الذي بناه عقله عليها.

(ب) - الجرأة في عرض الأفكار وتبنيها والدفاع عنها بمنطق سليم قوي(ما دامت من وجهة نظر صحيحة).

(ج) - اكتساب مهارة الأساليب الحوارية التي يستطيع بها أن يجادل عن فكرته وأن يسوق عليها الأدلة حتى يقنع بها الناس؛ ومما يساعد على ذلك: كثرة الاطلاع؛

والفهم الجيد للأدلة وليس مجرد سرد الأدلة سرداً بلا وعي للشواهد التي فيها كدليل على فكرته؛ بل عليه أن يعي الشاهد من الدليل جيداً حتى يكون الدليل مقنعاً للغير.

(د) – اللين والرأفة في الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن:

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

(هـ) – الاستعداد التام للنزول على الحق والصدع به والرجوع إليه إذا كانت الفكرة غير سديدة:

وهذا ما يسمى: (التجرد)؛ ذلك الخلق الجميل العجيب الذي إذا تحلى به المسلم كان له أثره الطيب في أي حوار أو مناقشة؛ فبه يصل المتناقشون إلى الحق على لسان أي منهم لأن المراد فقط هو الحق؛ وليس المراد إفهام الغير أني مفكر أو صاحب عقل سديد. يقول الشيخ محمد الخضر حسين – رحمه الله تعالى – (شيخ الأزهر سابقا) :(إذا أبديت رأياً ثم أراك الدليل القاطع أو الراجح أن الحق في غير ما أبديت فمقتضى الأمانة أن تصدع بما استبان لك أنه الحق. ولا يمنعك من الجهل به أن تنسب إلى سوء النظر فيما رأيته سالفاً).

(و) – عدم التعصب للفكرة أو تعصب الفكرة لأحد:

فلا يريد بفكرته خدمة حزبه أو جماعته أو عصبته التي ينتمي إليها؛ بل يريد بفكرته إفادة جماعة المسلمين العامة وعموم المسلمين فيها؛ فلا تكون الفكرة بذلك نابعة من عصبية أو حزبية؛ بل نابعة من حبه وانتمائه لجماعة المسلمين التي يشهد أفرادها أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثانيا في الأفكار ذاتها:

١ – عمق الفكرة : فالفكرة السطحية لن تجد لها رواجاً إلا في وسط سطحي ضحل التفكير؛ لأنها فكرة ضحلة هشة ضعيفة لا تنتشر إلا في الوسط السطحي الذي يقبلها. ومثال ذلك : فكرة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل؛ فهي فكرة هشة ضعيفة انتشرت في وسط مثلها؛ وسط منحط قيل عنه أنه الوسط الراقي الذي كان مسيطراً على الحياة العامة في أوائل ومنتصف القرن الماضي. وضعف وهشاشة هذه الفكرة تنبع من كونها مضادة لشرع الله

تعالى القويم المتين الذي أعطى للمرأة حقها الشرعي الذي يليق بها من الحفاظ عليها وعلى عفتها وطهارتها بارتداء الحجاب الشرعي الساتر لكل بدنها ومواراته عن أعين الذئاب التي تريد نهش هذا الجسد الطاهر العفيف؛ والتي تريد هذه الذئاب أن يظهر هذا الجسد ويتعرى حتى تباع المرأة في سوق النخاسة بعرض لحمها العاري أمام الناس وحتى تصير مطمعاً لمرضى القلوب والنفوس؛ لذا قال رب العزة جل وعلا: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣]؛ وقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

٢ - مناسبة الفكرة لحال المتلقي:

فلا يصح أن يقترح شخص ما فكرة إقامة ورشة عمل فكرية في وسط مليء بالحرفيين وأصحاب الأعمال اليدوية البعيدين عن التفكر والتدبر؛ المشغولين والمنهمكين في أعمالهم لتحصيل قوت يومهم. ومثل آخر صارخ على هذا الأمر؛ ألا وهو أفكار الألعاب الكمبيوترية المنتشرة الآن على الحاسوب أو على شبكة الإنترنت؛ كلها عنف ودموية وقتل وسرقات على الرغم من أن المستهدف منها هم الأطفال الأبرياء الذين هم حقهم الرعاية التربوية الهادفة والألعاب الترفيهية التي تنمي فيهم المواهب الطيبة أو بعض الثقافة العامة التي تناسب سنهم؛ وليس تربيتهم على العنف والدموية والقتل وغيره مما هو موجود في هذه الألعاب الهدامة القاتلة لبراءة الأطفال.

٣ - مناسبة الفكرة للوقت المطروحة فيه:

فاختيار وقت طرح الفكرة عامل أساسي مهم في إيصالها إلى الناس؛ فمثلاً من غير المناسب أن يقترح شخص إقامة حفل في بيته وجاره تصيبه مصيبة بفقد عزيز لديه أو قريب حبيب؛ لأن واجب الوقت والجيرة يقتضي مشاركة الجار في حزنه ومراعاة حالته النفسية ومشاركته حتى وإن كانت مشاركة ظاهرية في ألمه الذي يحس به بفقد من فقده.

٤ - سمو الفكرة :

لكي تسمو بصاحبها ومتلقيها إلى آفاق عالية سامقة بعيدة عن الهوى وبعيدة عن الأفكار الدنيئة التي لا تربي في قلب صاحبها ومعتنقها حب الدونية؛ بل على العكس تعود هذه الفكرة السامية صاحبها ومتلقيها على السمو في آفاق الفكر والعمل والممارسات الإنسانية.

ثالثا: في المتلقي :

١ - مراعاة أحواله: كما يقول أهل البلاغة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) أو:

(لكل مقام مقال). فالأفكار المطروحة لابد أن تراعي الأحوال النفسية والعقلية للمتلقى المراد إيصال الفكرة إليه. وبمعنى آخر من الممكن القول أنه من الضروري دراسة الاستعداد الذهني عند متلقي الفكرة قبل عرضها عليه: هل هو مستعد فعلاً أن يتلقى فكرة معينة ؟ ويفكر بها بعقله؟ثم يستطيع أن يحدد بعد ذلك إذا كان يقبلها أم لا؟أم هو مغلق الذهن؛ متجمد العقل؛ لديه أفكار معينة لا استعداد لتغييرها أو لاستقبال أفكار جديدة واردة عليه؛ فهو يرفض أى فكرة؟ قال النبي ﷺ يوماً لعائشة رضي الله تعالى عنها: **«يا عائشة: لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين؛ باب يدخل الناس وباب يخرجون»** [١]؛ فالحبيب ﷺ في هذا الموقف راعى حال أهل قريش من حداثة عهدهم بالإسلام وأن العصبية ما تزال تسيطر عليهم فتنازل عن هذه الفكرة السامية وهي فكرة تجديد بناء الكعبة وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام واكتفى بالتعبير عنها كأمنية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وصح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما ورد قوله: **«ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»** [٢].

٢ - احترام عقلية المتلقي :

فلا ينبغي أن يشغل فكر الناس بأفكار لا جدوى منها ولا منفعة من ورائها؛ كما لا ينبغي شغل أذهانهم بقضايا وهمية غير واقعية. كما لا ينبغي اعتبار الناس من طبقة أخرى

---

(١) صحيح البخاري.
(٢) رواه البخاري.

متدينة غير طبقة طارحي الأفكار والنظر إليهم من هذا المنطلق وكأنهم حقل تجارب للأفكار التي تطرح حتى يقاس معيار نجاح الفكرة من عدمه؛ أو النظر إليهم بنظرة استعلاء فيجعل المفكر نفسه في طبقة أو درجة أعلى من عموم الناس؛ فيطرح أفكاره من هذا المنطلق فإذا هي أفكار سخيفة متفلسفة لا تراعي عقول المخاطبين؛ فلن تصل إليهم أبداً ولن تلقى رواجاً بينهم لأنها أفكار مستعلية سيقت لمجرد التفلسف على خلق الله تعالى؛ ولن تجد رواجا لها إلا عند أصحاب الهزيمة النفسية أسيري نعرات الاستعلاء.

٣ - التفكر والتعايش في هموم المخاطبين :

فيبنغي حينما تطرح الأفكار ألا تكون بمعزل عن هموم الناس؛ وألا يعيش صاحبها في برج عاجٍ بعيدا عمن يخاطبهم بأفكاره؛ وألا يكون في واد والناس في واد آخر.

وأن من أفضل الأمور التي تجذب المخاطب إلى فكرة معينة أن تكون هذه الفكرة معالجة لـه من همومه التي يعيشها في واقعه؛ أو يكون في طيات هذه الفكرة مخرج من مشكلة ما قد وقع فيها هذا المخاطب؛ أو ترسم لـه تلك الفكرة طريقاً فيه نجاة من كربة قد ابتلي بها؛ أو تكون هذه الفكرة المطروحة كنبراس قد أضاء لـه في ظلمة كان يسير فيها فحولت الفكرة الظلمة إلى نور أضاء لـه طريق سيره.

ما أسرع الاستجابة لفكرة تكون سبباً للنجاة من هلكة.....

ما أسرع الاستجابة لفكرة تعيش هماً من همومي ومشكلة من مشكلات حياتي.....

ما أسرع الاستجابة لفكرة تساعد في تفريج كربة من كرباتي[١].....

ما أجمل وأروع التعاون الفكري والجسدي على البر والتقوى قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٢].

* * * * *

(١) صيد الفوائد/ د/ جعفر الطيار/ بتصرف.

المبحث السابع
كيف تجعل الناس ينصتون إليك

ألا تشعر بالضيق والانزعاج عندما تسترسل في حديث ما لتجد أن من تحدثه أبعد ما يكون عما تقول، لا يسمع ولا يتفاعل؟ لماذا لا ينصت الناس إلينا أحياناً؟ ماذا نفعل لدفعهم إلى الإنصات المثالي؟ إليك عزيزي القارئ ثمان طرق أساسية تجعل الآخرين ينصتون إليك:

١- وضوح هدف الحديث :

قد يؤدي عدم وضوح هدف المتحدث من كلامه إلى انصراف المستمعين عن حديثه، بطريقة أو بأخرى. وستكون مهمة المنصت مستحيلة، إذا كان المتحدث نفسه لا يعرف عن ماذا يتحدث. عدم وضوح الهدف ربما يولد فهماً مغلوطاً لدى المستمع، ومثال ذلك عندما يناديك شخص ما وأنت على وشك القيام من المجلس ويقول: أريد معرفة رأيك في موضوع معين" دون أن يوضح ماذا يريد، فإن ذلك يؤدي إلى مللك وشرودك عن حديثه.

٢- حركات العين :

توزيع النظر أثناء الحديث يشحذ انتباه المستمعين، لذا ينصح بإمعان النظر فيمن تشعر بأنه قد شرد ذهنه قليلاً، فمن شأن ذلك أن يعيده إلى تركيزه عليك. ولقد أثبتت الدراسات العلمية أن حركات العينين الانتقالية للمتحدث هي أكثر وسيلة لإظهار التفاعل مع المستمعين. يقول السيد تشولار في مقال له بعنوان "في رمشة عين" أن "زيادة الرمش بالعين قد يعني أن المستمع يمر في مرحلة ضغط نفسي أو جسماني مثل القلق أو الغضب أو الملل". أما انخفاض معدل الرمش فإنه "يشير أحياناً إلى أن المنصت في حاجة إلى مزيد من المعلومات أو أنه ينصت إلى شيء يحتاج إلى تركيز عيني أكبر". وبما أن التجربة خير برهان، لاحظ كيف تتوقف رموش عيني من نمتدحه عن الحركة بطريقة توحي إلينا برغبته بالمزيد من الإطراء والمدح، جرب ولاحظ الفرق.

٣- الحديث المقبول والسهل الفهم:

التحدث بطريقة مقبولة وسهلة الفهم للآخرين تؤدي إلى إنصاتهم بشكل أفضل. لقد وعد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من يتحدثون بالأحاديث الطيبة والرقيقة بمنزلة عظيمة، فقال: **«إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها»**، فقال أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: **«لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام»**. سنن الترمذي. وغالباً ما تكون الشخصيات التي تتمتع بهذه الصفة محببة إلى الناس.

٤- استخدام المستمع كمثال:

تخيل لو أنك سمعت اسمك أثناء حديث جانبي لاثنين في طرف المجلس... ماذا ستفعل؟ لا شك أن فضولك سيدفعك إلى الالتفات التلقائي لمعرفة ما يقال عنك. تلك الاستجابة الفطرية عند سماع الاسم يجب أن تستغل لشد انتباه من يراد جرهم إلى حديث ما، فاستخدام المستمع كمثال أثناء الحديث هو بمثابة ضوء أحمر لامع لشد انتباهه. ولزيادة الانتباه يفضل أن يرافق المناداة بالاسم الإشارة باليد أو الاكتفاء بالنظر المباشر إلى العين بعد إدارة كامل الجسم إلى الشخص المعني، فذلك يزيد التفاعل. تجذب هذه الطريقة شاردي الذهن إلى الحديث، وهي طريقة مهذبة لإنهاء الأحاديث الجانبية وتحويل إنصاتهم إلى ما يقوله المتحدث.

٥- البدء بذكر الحقائق أو القصص:

إن ذكر الحقائق والقصص في بداية الحديث يجذب الانتباه، فعندما تتعالى الأصوات في نقاش حاد عن "سبب الأمية في الدول العربية" مثلاً، تكون أفضل طريقة لجذب الانتباه هي أن تقول: هل تعلمون أن الأمية انخفضت إلى نسبة كذا في عام كذا حسب آخر تقرير رسمي نشر مؤخراً"؟ وستجد أن الرؤوس اشرأبت إليك لمعرفة المزيد. وهنا يأتي دورك في مدهم بجمل سريعة وقصيرة من الحقائق لضمان المحافظة على انتباه المستمعين ومن ثم دفعهم إلى الإنصات بجدية أكبر.

٦- إعادة الجمل والأفكار:

يؤدي إعادة بعض جمل أو أفكار المتحدثين إلى تفاعل أكثر للمستمعين مع ما تقول. مثال ذلك أن تقول: "إنني أتفق مع نقطة محمد... " أو "أعجبتني فكرة خالد... ". فالجملة الأخيرة لا تشد خالد فقط بل الآخرين الذين سيكونون أكثر فضولاً لمعرفة ما الذي أعجبك في فكرة خالد. ما تعيده من جمل لا يعني تسليمك أو اتفاقك التام معها، ولكنه أحد الأساليب المعينة على تحقيق الإنصات الإيجابي.

٧- تشجيعك الآخرين على المشاركة:

إن تشجيع المستمعين على المشاركة في الحديث يجعلهم أكثر تفاعلاً مع ما تقول. يمكن التشجيع بتوجيه أسئلة للمستمعين للتأكد من متابعتهم لحديثك، كأن تقول: "كيف ترى ذلك يا أحمد؟" أو "هل تتفق معي يا علي أم لا"؟ وحتى لو كانوا غافلين عما تقول، فإن سؤالك سيعيد إليهم أهميتهم ويوجههم إلى الإنصات إليك. كما يمكن أن تشجع المستمعين على المشاركة عبر طلب أفكار إضافية أو اقتراحات منهم. احرص على أن تعطي المستمع الفرصة الكافية للتعليق فذلك يجعله يقظاً ومتابعاً.

٨- استخدام الأيدي:

كان استخدام الأيدي، وما زال، سمة أساسية للمتحدثين المؤثرين - وعلى رأسهم الرسول ﷺ. إذ كان كثيراً ما يستخدم يديه لشد انتباه المستمعين، على سبيل المثال قوله: يقول الله تبارك وتعالى: **«من تواضع لي هكذا»** وظل النبي عليه الصلاة والسلام يشير بباطن كفه إلى الأرض ويهوي به إلى الأرض (يقولون: فظل يخفض يده حتى أدناها إلى الأرض)، **«رفعته هكذا»**، وقلب ظاهر كفه إلى السماء حتى جعله في السماء. رواه أحمد. إن استخدام الأيدي بمهارة هو أحد أسباب شد انتباه المستمعين[١].

الاستمرار في تقويم المدعو:

إن التقويم من الداعية للمدعوين أمر ضروري إذ من خلاله يمكن أن يتعامل مع المدعوين بناء على هذا التقويم، فبالتقويم يكون المدعو عضواً صالحاً في المجتمع الإسلامي،

---

(١) صيد الفوائد.

ويكون على الأقوال والأفعال التي يلتمسها الداعية، وتارة أخرى يكون بما غاب عن الداعية وذلك بأن ينقل للداعية من أخبار المدعو ما يلزم تقويم المدعو منه، وذلك طبعاً بعد التثبت من صحة ما نُقِل، وهذا الجانب أهم من الأول، إذ أن المدعو قد يتصنع الاستقامة أمام الداعية، فإذا نُقِل للداعية أن المدعو يصادق أفرادًا لا يوثق بهم، وجَبَ عليه التنبيه إلى ذلك بالرفق واللين كما ذكرنا من قبل.

ولهذا ثبت في الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال: **«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»** [(١)].

ويقول الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ::: إن المقارن بالقرين يقتدي

فلابد أن يشمل التقويم جميع الجوانب، أو تقويم جانب دون الآخر، فكما يجب تقويم الأفعال، فيجب تقويم الأقوال كذلك.

نسيان السوابق :

من الناس من إذا أراد أن يقوم فرداً نظر إلى ما سبق منه من زلاّت وأخطاء - وقد يكون تاب منها - فيظل يذكر المدعو بتلك السوابق، هذا بالطبع خطأ؛ إذ أن التوبة تمحو ما قبلها، فلا داعي إذاً من ذكر العثرات والسقطات، فإذا أراد الداعية أن يكون تقويمه مثمراً فعليه بمعالجة حاضر المدعو لا ماضيه، وعليه أن يفتح له أبواب الرحمة والمغفرة، وأن يجعل نفس المدعو متشوفة لما عند الله تعالى من رحمة، ومغفرة، حتى يعلو في قلبه الإيمان.

تنويع وسائل الدعوة والتقويم :

مما ينبغي للداعية أن ينوع أساليبه للدعوة والتقويم حتى لا يسبب رد فعل معاكس عند المدعو وكل بحسبه؛ فمن وسائل النصح: الحكمة، والموعظة الحسنة وإخلاص النية لله، وليكون ذلك على انفراد.

---

(١) رواه أبو داوود كتاب الأدب٤١٩٣.

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

تعمـــدني في النصـــيحة في انفـــراد ::: وجنـــبني النصـــيحة في الجماعـــة
فـــإن النصـــح بـــين النـــاس نـــوع ::: مـــن التـــوبيخ لا أرضـــى اســـتماعه
وإن خـــالفتني وعصـــيت أمـــري ::: فـــلا تجـــزع إذ لم تعـــط طاعـــة

ومنهـا الكتابـة بكلمـات رقيقـة معـبرة عـن المـراد، ومنهـا الشـريط الإسـلامي، ومنهـا الاصطحاب إلى خطبة جمعة أو محاضرة أو إلى الحلقات العلمية، وهكذا...

حاولت في هذا الجانب أن أبرز أهمية الدعوة الفردية في تربية الأجيال، وتكلمـت فيهـا عن الأطوار التي ينبغي أن يمـر بهـا المـدعو، كمـا قلنـا العوامـل الأساسـية لنجـاح الـدعوة، وأحوال المدعوين [1].

* * * * *

---

(١) الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال لعقيل بن محمد بن زيد المقطري.

المبحث الثامن
التعرف على الصفات الشخصية للأفراد

يجب على الداعية أن يتعرف على صفات المدعوين، إذ أن لكل فرد منهم صفات حسنة وسيئة، وهذه الصفات تختلف من فرد إلى فرد، والداعية الناجح هو الذي يستطيع أن يُحوِّل الصفات السيئة إلى صفات خير تخدم الدعوة إلى الله، فمثلاً هناك من الناس من عنده قوة الإقناع قبل أن يهديه الله كأن يكون من دعاة الأحزاب الهدّامة، فتوظَّف هذه الصفات بعد هدايته، فيصير هذا الفرد من الدعاة البارزين، ولهذا يقول الرسول ﷺ : **«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»** [(١)].

والأمثلة كثيرة على هذا الجانب، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يتصف قبل إسلامه بالشجاعة، فلما أسلم استفاد المسلمون من شجاعته حتى أنهم خرجوا وأعلنوا تحديهم للمشركين.

١ - البدء بالأقربين :

ولنا في الرسول ﷺ الأسوة الحسنه حيث أمره الله تبارك وتعالى أن ينذر عشيرته الأقربين فقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقام رسول الله ﷺ فقال: **«يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب: لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم»** [(٢)].

وذكر صاحب أسد الغابة أنه لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي رضى الله عنه قال للرسول ﷺ : إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم، وأدعوهم إلى الإسلام، فلما رجع إلى قومه دعا أباه إلى الإسلام فأسلم ثم دعا امرأته للإسلام فأسلمت. والأمثلة كثيرة على ذلك، فالداعية يحتاج أن يكون أهله بجانبه ويناصرونه ويعينوه؛ وذلك لأن الإنسان وحده لا يستطيع أن يحقق ما يحققه مع إخوانه،

---

(١) النووي / مسلم ١٦/ ١٨٥.
(٢) النووي/ مسلم٣/ ٥٤.

فيجب على الداعية أن يبدأ بذوي القرابة الأقرب فالأقرب، حتى توجد له جماعة ونصرة، ثم لا يهمه بعد ذلك إن لم يستجب له أحد ومن العيب أن يترك الداعية أهل بيته وأقاربه دون تبصيرهم بدين الله عز وجل.

٢ - إظهار الاهتمام بكل شخص :

إن من الدعاة إلى الله من إذا زار أخاً له، أو وجده في أي مكان ما بَشَّ في وجهه وعانقه بحرارة، فلا يظهر اهتمامه لمن كان بجانب هذا الأخ؛ مما يُحدِث في نفوسهم عليه أنه غير مهتم بهم، وأنه قد جاء لزيارة هذا الشخص وحسب، والواجب على الداعية أن يظهر نفس الود لجميع الحاضرين، حتى وإن كان فيهم من لا يرضى عن بعض صفاته الخُلُقية مثلاً، فلعل ذلك يكون سبباً في استقامة هذا الشخص، ولهذا كان ﷺ يبش في وجه الذين لا يرتضيهم، كما حصل ذلك في حضرة عائشة رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله استأذن فلان فقلت فيه ما قلت، فلما دخل عليك هششت في وجهه فقال يا عائشة: «**إن من شرار الناس من يتقى لفحشه**» [1].

٣ - التدرج في الدعوة :

فيجب على الداعية ألا يحاول تغيير المدعو دفعة واحدة؛ لأن ذلك مخالف لسنة الله وسنة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا لا يمنع وجود القابلية عند بعض الأفراد على التحول دفعة واحدة، فمن كان عنده الاستعداد للتغيير دفعة واحدة من دون أن يؤثر سلبياً على نفسه، فلا يجوز التواني في ذلك، أما من كان لا يقبل التحول إلا بالتدرج، فيجب تقديم الأهم في دعوته، وذلك لأنه قد يؤدي سرعة التحول في حقه سلبياً، فلربما عاد إلى جاهليته، ولهذا نجد أن الإسلام أعطى هذه المسألة حقها، فتجد أنه في العهد المكي ركز الإسلام على جانب العقيدة؛ مثلاً في فترة أمرهم بالصوم ثم الزكاة ثم الحج وهكذا.

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ حينما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تقدُم قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليه خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا**

(١) متفق عليه.

لذلك، فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، وإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب» [(1)].

ونجد أن الله تعالى لم يحرم الخمر دفعة واحدة بل تدرج في ذلك ففي أول الأمر نزل وكان قبل التحريم فقال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٧].

ثم أنزل عز وجل : ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

ثم قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

ثم في النهاية حرمها الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

فينبغي للداعية أن يتدرج مع المدعوين حتى لا ينفروا من كثرة التكاليف، وكذلك يجوز للداعية أن يشارك المدعو في بعض الأمور التي ربما تكون محرمة بحجة التدرج في الدعوة، بل إن سكت الداعية عن بعض الأمور التي لا يزال يرتكبها المدعو، فيجب عليه أن يعتزلها هو بنفسه.

* * * * *

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٤٩، النووي / مسلم ١/ ١٩٦.

المبحث التاسع
أيها الداعية كن نجما!

كانت الوجوه جميعها مصوّبة في اتجاه واحد لا تتحرك يميناً أو يساراً إلا في أضيق الحدود، في مشهد يُخيّل معه للناظر من بعيد، أن الجالسين ليسوا سوى مجموعة من التماثيل التي رصت بعناية فائقة، ورغم أن الجلسة قد طالت بهم، فإن الشباب السبعة ظلوا على حالهم يستمعون بإنصات شديد إلى أحدهم، والذي كان يتحدث بإسهاب عن ألبوم جديد للمطرب المصري عمرو دياب!

لماذا تحظى أخبار الفنانين والمطربين بكل هذا الاهتمام والإنصات من قبل الشباب، في الوقت الذي يبدو الشباب أقل اهتماما بأخبار دعاة وعلماء الأمة؟ مع الفارق الكبير في كل شيء بين من يقوم عمله على الهدم، وذلك الذي يسعى لعمارة الحياة على أساس من الإيمان.

الواقع يؤكد أنه رغم حائط الجليد الذي استطاع عدد كبير من الدعاة المعاصرين من كسره فيما يتصل بعلاقتهم بالشباب، من خلال عزفهم على أوتار هموم وأوجاع الأمة المعاصرة؛ فإن الداعية يبقى إذا جاز التعبير (كومبارس)، مقارنة بالمطرب والفنان في دنيا الشهرة والإعلام، حيث يمكن من خلال سؤال عينة عشوائية من الشباب العربي، الخروج بنتيجة واحدة، وهى أنهم جميعاً يعلمون الكثير عن محمد هنيدي وكاظم الساهر والجسمي، في الوقت الذي ربما لا يعرف الكثيرون منهم عن القرضاوي والعوا وعمرو خالد سوى أسمائهم.

وفي الوقت الذي لا يجد فيه الكثير من الشباب حرجاً في الإعلان عن أن قدوتهم في الحياة هي هذا الفنان أو ذاك المطرب، فإن قليلين جداً هم أولئك الذين يقولون: إنهم يجعلون من أحد الدعاة قدوة لهم يسعون للاقتداء بها في حياتهم، في دليل واضح على أن المكانة التي يتمتع بها الدعاة والعلماء لدى الشباب ما زالت أقل كثيراً مما يجب أن تكون عليه.

الفارق في المكانة بين المطرب والفنان من ناحية وبين الداعية والعالم من ناحية أخرى يبقى فارقا في التركيز الإعلامي والشهرة التي يحظى بها كل منهم، والتي تجعل من المطرب أو الفنان سوبر ستار تتناقل الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة كل الأخبار المتعلقة به من قصة شعره ونوع الملابس التي يقوم بارتدائها إلى حياته الشخصية وأعماله الفنية المختلفة، في الوقت الذي تقوم الكثير من الفضائيات بتسويق صورة الداعية أو العالم لدى الشباب باعتباره فقط واعظاً، يقوم بتقديم المعلومات والبرامج الدينية لهم، والتي ما زال عدد من الشباب ينظرون إليها على أنها موجهة بالأساس للكبار، وذلك باستثناء عدد ما زال محدوداً من الدعاة طبقا لما تؤكده الأرقام، والذين استطاعوا أن يحملوا الدعوة إلى الشباب بالطريقة التي تخاطب جيل – ولِد – والكمبيوتر والإنترنت في يده.

نجوم ولكن!

في مواجهة النجاح الكبير الذي استطاعت المحطات الإذاعية والقنوات الفضائية الغنائية والعامة، علاوة على الصحف والمجلات في مجال تسويق الفنان أو المطرب، باعتباره إنساناً استطاع أن يبني مجده خطوة بخطوة؛ ليصبح أحد نجوم المجتمع؛ فإن وسائل الإعلام الإسلامية المتخصصة ظل دورها محصوراً في تقديم الداعية أو العالم كشخص يقوم بمهمة تعريف الناس بدينهم فقط، دون أن تسلّط الضوء عليه كإنسان استطاع أن يحفر في الصخر قصة نجاحه قاهراً في طريقة مئات الصعاب، والتي كانت تكفي لإدخاله في عداد الفاشلين.

إغفال الجانب الإنسانى والعنصر البشري، في تسويق الدعاة والعلماء إعلامياً، جعل الكثير من الشباب ينظرون إليهم باعتبارهم أناس لا يأتيهم التقصير من بين أيديهم، أو من خلفهم وما داموا لا يعرفون الزلل أو التقصير في حق الله، فإن الشباب ينظرون إليهم بنوع من الإجلال والذي يصل في بعض الأحيان إلى حد التقديس، حيث يرون أنه من المستحيل أن يقلد الإنسان في حياتهم أحدهم، أو أن يجعله قدوة له لأنه لا يمكن أن يصل إلى منزلة قريبة من منزلته مهما فعل، وفي هذه الحالة يبدو لدى الكثيرين السير على خطى مطرب أو (فنان ما)، هو الخيار الأكثر سهولة والأقرب للواقع والمنطق!

إستراتيجية جديدة تلك التي تحتاج إليها في اللحظة الراهنة وسائل الإعلام الإسلامية المختلفة؛ لكي تقوم بتسويق الداعية والعالم بشكل يجعل منه نجما للشباك بدلا من المطربين والفنانين، وهو الأمر الذي إذا حدث على أرض الواقع كفيل بأن يقضي على الكثير من الأمراض المنتشرة في الوقت الراهن في أوساط شبابنا، والتي تعرض هويته العربية والإسلامية طبقاً لما يؤكده الكثير من المراقبين مهددة في الصميم في ظل سيل تغريب لم يتوقف يوما ما ولو للحظة واحدة.

في اللحظة الراهنة ليس صحيحاً على الإطلاق أن يقدم الداعية إلى الشباب باعتباره واعظاً أو شخصاً يحاول تقديم المعلومات الدينية لهم على طبق من فضة فقط، فهذه المهمة رغم أهميتها البالغة لا تكفي في ظل نجوم من ورق، يقوم الشباب بتعليق صورهم في غرفة نومهم وينامون ويستيقظون على أخبارهم وأعمالهم التي تهدم ولا تبني !

* * * * *

المبحث العاشر
وسائل وأفكار للدعوة مع الشباب

ذكَر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عند قولـه تعالى : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، "أنّ الشباب أقبلُ للحقّ، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عَتَوْا وانغمسوا في دين الباطل".

"إنّ الشبابَ رصيدُ الأمّةِ الذي تواجهُ به مسؤولية المستقبل، فإذا فرّطْت الأمة في تربيةِ شبابها، تقدم على مستقبلها بغير رصيد".

أولاً : لعامّة الشباب :

١- التركيز على أهمية عرض قضايا العقيدة وعبودية الله جلّ وعلا ومحبته من خلال أمثلة واقعية في حياة الشباب، كعبودية الشهوات، واستباحة المحرمات، وظهور جماعة عَبَدة الشيطان، وسبّ الدين.. إلخ.

٢- كبح جماح الشباب في شراء الكتب والمراجع العلمية، وحثهم على استشارة المتخصصين لدى الرغبة في شراء أيّ كتاب.

٣- أن يكون للشباب في برامج كل داعية منّا وكل جولة دعوية أو جدول محاضرات أو خطب نصيب، وإن تعددت فقد تختلف الأساليب، وقد لا تتاح الفرصة للشاب إلا في محاولة الداعية البعيدة.

٤- تكوين لجنة في مراكز الدعوة وفي المساجد والمكاتب التعاونية متخصصة في دعوة الشباب وبحث قضاياهم ومتابعتها، وقياس مستوى الحلول المقدمة لها، وتقسيم دعوة شباب أيّ حي إلى مراحل، مع تصوّر واضح لأهداف كل مرحلة ووسائلها.

٥- تفعيل دور المتخصصين التربويين ذوي الخبرة والديانة والاستنارة بآرائهم، والاستفادة من خبراتهم في توجيه الشباب ودعوتهم.

٦- ضرورة المواصلة في الطرح الإسلامي المؤصل العميق لمشكلات الشباب المنحرفين، والإكثار منها في المكتبات والتسجيلات والمواقع، حتى يُسمع الصوت الإسلامي

بين آلاف الأصوات التي سبقت في تناول قضايا الشباب، وبطرح إفساديّ تضليليّ. وقد وُجدت – والحمد لله – جهود، ولكنّ مجال دعوة الشباب تتطلب أكثر من هذا وتستوعبه.

٧- إجمال الداعية في عرض مظاهر انحراف الشباب، فإنّ درجة إقناع الداعية للشاب بمعرفته واقعة لا تتطلب التفصيل والشرح والإسهاب في مظاهر الانحراف ووصفها وصفاً دقيقاً، بقدر ما تتطلبه في وصف العلاج والحلول وتحليل أسباب الفساد للتحذير منها.

٨- معرفة الخريطة النفسية – أخي الداعية – للشاب الذي تدعوه؛ ميوله عيوبه، أخلاقه الحميدة، تسهّل عليك التأثير عليه.

٩- وجود مراكز احتواء للشباب في الأحياء (مراكز دائمة، موسمية – الصيف، الربيع – المكتبات) تقوم بأنشطة ثقافية واجتماعية ورياضية.

١٠- عمل ركن خاص في المكتبات يحوي الروايات والأقاصيص الخاصة بالشباب بشكل جذّاب، مثل : (٨٠ عاماً بحثاً عن مخرج، جبل التوبة، دموع على سفوح المجد، القافلة معاناة شاب...).

١١- تفعيل حلقات تحفيظ القرآن في المساجد، وجعلها محببة لنفوس النشء من خلال قوة الاستقطاب والجذب والمتابعة وحُسن المعاملة من مدرسي الحلقات.

١٢- الدعوة العامة في أماكن تجمعات الشباب (الأرصفة، الكازينوهات، الاستراحات، مقاهي الإنترنت) من خلال إلقاء الكلمات وتوزيع الأشرطة.

١٣- استغلال مواسم الأعياد في التقارب مع الشباب من خلال حفل معايدة أهل الحيّ، يحوي (مسابقات، مقابلات، تناول طعام العشاء...).

١٤- التقارب بين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعامّة الشباب، وتبني برامج لإزالة الحواجز وكسبهم.

١٥- استغلال التجمعات العائلية الدورية لعمل برامج للشباب.

١٦- من برامج ملء وقت فراغ الشباب وتنمية مهاراتهم: (دورات كمبيوتر، الدفاع عن النفس، الفروسية، الإسعافات الأولية...)، وذلك بالتنسيق مع المراكز المتخصصة وبأسعار مخفضة.

١٧- عمل رحلات عمرة دورية إلى مكة، والاستفادة من نظام العمرة الجديد.

١٨- وجود تربويين متخصصين في مخاطبة الشباب وحلّ مشكلاتهم، وبوسائل ميسرة، مثل : (الهاتف المباشر، البريد، البريد الإلكتروني).

١٩- إصدار المجلات الشبابية التي تهتمّ بأمورهم، والعمل على نشرها بين أوساط الشباب.

٢٠- الاستفادة من مجالات النشاط في المدارس (محاضرات، مسابقات، زيارات، رحلات).

٢١- إذا توسمت في شابّ ما أنه يحتاج أن يُعتنى به في الدعوة، إمّا لقربه من الخير، أو لكونه يمتلك مؤهلات وقدرات ومواهب يمكن أن تسخر في الخير، فاختر عدداً لا يتجاوز الأربعة من الصالحين الملتزمين، ونظموا رحلة قصيرة، فسيكون لها أثر كبير في نفسه، وكسر الحواجز بينه وبين الملتزمين.

٢٢- الزيارة الخاصة للشاب ومصارحته، والجلوس الفرديّ معه، وعرض الدعوة عليه، ومحاورته وتعهّده بمثل هذه الزيارات.

٢٣- نقله إلى محضن جديد عند بداية تغييره، حتى يقوى عوده في الالتزام.

ثانياً : في تربية الشباب الملتزمين :

١- الاهتمام بتحفيظ الشباب النصوص من القرآن والسنّة والعلوم الشرعية والأدب، لأنّهم سيكونون خطباء ودعاة المستقبل، وعدّة الداعية محفوظاته المختلفة.

٢- تفقيه الشباب الملتزمين بفقه سياسة النفس والاجتهاد في العبادة.

٣- استغلال ميدان الاعتكاف والمخيمات الصيفية في تربية الشباب على المواظبة على العبادة من نوافل وغيرها.

٤- تكوين مجموعات عمل إغاثة من الشباب بالتنسيق مع مؤسسات الإغاثة الداخلية لتوزيع الغذاء والكساء.

٥- عمل مسابقات عامّة ترصد لها جوائز ضخمة في :

- حفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه.
- حفظ أحاديث من السنّة (الأربعين النووية - مختارات من رياض الصالحين).
- تلخيص كتاب.
- بحث اجتماعي لإحدى المشكلات الاجتماعية.

مع ملاحظة أنّ كل مجال يمكن أن يتكون من عدّة مستويات.

٦- الاستفادة من الشباب المتخصصين في مجال الكمبيوتر (الإنترنت) لدعم المواقع الإسلامية وأهل العلم الذين لهم مواقع في الشبكة.

٧- عمل ركن متخصص في المسجد لمشاركات الشباب الثقافية والتوجيهية.

٨- وجود حلقات علم ذات منهج علمي محدد ومبسط يتدرّج لتخريج طلاب العِلم وتربيتهم.

٩- مصاحبة الشاب بعد أخذ قسط من التربية، وترك مجال له للانطلاق والعطاء، واستقلال الشخصية عن المربي، ونسيان فضله عليه، وعدم جعله في موقع التلميذ المتلقي دائماً.

١٠- التنويع بين التربية العلمية والعملية، ومراعاة الوسطية والاعتدال في النقد بعيداً عن القفزات المحطمة غير المدروسة في تناول بعض القضايا الفكرية.

١١- حتى لا نخسر الشباب وننفرهم من الخير والالتزام، علينا ضبط ملاحظتنا وانفعالاتنا معهم، والمرونة في الرقابة عليهم، وفي تنفيذ البرامج معهم مثلاً نغضب من الشابّ ونهجره؛ لأنّه ذهب مع مجموعة ملتزمة أخرى فهذا خطأ.

١٢- في كسب النوعيات المختلفة من الشباب، تلاحظ مسألة الشمولية في البرامج، والاهتمام بالتربية العقلية الذهنية التي تقوي القدرات العقلية.

* * * * *

المبحث الحادى عشر
١ - وسائل وأفكار للدعوة في المراكز الصيفية

١- إقامة الدورات الشاملة التي تنمي كافة متطلبات الطالب وتعتمد على ما يمكن توفيره من الواردات ومن الخبرات المتاحة مثل :

- دورات في القرآن الكريم وعلومه.
- دورات شرعية في العقيدة والتجويد والحديث... إلخ.
- دورات مهنية إلكترونية، وكهربائية، وإنقاذ... إلخ.
- دورات في فن التعامل مع الوالدين، والمراجع الإسلامية والنجاح... إلخ.

ويكون في الدورات ما يلي :

أ - اختبار نهائي.

ب - شهادة نجاح.

ج - شهادة حضور.

٢- الزيارات الميدانية خارج المركز، كالمصانع والعلماء وكبار السن ويُعدّ كل طالب بَعد الزيارة تقريراً عن الزيارة، يسجل فيه مشاهداته وما أعجبه وما لم يعجبه، واقتراحاته في الزيارة القادمة.

٣- البرامج الأسبوعية واليومية، مثل : الدروس والمحاضرات والندوات والرحلات والاستضافات.

٤- فرز المراكز الصيفية في البلد، حسب مستوى الطلاب في الالتزام والعلم على ثلاث مستويات: مراكز صيفية للمبتدئين، وأخرى للمتوسطين، وللقدماء الذين شاركوا في مراكز لا تقلّ عن خمس سنوات. وتوضع لكل مركز خطّته وأهدافه.

٥- محاولة إضفاء سمة وصفة الجدية على طلاب المركز، والتوازن في برامجها حتى لا تطغى البرامج الترفيهية على السمة العامة للمركز.

٦- إقامة المعارض المفيدة. مثل: معارض الجهات الخيرية، ومعرض الكتاب وغيرها.

٢ - وسائل وأفكار للدعوة بين طلاب العلم :

١- انتقاء من يَظهر نبوغُه وذكاؤه مبكّراً، من بين الطلاب وتكوينه ليكون من علماء الأمة، ووضع الخطة المستقبلية لهذا الهدف البعيد.

٢- تصحيح نظرة كثير من المربين في المدارس عن الصور السيئة لأبناء الملتزمين، وذلك بالعناية بهم دراسياً، وتربيتهم على الأخلاق والتقدير للكبار والمدرسين وغيرهم.

٣- أن ندعو في أحيائنا بلسان الحال والقدوة؛ بأن تكون بيوتنا نموذجية ومضرب المثل للبيت المسلم الذي يُحتذى حذوه، ويُقتدى به.

٤- عدم إهمال دعوة أطفال الحيّ على مشاهدة فيلم فيديو والتعليق عليه، أو وضع أسئلة في موضوعه.

٥- بعض الأخيار لا يزال يتردد في اقتحام عالم الحاسب الآلي، ولا يعلم أن الرهبان البوذيين في البلاد الوثنية، تطاولت هممهم لإتقان التعامل مع الشبكات والتخصص فيها، ناهيك عن التنصير وغيره.

٦- فقليل - أخي المبارك - من الوقت تبذُله في تعلم الحاسب بداية، يُوفر عليك الكثير من الوقت.

٧- زيارة الإخوة المستقيمين، وحثهم على العمل الدعويّ، وعلى ترك البطالة الدعوية والسلبية، ومعرفة المجالات التي تناسب كل واحد منهم للإفادة منه في الدعوة إلى الله عز وجل.

٨- تفقُّد أحوال إمام المسجد، وقضاء حاجاته، وإطلاعه على الجديد من الأخبار ومن الكتب والأفكار، وإظهار إجلاله واحترامه ومكانته حتى نكسبه للدعوة، وندفعهُ للعطاء.

٩- استنزاف الإخوة الملتزمين من المتقدمين في الالتزام، والعلم، استنزافهم لبعض الإذاعات والجهات التنصيرية أو المنحرفة بالمراسلة الدائمة لهذه الجهات، والإكثار

من طلب منشوراتها لحرقها وإتلافها، وتفويت إرسالها للغير، وكذلك أصحاب الأفكار المنحرفة وإشغال مواقعهم بالتشويش عليهم.

١٠- استغلال الفرصة حينما تتاح لنا، لنُعبّر عن التبرؤ من المذاهب الضّالة المنحرفة، وتحذير العامة. حتى يعتمد الناس معايير أهل السنة والجماعة في مستقبل حياتهم، وحتى لا يأتي يومٌ نسمع بمن أثرت فيه أفكار أهل البدع والضلال، بسبب عدم الحصانة والمناعة العلمية.

١١- تَعَهُّد شباب الأرصفة وجمهور الرحلات البرية والحدائق العامة والاستراحات في نهاية الأسبوع بالدعوة.

١٢- تفعيل دور سائقي الأجرة والنقل الجماعي، وتزويدهم بالمطويات والأشرطة لدعوة الركاب.

١٣- جلسة أسبوعية مع الأسرة، ولو لقراءة سورة الكهف كل جمعة، أو أثناء تناول الشاي بقراءة كتيب، وهذه لها وقعٌ عظيم في نفوس الأهل، وقلّ من ينشط لها ويواظب عليها من الأخيار.

١٤- مواصلة خطابات الشكر، وكلمات الثناء، عبر الهاتف أو المراسلة أو الفاكس أو البرقية، لمن لمستَ فيه الحرص على الدعوة، أو رأيت عنده فكرة مؤثرة، أو وسيلة ناجحة، تشجيعاً لغيره، ودفعاً له على مواصلة العطاء وبذل المزيد، والداعية بشر يُؤثر فيه هذا الأسلوب.

١٥- تقوية الروابط والصلات مع الدعاء وطلاب العلم في الحيّ، وتبادل الخبرات، والاستفادة منهم في برامج أو أعمال دعوية مُشتركة، من شأنه أن يزيل الوحشة في النفوس.

١٦- عمل ملف للمخالفات الشرعية في الحيّ الذي تسكن فيه، وجدولة طريقة تغييره وإصلاحه وإزالته بالتعاون مع مركز الهيئة في الحيّ.

١٧- إعطاء وقت لزيارة السجون والإصلاحيات، ومناصحتهم والشدّ من أزر القائمين عليها، وعرض الوسائل المُبتكرة عليهم وزيارة السُّجناء والرفع من معنوياتهم.

١٨- التخصص بتبنيّ مُنكر مُعين مُنتشر بين الناس، والتركيز عليه من جميع الجوانب ودراسته دراسة واعية مع إيجاد الحلول الناجحة له، ورفع مُذكرة قوية شاملة في ذلك إلى من بيده الحل والعقد.

١٩- تقوية وتوثيق العلاقة مع عمدة الحيّ، وتعهده بالزيارة والتعاون معه ومؤازرته في طريق الإصلاح بين الناس وأفعال الخير.

٢٠- القيام بالزيارات الدورية للمحلات التي بها مُنكرات، وإهداء الكلمة الطيبة لهم، والاستمرار في دعوتهم بدون ملل أو انقطاع، ولو زار خمسين فقط من أهل المساجد محلاً فيه مخالفات، وتعهدوه بالنصح لاستجاب الكثير من أصحاب هذه المحلات.

٢١- دعوة الأقارب والجيران وأبنائهم، وإقامة حفل عند حفظ الأبناء شيئاً من القرآن، لتشجيعهم وتحفيزهم.

٢٢- مُحاولة تحويل المجالس العامة إلى مجالس ذكر، بلباقة وخِفّة وجاذبية، بربط الأحداث والسوالف في المجلس باللفتات الإيمانية التربوية.

٢٣- استغلال الهاتف في التسميع، ومراجعة القرآن والمحفوظات وإعطاء دروس للجمعيات النسائية عن طريق الهاتف.

٢٤- عمل فهارس للمكتبات الخاصة، وفهارس دقيقة للكتب والأشرطة الدعوية، وعرضها على المهتمين بالدعوة كإمام المسجد والداعية وطلاب العلم للإفادة منها.

٢٥- فهرسة دقيقة للمجلات والأشرطة الدعوية أولاً بأول، وإيجاد فهارس دقيقة في موضوعات الأشرطة الدعوية، يسهل نشر قاعدة بيانات عن الدعوة إلى الله.

٢٦- تصميم ألعاب بديلة للأبناء، تلتزم بالآداب الإسلامية وتكون مُفيدة وجذّابة.

٢٧- التواصيّ على ألاّ غِيبة مشروعة بيننا، فلا نغتاب أحداً ولا نجالس مُغتاباً، ولا ننصت له.

٢٨- دوام التواصل والارتباط بين الشيخ والطالب وتعهد العلاقة خارج الحلقة أو الدرس.

٢٩- التميز في حياة المُلتزمين حتى لو اضطر إلى خادمة لا يأتي بها إلا مع محرمها فيكون بحاله داعيةً إلى الفضيلة والحشمة والحياء. والعمالة التي تعمل في بيوت الأخيار متميزة أيضاً عن غيرها والمجاورة تعدي كما يقولون.

٣٠- يتبرع الأهل في المنزل بشراء ملابس ومستلزمات وحُليّ الأفراح وجعلها وقفاً لإعارتها لأخواتها المحتاجات.

٣١- المُساهمة في توزيع الأشرطة والكتيبات والمطويات في أقسام النساء في الأماكن العامة.

٣٢- المُسارعة بالدعم الماديّ للمشاريع الإسلامية المُتعدية النفع، وإخراجها من أزماتها المالية كالتسجيلات والمجلات حتى لا يتوقف نشاطها.

٣٣- دعوة المُحسنين إلى كفالة طلاب علم ودعاة، ممن يظهر نبوغهم يتفرغون للدعوة والعلم.

٣٤- تخصيص وقت لزيارة القرى والهجر ولو مرة في الشهر.

٣٥- مُشاورة كبار السنّ والاستفادة من تجاربهم في الحياة وتسجيلها، وفي ذلك كسبهم وتكثيرُ السّواد بهم في الزيارات، وبعض البرامج الدعوية، قال ﷺ كما في صحيح الجامع: **«البركة مع أكابركم»** ويمكن استضافتهم في المدارس والمراكز الصيفية وتشريفهم بتسليم الجوائز.

٣٦- تعهد مكتبات صالات وأماكن الانتظار في الدوائر العامة، بالجديد والاحتساب في تنظيمها وترتيبها.

٣٧- الاستفادة من ذوي اللغات الأجنبية، وتفعيل دورهم في الدعوة ولو بترجمة مقالات أو كلمات محرّمة أو مُخالفات للتحذير منها.

٣٨- إصدار بعض البرامج الخاصة المتنوعة الشيّقة في أشرطة فيديو أو حاسب آلي، لتُعرض في المُخيمات وحفلات الزواج والأعياد، مع مراعاة التنوع والجدّية والتناسب في الطرح، وخلوّها من التشبه ببرامج الفسّاق الهزلية.

٣٩- زيارة وتفقد إخواننا الحجاج في أماكنهم، ومعرفة أحوالهم وتوجيههم، واستغلال فترة وجودهم في هذا الجوّ الإيماني، لزرع وإيقاظ الحسّ الدعوي في نفوسهم.

٤٠- مراسلة بعض المواقع والتسجيلات والمجلات والجرائد، والمبادرة بعرض المشاركة في الدعوة عليهم.

٤١- تسجيل أي فكرة أو اقتراح أو اكتشاف في الدعوة، وإيصاله لمن يتمكن من تنفيذه والإفادة منه.

٤٢- الزيارة الفصلية وتعهد الجهات الدعوية بالزيارة، والاطلاع على الجديد، وعرض الخدمات عليهم والتعاون معهم كمراكز الدعوة والهيئات.

٤٣- الاشتراك السنوي في المجلات الإسلامية، لتشجيعها وضمان استمرارها.

٤٤- مبادرة المؤهلين من الملتزمين الأخيار إلى وظائف الإمامة والأذان، لإفادة نفسه ونفع الناس.

٤٥- استغلال الذهاب مع حملات الحج والعمرة، لدعوتهم وتزويدهم بما أمكن من المطويات والأشرطة وتوزيعها ونشرها في بلدهم.

٤٦- أن يتخصص الأخ الملتزم في جانب من جوانب الدعوة، يُركز فيه ويُبدع، ويعطيه جلّ اهتمامه، مثلاً التخصص في دعوة الصمّ أو البكم، أو عمل إغاثي... إلخ.

٤٧- اصطحاب الداعية بعض الشباب معه في البرامج الدعوية التي يلقيها.

٤٨- الاحتساب على الإنترنت، بمتابعة أوجه النقص في المواقع الإسلامية وتوجيه أصحابها وتسديدهم؛ فإن معظم القائمين على الدعوة عبر الإنترنت لا تنقصهم العاطفة الصادقة، ولا التضحية، بقدر ما ينقصهم من حضور العلماء وطلاب العلم فيها.

٤٩- إرسال رسائل دعوية للمواقع السيئة، والقنوات المشبوهة، وتكثير سواد الرافضين لها.

٥٠- المشاركة بإرسال الجديد المفيد عبر الإنترنت، من الأفكار والكتب والفوائد لطلاب العلم، وبذلك نحقق التواصل بين الأخيار والتعاون على البرّ.

٥١- تنظيم برامج على شكل زيارات أسرية متبادلة بين الأخيار، لأنهم يعيشون واقعاً متقارباً وتطلعات واحدة.

٥٢- تخفيف البرامج والأنشطة في آخر أيام الأسبوع، حتى يتسنى للداعية التفرغ للأسرة ومواصلة برامجه الدعوية معها.

٥٣- الاستفادة من طاقات الشباب الذين يربونه في الدعوة بالمراسلة.

٥٤- أن نعود أبناءنا وطلابنا الدعوة عملياً، بتدريبهم في دعوة الأهل وأقربائهم والأصدقاء وزملاء الدراسة.

٥٥- إنشاء مؤسسات استثمارية، خاصة بالتدريب الدعويّ العمليّ لفئات من المهتمين بالدعوة، تقدم دورات بشهادات معتمدة في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ.

٥٦- انتقاء النوعيات الشابّة التي تمتلك القدرات، والتركيز عليها وإخراجها للمجتمع دُعاةً إلى الله عزّ وجلّ، وجعل هذا الهدف ماثلاً أمامنا في الدروس والمناشط بين الملتزمين.

٥٧- من أعظم ميادين الأخيار الملتزمين في الدعوة، إصلاح ذات البين في العامة والخاصة.

٥٨- تبني إنشاء مؤسسات وشركات إعلامية قوية، ومشاريع لإصدار النافع المفيد في البرامج الإعلامية.

٣ - وسائل وأفكار لدعوة النساء :

١- فسح المجال أمام مشاركة النساء في وضع خطط الأعمال والمناشط الدعوية، مثلاً جدول المحاضرات والدروس في الحي يُستشَرنَ فيه، ويطلب منهنّ وضع تصوّر مقترح للموضوعات التي ينبغي الحديث عنها ومعالجتها. أما أن تكون كل مناشطنا تقف عند مخاطبة النساء بالحجاب فقط فهذا فيه تقصير في دعوة النساء.

٢- طرق مجال المواقع المتخصصة للمرأة، وتقديم الدعوة عبر هذه الخدمات، مثلاً موقع لأفكار التجميل، يُنبه فيه على المحظورات الشرعية في الزينة.. وهكذا...

٣- من المعلوم من واقع التجربة الدعوية، أن المرأة أقدر من الرجل في الكثير الغالب على إصلاح الأسرة، وحينما تُقارن جهودها مع الرجل في إصلاح المعوجّ نجده أبلغ أثراً. فلو أقيمت دورات تخصصية في كيفية تربية الأبناء تربية صحيحة، وفي كيفية معاملة الزوج بمقتضى الشرع، وكيفية المحافظة على طَبْع المنزل بطابع الإسلام والإيمان.

٤- كم رأينا من الأخوة الملتزمين من يسير مع أهله، ومشيتها لا تناسب وقار الحجاب الذي تلبسه، ولعل هذا من مظاهر انتشار الدعوة بين الملتزمين كماً لا كيفاً.

٥- عدم الاقتصار في دعوة النساء على الأمر بالحجاب وطاعة الزوج فقط، بل ينبغي أن تشمل برامجنا مختلف ما يطرح في دعوة الرجال، مما هو مشروع في حقهن، حتى تأخذ المرأة دورها في كل ميدان رسمه لها الشرع.

٦- تفعيل دور المرأة في جعل الكتب للقراءة، لا للديكور المنزلي، وذلك بتدريبها على البحث عن معلومات، وإشراكها في تحضير الدروس والمحاضرات... إلخ.

٧- إقامة دورات من واقع اهتمامات النساء غير الملتزمات، هدفها التفقه فيما يحل ويحرم، وتوجيهها شرعياً، مثل : دورة في تجهيز العرائس... إلخ.

٨- وضع برنامج دعوي متكامل، لدعوة العاملات بالمنازل في محيط الأقارب والجيران، ومتابعة تنفيذ هذا البرنامج.

٩- استغلال حب الطبخ لصالح الدعوة، بعمل أكلات خفيفة، وتُرسل إلى الجيران أو العمالة ويُرسل معها كتيب أو شريط.

١٠- تفريغ الدروس من الأشرطة، وجعلها في متناول طلاب العلم، تشجيعاً للقادر على طبعها بعد تنقيحها، وكذلك تفريغ المواد المناسبة وإرسالها لخطيب الحيّ، للاستفادة منها.

١١- إقامة درس أسبوعي للجارات، وحثّهنّ على الخير، ولو عن طريق الهاتف لأحد الدعاة في المنزل.

١٢- تعويد الطفل على اقتناء دفتر خاص، يكتب فيه المفيد من العبارات والحكم، ينقلها من الصحف أو من الأشرطة التي يسمعها أو من المدرسين، وكلما ملأ ثلاث صفحات يطلب منه قراءتها، ويثبت الجيد منها، فينمو فيه حب الكتابة والإملاء.

١٣- وضع سلة مزينة ومغلفة بها بعض الأشرطة بطريقة تغليف الحلوى، وتقديمها للضيوف يجعل للزيارة طعمها الخاص. (متوفرة في التسجيلات).

١٤- تقديم أشرطة وكتيبات مع هدية العروس، ومع حلوى الفرح.

١٥- عمل برنامج للنشاط وكتيبات مع هدية العروس، ومع حلوى الفرح.

١٦- عمل برنامج للنشاط النسائي خاص برمضان، يعلق في مصلى النساء.

١٧- ترك الزوجة بعض الأشرطة النافعة في سيارة الزوج، وتعهدها واستبدالها.

١٨- إعداد طبق شهي لأهل الزوج عند اجتماعهم في المنزل، إرضاءً للزوج، وإدخالاً للسرور على المسلمين، وتقرباً إلى الله بسبب من أسباب دخول الجنة وهو إطعام الطعام.

١٩- عند دخول وقت الصلاة تظهر لباقة الزوجة، ولطفها في إنهاء الجلسة، وإنهاء الحديث مع الزوج أو ملاعبته الأطفال، لتشعر الجميع بأهمية وعظم قدر الصلاة، وتعين الزوج والأبناء على إدراك تكبيرة الإحرام.

٢٠- كسب قلب الزوج، بأن يحس أن الزوجة تتعلم منه، وذلك بسؤاله عن بعض أمور الدين، ومناقشته بتواضع وأدب التلميذ مع أستاذه، وفي هذا الأسلوب غير المباشر حافز له على الاطلاع والاستزادة وسؤال أهل العلم، والتحضير لأسئلة التلميذة (أم الأولاد!).

٢١- تعرف الزوجة على مواطن الإبداع في الزوج، ينميه ويزيده ويُستثمر لصالح الدعوة.

٢٢- إهداء البنت الخمار، والسجادة للصلاة، له أعظم الأثر في نفس البنت.

* * * * *

المبحث الثاني عشر
إلى إمام المسجد

إن للإمام دوراً كبيراً وواجباً عظيماً إذا قام بـه حصـل الخـير الكـثير للمصـلين ولأهـل الحي، فينبغي عليه مراعاته وعدم الإخلال به، وسأذكرها على شكل نقاط:

١ - (فقه الإمامة) :

١- إعطاء الإمامـة والصـلاة حقهـا، والحـرص علـى تحـري السـنة واتباعهـا في ذلـك، والشعور بأداء الواجب والإخلاص في العمل.

٢- الاطـلاع علـى أحكـام الإمامـة والصـلاة، والاسـتزادة منهـا، ومناقشـة بعـض الموضوعات المتعلقة بذلك بين وقت وآخر، ورصد الفتاوى وقراءتها.

٣- تحري السنة في المجيء للصلاة، وفي الانصراف منها، وفي الأذكار بعدها، ونحو ذلك؛ لأنه قدوة ينظر إليه.

٤- التأني والتوسط في أفعال الصلاة، وتحري السنة فيها، وعـدم الاسـتعجال المخـل أو التطويل الممل.

٥- المحافظة على السنن الراتبة في المسجد أو المنزل، والتأكيـد علـى أنهـا حِمًـى وسـياج للصلاة تحمي صلاة المحافظ عليها.

٢ - (أدب الإمامة) :

١- الحرص على المواظبة، وضرب المثل الطيب في ذلك، بحيث يعد غيابـه عـن المسـجد أو تأخره في إقامة الصلاة على مدار العام شيئاً لا يذكر.

٢- عدم التخلف عن الإمامة، والحرص على المواظبة عليها.

٣- الحرص على عدم التخلف في صلاتي الفجر والعصر خاصة، والابتعاد بالنفس عن مواطن سوء الظن والقيل والقال، فهي أكبر ما يقاس به الإمام من محافظة لأنه غالباً موجود في منزلـه.

٤- عند الاضطرار للتخلف عن الإمامة لسفر أو انشغال ينبغي إنابة الكفء، وحين طروء الانشغال والإحساس بعدم القدرة على المجيء للصلاة يكون الاتصال بالمؤذن، أو غيره؛ حتى لا يطول انتظار المصلين ويصيبهم الملل والنفور.

٥- الحرص على إقامة الصلاة في مواعيدها، وتثبيت ذلك، وعدم التقدم أو التأخر، وتراعى ظروف مساجد الأسواق ونحوها، أو المساجد المجاورة للمدارس.

٦- تفويض المؤذن أو غيره من القادرين على الإمامة في إقامة الصلاة بعد دقيقتين أو ثلاث مثلاً من الوقت المحدد حتى لا يمل الناس الانتظار.

٧- التقليل ما أمكن من الارتباطات والأسفار غير المهمة التي تؤدي إلى التخلف عن الإمامة، وإذا اضطر نوّب الكفء.

٨- التحلي بالأخلاق الفاضلة وأن يكون قدوة حسنة مألوفاً بين الناس، فأكثر ما يؤثر في الناس حسن الخلق فهو الباب الذي يقرب الناس من الإمام وغيره وقد جاء في وصف الرسول الكريم ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] وهو أثقل شيء في الميزان تقوى الله وحسن الخلق.

٩- تفقد أهل الحي سواء المحتاج منهم أو من يمر بمشاكل والمساهمة في حلها (التوظيف - إصلاح ذات البين) فلكل حي مشاكله وحاجاته فينبغي على الإمام تفقد أهل الحي سواء المحتاج والمريض والذي عليه دين بل حتى السعي مع الوجهاء والمسئولين في الحي في توظيف بعض شباب الحي والعاطلين وكذلك الحرص على السعي في حل النزاعات بين الجيران وكذلك بين الزوجين وإصلاح ذات البين ففيها عظيم الأجر وكذلك محبةً لصاحبها.

٣ - (الإمام والنشاط الدعوي) :

١- إلقاء الإمام لبعض الكلمات أحياناً فيما يتعلق بأحداث الساعة الهامة، وما يراه من ملحوظات على المصلين، تربية الناس على الإخلاص في القول والعمل وعدم رؤيته - أي العمل - أو حتى طلب العوض عنه بمدح أو غيره فالله وحده هو المكافئ، وهذا لا يمنع من أن ينسب الفضل لأهله... لكن لا يكون على هيئة تكريم

على الملأ فالله هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، حقيقة "ما أجمل التعامل مع الله".

٢- إقامة مكتبة خيرية في المسجد، أو مكتبة للقراءة والاطلاع.

٣- توجيه بعض البرامج المذكورة إلى النساء، مثل المحاضرات والكلمات وحلقات التحفيظ والمسابقات ونحوها، بالتعاون مع دُور الذِّكْر في الحي.

٤- إيجاد دوريات لنساء الحي تكون ذات مردود دعوي إيجابي، وتكون في إحدى دور الذكر أو بعض المدارس، وتشجيع نساء الحي بالالتحاق بدور التحفيظ وحثهن على ذلك.. أفضل من وضع دوريات لأننا بالتجربة لاحظنا أن الدوريات ربما أخذت طابعاً مغايراً عما وضع ورسم لها.

٥- إقامة حلقة تحفيظ قرآن وما يتبعها من رحلات تربوية هادفة، سواء في داخل البلد أو خارجه مثل رحلة عمرة أو حج.

٦- دعوة بعض الدعاة لإلقاء الكلمات من حين لآخر في المسجد والتأكيد على المواضيع التي تهم المسلم.

٧- إعداد مسابقة لأهل الحي لكل شهر أو شهرين وجوائزها.

٨- التعاون مع النشطين في الحي، وذلك بتوزيع الكتب والأشرطة ومتابعة المتهاونين في الصلاة وزيارتهم وكذلك باقي المنكرات.

٩- التعاون مع أئمة المساجد المجاورة والتنسيق معهم في صالح الدعوة، بحيث يكون للإمام اجتماع مع مجموعة من الأئمة في الأحياء المجاورة والتنسيق معهم في طريق إيصال الخير إلى الجميع وتحذيرهم من أسباب الفساد والعقوبة.

١٠- الاهتمام بالملصقات الدعوية التي تعلق في المسجد وإعلانات المحاضرات.

١١- القراءة عليهم بعد العصر حسب المصلحة والقراءة عليهم بعد أذان العشاء حتى وقت الإقامة، في كل أسبوع يوم محدد؛ وذلك لنشر العلم الذي يسهم إسهاماً إيجابياً في صلاح المجتمع: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. مرة في تفسير آيات ومرة قراءة فتاوى.

١٢- الاهتمام بالرحلات الدعوية وكذلك رحلة الحج والعمرة باختيار مجموعة مناسبة ومن يذهب معهم.

١٣- الاهتمام بالمواسم الدعوية مثل رمضان – الحج، بل أيام المحن والنكبات لإخواننا المسلمين ودعمهم مادياً ومعنوياً.

١٤- الاهتمام بالجاليات سواء العمالة وكذلك الخادمات وتوزيع الكتب والأشرطة عليهم وربطهم بمكتب الجاليات في الحي، ووضع مسابقات لهم، والإجابة على فتاويهم وأسئلتهم وحسن الخلق معهم وحث أهل الحي على ذلك.

٥ - (الإمام والنشاط الاجتماعي) :

١- الإفادة من المتقاعدين في خدمات الحي وغيرها.

٢- الشورى – عدم الاستبداد بالرأي في أي قضية صغرت أو كبرت؛ لأنه نوع من التعامل بالغلظة والشدة الذي يورث النفور وكره الجماعة للإمام وتؤدي إلى عدم الاجتماع على الخير، بل إلى كره المسجد أحياناً.

٣- توثيق الصلة بالمسؤولين في الحي والاستفادة منهم دعوياً واجتماعياً في إدارتهم التي يعملون فيها.

٤- الحرص على إكرام أعيان الحي ومعاملتهم معاملة خاصة تليق بهم، بما يعود على الحي بالخير.

٥- المشاركة في دورية للجيران كبيرة كل شهر ومصغرة كل أسبوع، فهي من أكبر الروابط في الحي ورأيت ثمارها في بعض الأحياء.

٦- حصر التجار والمسؤولين في الحي والارتباط بهم أو ضمهم إذا أمكن في الدورية الشهرية، والاستفادة منهم، وكذلك مدراء المدارس، فالدعوة تحتاج إلى أمور كثيرة منها المال الذي يسهل كثيراً من أمور الدعوة، وكذلك المسؤولون الذين يساعدون على إيصال الخير إلى دوائرهم وأحيائهم.

٧- أن يكون للإمام دور مع أقربائه وزملائه بإقامة دورية شهرية، أسبوعية، فلا يكفي في حيه، بل في كل من جالسه من قريب وزميل.

٨- أن يكون لدورية الحي قسط ثابت (١٠٠ - ٥٠) يصرف في الكتاب، الشريط، محفظ القرآن، الجوائز.

٩- العمل على إيجاد عمل جماعي مع أهل الحي، سواء كان للقيام بمشروعات معينة أو لمواجهة سلبيات الحي.

١٠- الاهتمام بالمؤسسات والدوائر الموجودة في الحي، وذلك بتعاون الإمام وغيره من أهل الحي مع تلك الجهات فيما يخدم الصالح العام، وتوثيق صلته بهم، ومن أهم هذه الجهات:

أ- مراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يخفى ما لهذه المراكز من خير ومنع الفساد وهي بحاجة ماسة إلى التعاون معها كل في حينه.

ب- مراكز الشرطة.

ج- مكاتب الدعوة وتوعية الجاليات، وهي في حاجة إلى كوادر كبيرة من أهل الحي كل فيما يجيده، سواء في لجنة الكتاب - الشريط - المسلم الجديد - الموارد المالية - الإدارة.

د- الجمعيات الخيرية.

هـ- البلديات، وموظفوها الميدانيون خاصة.

و- إدارات المدارس في الحي... وغير ذلك "مراكز الأحياء" [١].

وسائل وأفكار للدعوة في المسجد :

١- إلقاء الكلمات الوعظية المرتجلة بعد الصلوات المفروضة.

٢- إقامة المحاضرات الأسبوعية أو الشهرية أو الفصلية.

٣- إلقاء الدروس العلمية الطويلة أو القصيرة بين الأذان والإقامة في صلاة العشاء، أو بين المغرب والعشاء حسب مستوى طلاب العِلْم في المسجد.

٤- إقامة الندوات العلمية.

٥- صندوق (خذ نسختك)، ويوضع فيه بعض الكتب والمطويات والأشرطة المخصصة للتوزيع مجاناً.

٦- المكتبة العلمية العامة في المسجد، ويدعى أهل الخير لتوقيف الكتب عليها.

٧- وضع دولاب لإعارة الأشرطة، ويختار لها قيّم لتنظيمها.

٨- إعداد المسابقات الثقافية الأسرية والشبابية والأطفال من أهالي المسجد، خاصة في الإجازات.

٩- فتح حلقات لتحفيظ القرآن الكريم - للكبار والصغار - والإشراف والمتابعة لها.

١٠- القراءة من كتاب على جماعة المسجد.

١١- إقامة درس أسبوعي للجاليات، وذلك بإحضار مترجم.

١٢- تشجيع أصحاب المواهب من جماعة المسجد والاهتمام بهم والاستفادة منهم في الدعوة في الحيّ.

١٣- تلمّس أحوال جماعة المسجد، ومعرفة الفقراء والمساكين، ونقل أحوالهم للأغنياء والمؤسسات الخيرية؛ ليساعدوهم.

---

(١) إبراهيم بن عبد المحسن الفليج.

١٤- السعي في الإصلاح بين الناس وجمع القلوب، والاستعانة بكبار السنّ من جماعة المسجد.

١٥- إقامة إمام المسجد لقاءً دورياً أسبوعياً مع جماعة المسجد في البيوت، ويحرص على حضوره.

١٦- إرسال هدية لجيران المسجد في المناسبات، كالأعياد.

١٧- زيارة المتخلفين عن أداء صلاة الجماعة من جيران المسجد.

١٨- إيجاد صندوق في المسجد لوضع المقترحات والأسئلة وغيرها.

١٩- إعداد لوحة في المسجد، يوضَع عليها فوائد وفتاوى وإعلانات المحاضرات والدروس، والاهتمام بتطويرها وتجديدها، ودعوة جماعة المسجد للمشاركة فيها.

٢٠- القدوة والأخلاق الحسنة، وتأليف قلوب الناس بزيارتهم والتودّد لهم.

٢١- الدعوة الفردية لأفراد جماعة المسجد.

٢٢- النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحي تجاه المنكرات المتفشية الظاهرة.

٢٣- الإعداد الجيد والمسبق لخطبة الجمعة، والاهتمام بتطويرها.

٢٤- مسابقة حفظ السنّة النبوية والمتون العلمية.

٢٥- نشر فتاوى أهل العِلْم بين جماعة المسجد.

٢٦- إحصاء العمالة غير المسلمة (في الحيّ المحيط بالمسجد) ودعوتهم إلى الإسلام.

٢٧- التأكيد على أهل الحي، وتحريضهم على إحضار أبنائهم للصلاة والاستمرار عليها.

٢٨- حثّ ربّ الأسرة على تفقيه أسرته، والاستعانة بأبنائه إذا كان غير متعلم، وسؤال الإمام عما يشكل عليه.

٢٩- حثّ الطلبة الجامعيين على الدعوة إلى الله، لاسيما إذا كانوا ملتزمين، والاستفادة منهم في أنشطة المسجد.

٣٠- تفعيل دور خطبة العيد، والاستفادة من الدعاة المقتدرين فيها، ودعوة الخطباء المؤثرين المبدعين لإلقاء خطبة العيد، وإبلاغ الناس بمكان الخطبة.

٣١- غرس محبة المسجد في نفوس أطفال الحي والصغار، بتوفير أنشطة مختلفة، وحثّ المصلين على الصبر على أخطاء الصغار في المسجد، وعلى استخدام اللين والرفق مع المخطئ منهم.

٣٢- الاستفادة من الأشرطة القديمة، بوضعها في مكتبة المسجد للإعارة.

٣٣- احذر - أخي الخطيب - من الخطبة (القَصماء) - بالقاف - نقيض (العَصْماء) - بالعين؛ فإنها عديمة التأثير، وهي التي يسخّرها ملقيها لتصفية حسابات شخصية أو علمية.

٣٤- اجتماع شهري لمجموعة من الخطباء تجمعهم البلدة أو المنطقة أو الحيّ أو الزمالة؛ لتبادل الآراء، وتطوير مستوى الخطبة.

٣٥- دعوة العلماء لإلقاء كلمة في المسجد، وتهيئة أسئلة ليستفيد جماعة المسجد من أجوبتها، أو جعله حواراً مفتوحاً منهم مع الشيخ.

٣٦- للخطباء إدخال الخطبة في الإنترنت؛ لتعميم الاستفادة منها، أو التعامل مع موقع المنبر لعرضها في هذا الموقع المتخصص.

٣٧- اهتبال واغتنام الخطيب فرصة التوجيه عن طريق الحدث. مثلاً: فنان تطاولَ على شخصية الرسول ﷺ، فنكشف للعامّة ضحالة أوساط الفنانين وفسقهم وفجورهم... وهكذا. وهذا يتطلب من الخطيب الاطّلاع على ما يخدم دعوته من الأخبار والأنباء، والاستماع إليها.

٣٨- وضع خطّة دعوية تربوية سنوية أو فصلية، وتهيئة المصلين للتفاعل معها إعداداً وتنفيذاً.

٣٩- إقامة لقاءات دورية بين مجموعة خطباء الحيّ؛ لتبادل الخبرات، والتشاور في توجيه الخطبة وتقييمها.

٤٠- إهداء هدية للأطفال الصغار المرتادين للمسجد؛ لتحبيبهم في المسجد.

٤١- حثّ المصلين على تعاهد المعتكفين وقضاء حوائجهم وتيسير أمورهم.

٤٢- المشاركة الفعّالة في هموم الأسر وجيران المسجد، بإقامة حفل مصغّر في المسجد للطلاب الناجحين ودروس تقوية للمصلين وغيرهم.

٤٣- دعوة أهل الحيّ للمشاركة في المجلات الإسلامية.

٤٤- إقامة موائد الإفطار الرمضانية للعمالة واستغلالها في الدعوة.

٤٥- إقامة حفل معايدة لأهل الحيّ بجوار المسجد، يُدعى لها الجاليات المسلمة؛ لتخفيف وحشتهم في العيد ببُعدهم عن أهليهم.

٤٦- ضرورة إيجاد مترجم لترجمة خطبة الجمعة إذا تعذّر إيجاد مساجد خاصة للجالية الناطقة بغير لغة البلد.

٤٧- تجهيز بعض الملصقات الحائطية للاستفادة منها في دعوة الناس في المناسبات وفضائل الأعمال الحَوْلية (قدوم رمضان، الحج، نهاية العام... إلخ).

٤٨- تنادي المختصين لمعالجة المشكلات الدائمة في كل مسجد، والخروج بحلول تناسب جماعة المسجد، مثل : (مشكلة عزوف فئة الشباب عن ارتياد المساجد).

٤٩- زيارة ميدانية لإمام المسجد وبعض وجهاء جماعة المسجد للمحلات التجارية، وتذكير أصحابها بالبعد عن المنكرات، وإعطائهم الفتاوى والمطويات، كالصالونات، ومحلات الشيش، وأشرطة الغناء.

٥٠- وضع خطة لبرنامج دعوي في العطل لمختلف شرائح جماعة المسجد؛ للقضاء على الفراغ واستثمار أوقاتهم في العطل والإجازات.

وسائل وأفكار للدعوة في الإنترنت :

أخي الداعية :

هل تعلم أن المذاهب الهدامة والأديان الباطلة، حتى البوذيين والوثنيين وعبدة الشيطان، لهم مئات المواقع بلغات العالم الميتة، وأن اللغة الصينية وهي لغة أكثر من مليار من البشر، لا

يوجد لأهل السنة والجماعة إلا موقعان فقط، بجهود فردية ضعيفة، وإمكانيات بدائية قديمة، تجعل الفائدة منها محدودة. وأملاً في مشاركتك الدعوة عبر الإنترنت، إليك هذه الوسائل والأفكار :

١- عقد الملتقيات الدعوية والندوات، حول مواضيع واهتمامات الدعوة عبر شبكة الإنترنت، وتبادل وجهات النظر حول العمل الدعوي، وهو متاح الآن بالصوت والصورة.

٢- الاستفادة في تقوية برامجنا الدعوية وأطروحاتنا من الأبحاث الإحصائية المتوفرة في الإنترنت، مما يعطي تصوراتنا ومواقفنا قوة وثقلاً في الإقناع والتأثير.

٣- تلافي سلبية العمل في المواقع الإسلامية بالطابع الفردي والمنحى الاجتهادي، بدلاً من الروح الجماعية المتكاتفة.

٤- نقل ما يمكن من الدروس العلمية والمحاضرات المباشرة، وتوفيرها في متناول اليد وربطها بالمواقع الأخرى.

٥- الإعلان للناس عن المناشط الدعوية (الدروس - المحاضرات - الكلمات - الدورات - الخطب).

٦- تكثير المواقع المتخصصة، حتى يمكن أن تصل بالتنافس إلى الإبداع ويسهل الرجوع إليها، مواقع متخصصة في الشباب، المشكلات الاجتماعية الاقتصادية، الموقع. شخصيات إسلامية، سماحة الإسلام، الحضارة الإسلامية... إلخ.

٧- ينبغي على كل مسلم مستخدم للإنترنت، لديه هم دعوي، أن يكون له دور في نشر الخير، ولا يكون سلبياً يأخذ ولا يعطي لدينه شيئاً، ولو بالدلالة على الأفكار الدعوية وإرسالها للمستخدمين.

٨- المساهمة بكتابة مقال شهري مُركّز في أي موضوع، وإرساله إلى المنتديات والمواقع التعميمية.

٩- احتساب الإخوة المتخصصين في مجال الإنترنت، لتفعيل دور العلماء والدعاة وافتتاح مواقع لهم، لتسهيل مهمة الوصول إليهم، وإخراجهم لينتفع الناس من علمهم.

١٠- تقديم البدائل للمواقع الإسلامية، وإخبارهم بالجديد في مجال برامج الإنترنت وعلومها، وتقديم الاستشارات والخبرات العلمية لهم في مجال الحاسب.

١١- التعرف عبر المواقع والدلالة على طلاب العلم المغمورين الذين يمكن الاستفادة منهم.

١٢- إغراق الشبكة بالمواقع التي تعرض الإسلام عرضاً صحيحاً، عقيدة وفقهاً ومنهجاً ودعوة، لتضييق المجال على المواقع المنحرفة، خاصة باللغة الإنجليزية التي هي لغة ٨٠٪ من مستخدمي الإنترنت.

١٣- إعطاء أهمية للملاحظات على المواقع والاستبيانات من قبل المتصفح والجدية في تقديم النصح البناء، والاحتساب فيها، وبذل التضحية.

١٤- ربط مواقع الجهات الرسمية الإسلامية مع الهيئات والجهات الخيرية، بغية تطوير الاتصال فيما بينها، ومحاصرة الفكر المشبوه.

١٥- إغراق المواقع المشبوهة المعادية للإسلام برسائل الاحتجاج في وقت واحد؛ لأنه لن يتمكن من مجرد استقبالها وقراءتها في وقت واحد، فضلاً عن التعامل معها، مما يضطره إلى إعادة التفكير في المواد التي يعرضها ضد الإسلام والمسلمين.

١٦- ضرورة نشر معلومات عن العقائد الباطلة المنحرفة، لتحذير الناس منها ولإظهار البراءة منها، والتي هي من أعظم مقتضيات لا إله إلا الله. فالذي يبحث عن اليهودية لن تنفرد به المواقع اليهودية، بل سيفاجأ بوجود مواقع إسلامية تتحدث عن اليهودية من وجهة نظرها، وهكذا مع بقية الملل والنحل والمذاهب.

١٧- إيجاد مواقع متخصصة لمشاكل الشباب، الأسرة... إلخ.

١٨- الرصد الإعلامي الدقيق لجميع المناشط في المواقع، وفهرستها ونشر أسمائها، والاستفادة منها وتيسير الوصول إلى الأفكار.

١٩- إيجاد موقع للتنسيق بين الجمعيات الخيرية الدعوية، والجهات والمؤسسات العاملة في الحقل الخيري الدعوي.

٢٠- توفير الجهد والوقت بإقامة الدروس والمحاضرات، وإدخال جميع مناشط الداعية في الإنترنت، حتى يتخطى الزمان والمكان في إفادة عباد الله احتساباً.

٢١- توجيه رسائل شكر وثناء ومدح للمواقع التي تقدم أفكاراً إسلامية وبرامج جادة.

٢٢- الاستفادة من الإنترنت في تأصيل فكرة نشر وتعلم العربية بين المسلمين من غير العرب، وافتتاح مواقع لخدمة هذا الغرض الشرعي والمقصد الديني. ولا يكون الصينيون الوثنيون الذين أرغموا شركات الحاسب على تشفير لغة هندسة الحاسب بالصينية لا يكونون أعز منا بلغتنا العربية.

٢٣- إنشاء مواقع خاصة بمتابعة الجديد من الأفكار والمعلومات باللغات الأجنبية، وترجمتها إلى العربية، خاصة الأفكار والوسائل التي تخدم الدعوة إلى الله عز وجل.

وسائل وأفكار للدعوة مع الشباب :

ذكَر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عند قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، "أنّ الشباب أقبلُ للحقّ، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عَتَوْا وانغمسوا في دين الباطل".

"إنّ الشبابَ رصيدُ الأمّةِ الذي تواجهُ به مسؤولية المستقبل، فإذا فرّطْت الأمة في تربيةِ شبابها، تقدم على مستقبلها بغير رصيد".

أولاً : لعامّة الشباب :

١- التركيز على أهمية عرض قضايا العقيدة وعبودية الله جلّ وعلا ومحبته من خلال أمثلة واقعية في حياة الشباب، كعبودية الشهوات، واستباحة المحرمات، وظهور جماعة عَبَدة الشيطان، وسبّ الدين.. إلخ.

٢- كبح جماح الشباب في شراء الكتب والمراجع العلمية، وحثهم على استشارة المتخصصين لدى الرغبة في شراء أيّ كتاب.

٣- أن يكون للشباب في برامج كل داعية منّا وكل جولة دعوية أو جدول محاضرات أو خطب نصيب، وإن تعددت فقد تختلف الأساليب، وقد لا تتاح الفرصة للشاب إلا في محاولة الداعية البعيدة.

٤- تكوين لجنة في مراكز الدعوة وفي المساجد والمكاتب التعاونية متخصصة في دعوة الشباب وبحث قضاياهم ومتابعتها، وقياس مستوى الحلول المقدمة لها، وتقسيم دعوة شباب أيّ حي إلى مراحل، مع تصوّر واضح لأهداف كل مرحلة ووسائلها.

٥- تفعيل دور المتخصصين التربويين ذوي الخبرة والديانة والاستنارة بآرائهم، والاستفادة من خبراتهم في توجيه الشباب ودعوتهم.

٦- ضرورة المواصلة في الطرح الإسلامي المؤصل العميق لمشكلات الشباب المنحرفين، والإكثار منها في المكتبات والتسجيلات والمواقع، حتى يُسمع الصوت الإسلامي بين

٧- آلاف الأصوات التي سبقت في تناول قضايا الشباب، وبطرح إفساديّ تضليليّ.

٨- وقد وُجدت - والحمد لله - جهود، ولكنّ مجال دعوة الشباب تتطلب أكثر من هذا وتستوعبه.

٩- إجمال الداعية في عرض مظاهر انحراف الشباب، فإنّ درجة إقناع الداعية للشاب بمعرفته واقعة لا تتطلب التفصيل والشرح والإسهاب في مظاهر الانحراف ووصفها وصفاً دقيقاً، بقدر ما تتطلبه في وصف العلاج والحلول وتحليل أسباب الفساد للتحذير منها.

١٠- معرفة الخريطة النفسية - أخي الداعية - للشاب الذي تدعوه؛ ميوله،عيوبه، أخلاقه الحميدة، تسهّل عليك التأثير عليه.

١١- وجود مراكز احتواء للشباب في الأحياء (مراكز دائمة، موسمية - الصيف، الربيع - المكتبات) تقوم بأنشطة ثقافية واجتماعية ورياضية.

١٢- عمل ركن خاص في المكتبات يحوي الروايات والأقاصيص الخاصة بالشباب بشكل جذّاب، مثل : (٨٠ عاماً بحثاً عن مخرج، جبل التوبة، دموع على سفوح المجد، القافلة معاناة شاب...).

١٣- تفعيل حلقات تحفيظ القرآن في المساجد، وجعلها محببة لنفوس النشء من خلال قوة الاستقطاب والجذب والمتابعة وحُسن المعاملة من مدرسي الحلقات.

١٤- الدعوة العامة في أماكن تجمعات الشباب (الأرصفة، الكازينوهات، الاستراحات، مقاهي الإنترنت) من خلال إلقاء الكلمات وتوزيع الأشرطة.

١٥- استغلال مواسم الأعياد في التقارب مع الشباب من خلال حفل معايدة أهل الحيّ، يحوي (مسابقات، مقابلات، تناول طعام العشاء...).

١٦- التقارب بين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعامّة الشباب، وتبني برامج لإزالة الحواجز وكسبهم.

١٧- استغلال التجمعات العائلية الدورية لعمل برامج للشباب.

١٨- من برامج ملء وقت فراغ الشباب وتنمية مهاراتهم: (دورات كمبيوتر، الدفاع عن النفس، الفروسية، الإسعافات الأولية...)، وذلك بالتنسيق مع المراكز المتخصصة وبأسعار مخفضة.

١٩- عمل رحلات عمرة دورية إلى مكة، والاستفادة من نظام العمرة الجديد.

٢٠- وجود تربويين متخصصين في مخاطبة الشباب وحلّ مشكلاتهم، وبوسائل ميسرة، مثل : (الهاتف المباشر، البريد، البريد الإلكتروني).

٢١- إصدار المجلات الشبابية التي تهتمّ بأمورهم، والعمل على نشرها بين أوساط الشباب.

٢٢- الاستفادة من مجالات النشاط في المدارس (محاضرات، مسابقات، زيارات، رحلات).

٢٣- إذا توسمت في شابّ ما أنه يحتاج أن يُعتنى به في الدعوة، إمّا لقربه من الخير، أو لكونه يمتلك مؤهلات وقدرات ومواهب يمكن أن تسخر في الخير، فاختر عدداً لا يتجاوز الأربعة من الصالحين الملتزمين، ونظموا رحلة قصيرة، فسيكون لها أثر كبير في نفسه، وكسر الحواجز بينه وبين الملتزمين.

٢٤- الزيارة الخاصة للشاب ومصارحته، والجلوس الفرديّ معه، وعرض الدعوة عليه، ومحاورته وتعهّده بمثل هذه الزيارات.

٢٥- نقله إلى محضن جديد عند بداية تغييره، حتى يقوى عوده في الالتزام.

ثانياً : في تربية الشباب الملتزمين :

١- الاهتمام بتحفيظ الشباب النصوص من القرآن والسنّة والعلوم الشرعية والأدب، لأنّهم سيكونون خطباء ودعاة المستقبل، وعدّة الداعية محفوظاته المختلفة.

٢- تفقيه الشباب الملتزمين بفقه سياسة النفس والاجتهاد في العبادة.

٣- استغلال ميدان الاعتكاف والمخيمات الصيفية في تربية الشباب على المواظبة على العبادة من نوافل وغيرها.

٤- تكوين مجموعات عمل إغاثة من الشباب بالتنسيق مع مؤسسات الإغاثة الداخلية لتوزيع الغذاء والكساء.

٥- عمل مسابقات عامّة ترصد لها جوائز ضخمة في :

- حفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه.
- حفظ أحاديث من السنّة (الأربعين النووية - مختارات من رياض الصالحين).
- تلخيص كتاب.

- بحث اجتماعي لإحدى المشكلات الاجتماعية.

مع ملاحظة أنّ كل مجال يمكن أن يتكون من عدّة مستويات.

١٣- الاستفادة من الشباب المتخصصين في مجال الكمبيوتر (الإنترنت) لدعم المواقع الإسلامية وأهل العلم الذين لهم مواقع في الشبكة.

١٤- عمل ركن متخصص في المسجد لمشاركات الشباب الثقافية والتوجيهية.

١٥- وجود حلقات علم ذات منهج علمي محدد ومبسط يتدرّج لتخريج طلاب العِلم وتربيتهم.

١٦- مصاحبة الشاب بعد أخذ قسط من التربية، وترك مجال له للانطلاق والعطاء، واستقلال الشخصية عن المربي، ونسيان فضله عليه، وعدم جعله في موقع التلميذ المتلقي دائماً.

١٧- التنويع بين التربية العلمية والعملية، ومراعاة الوسطية والاعتدال في النقد بعيداً عن القفزات المحطمة غير المدروسة في تناول بعض القضايا الفكرية.

١٨- حتى لا نخسر الشباب وننفرهم من الخير والالتزام، علينا ضبط ملاحظتنا وانفعالاتنا معهم، والمرونة في الرقابة عليهم، وفي تنفيذ البرامج معهم مثلاً نغضب من الشابّ ونهجره؛ لأنّه ذهب مع مجموعة ملتزمة أخرى فهذا خطأ.

١٩- في كسب النوعيات المختلفة من الشباب، تلاحظ مسألة الشمولية في البرامج، والاهتمام بالتربية العقلية الذهنية التي تقوي القدرات العقلية.

* * * * *

المبحث الثالث عشر
طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود

لابد للدعاة أن يعرفوا صلة الله مع دعاة الحق في كل زمان ومكان، وكيف أن الله عز وجل قد امتحن الرسل والأنبياء من قبل، وذلك عندما أوذوا – ولابد من الإيذاء – ونتذكر ما قاله ورقة بن نوفل عندما زاره الرسول ﷺ مع خديجة – رضي الله عنها – ليخبره ما جرى في جبل حراء مع جبريل الأمين فمما قاله ورقة: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذي فتلك هي سنة الله مع الدعاة إلى الحق، قال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣].

ولنذهب للوراء لنرى كيف كانت أول رسالة إلى أهل الأرض – رسالة نوح عليه السلام – فقد لاقى نوح مع سفهاء قومه المشاكل الكثيرة ومع ذلك صدع بالحق، فقد قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾ [نوح: ٣].

والنتيجة كانت العناد من قومه الذين طغت الجاهلية على قلوبهم فأهلكهم الله جميعاً، ولنذهب لنرى الخليل إبراهيم عندما أراد أن يهدم الجاهلية، ليبني على أنقاضها الإسلام الذي لا يقبل الله عز وجل سواه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقف أمامهم مخاطباً: كيف تعبدون أصناماً لا تضر ولا تنفع..؟ فالضار هو الله والنافع هو الله، إنكم قوم لا تفقهون ولا تعقلون، وقفت الجاهلية بعدتها وعتادها أمامه وأرادوا التخلص منه ومن رسالته رسالة التوحيد، فأصدروا قراراً: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

فأصدر الله عز وجل اللطيف الخبير قراراً من السماء بنصرة رسوله وداعيه: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩ – ٧٠].

فهذا هو الابتلاء ولكن دائماً وأبداً العاقبة لمن؟! للمتقين.

ولنرجع إلى الوراء ولنتذكر الداعية الرسول موسى عليه السلام، فقد رافقته المحن والمخاوف وهو صغير، حيث حاول الطاغية فرعون أن يتخلص منه، ثم بدأ يؤذيه سفهاء

قومه، فتجَلَّد حتى بلّغ رسالة ربه في تلك المحن المتلاحقة والمتنوعة، فهو الذي عانى من آلام الغربة طيلة ١٠ سنوات يعمل فيها راعٍ للغنم في صحراء الأردن، ولكن بالصبر والاستعانة والتوكل على الله كانت الغلَبة لموسى ومن معه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القمر: ٤١ – ٤٢].

وكذا حتى لعيسى عليه السلام وكذا قتل النبي يحيى وقُتِل الوالد النبي زكريا وهـذه هـي الحقيقة – طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود...

وها هو نبي الرحمة محمد ﷺ والذين آمنوا به واتبعوه، لقد ولد ﷺ بمكة وترعرع فيها وعرفه قومه منذ صغره بالصدق والأمانة، فكانت لـه الشخصية المرموقة، وأخلاقه العظيمة حيث قال عنه ربه عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

كلفه الله عز وجل بتبليغ الرسالة، وأن يصدع بالحق: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤].

فناداهم ﷺ : **«يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»**، فـأدرك أهـل الجاهليـة معنـى هذه الكلمة، ألا وهو القضاء على آلهتهم والقضاء على نفوذهم الواسع وسلطانهم الجـاهلي القبيح، ففي بداية الأمر لم يتجرأوا على قتله، بل عرضوا عليه المال، والجاه، والرياسة، ولكن رفض الحبيب ﷺ ذلك، فاللهم أجرنا وأجر علماء الأمة من فتنة الكرسي والمنصب والمـال.. اللهم آمين.

أخـذوا يفـترون عليـه؛ لقبـوه بألقـاب مفتريـات، أشـاعوا ضـد الـدعوة إشـاعات، بـل لم يتركوا بابـاً مـن المكـر والمكيـدة إلا وهـم طـارقوه، مـر بهـم ﷺ يومـاً وهـم يتحـدثون في أمره فوثبوا عليـه وثبـة رجـل واحـد وقـالوا: أنـت الـذي تقـول كـذا وكـذا؟ فيجيـبهم ﷺ بكـل ثقـة وثبـات:نعم أنـا أقـول كـذا وكـذا، وأرادوا قتلـه فـأدركهم أبـو بكـر رضـي الله عنه وانبرى للدفاع عنـه، فأخـذ يـدفع هـذا، ويجـع هـذا فيبطنـه وهـو يقول:أتقتلـون رجـلا أن يقول ربي الله؟! فلما أعيتهم الحيل اجتمعوا على عدة قرارات قالوا:

١- أن يسجن سجناً مؤبداً ولا يفك.

٢- أن يقتل على أيدي عدد من شباب قريش يُنتخبون من عدة قبائل ليتفرق دمه بين القبائل.

٣- أن ينفى من البلد.

وعندما وضعوا الخطط وأرادوا التنفيذ، كشف الله السميع القريب أسرار المؤامرة: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وفي هذا الوقت من المحن والقسوة والإيذاء للرسول ﷺ كان الإيذاء يشتد بالمؤمنين به ويعذبون بألوان العذاب، فانظر ما فعله أمية بن خلف في بلال الحبشي رضي الله عنه في بطحاء مكة ليكفر بمحمد ويعبد اللات والعزى، ما كان بلال يقول إلا: أحد أحد، فقد كان تحت عذاب عظيم ولكن إيمانه وثباته كانا أكبر من هذا العذاب، وفي مكان آخر من مكة أيضاً نرى آل ياسر يعذبون، ويفتنون ليكفروا بالإسلام، فيموت الأب تحت التعذيب وهو شيخ كبير، أما الأم الشجاعة فقد أغلظت القول على أبي جهل فطعنها لشدة جهله برمحه فقتلها؛ فهي أول شهيدة في الإسلام، وكان ﷺ يمر عليهم وهم يُعذَّبون فيقول لهم : **«صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»** [1]، مشاكل ومحن وابتلاءات للرسول ﷺ والصحابة، ولكن وسط هذه الابتلاءات أظهر الله الدين وأعز الله الأتباع حتى قامت له دولة في طيبة المدينة فطابت لأتباعه فجعل ﷺ يستقبل تلك الوفود وهم يدخلون في دين الله أفواجاً، ويسألون عن تعاليم هذا الدين.

وفي الوقت نفسه يرسل الجيوش لفتح البلاد، والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن أولاً، ومن ثَم فللمعاندين السيف، هكذا أظهر الله الإسلام وأعز أهله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

بعد موت النبي ﷺ تسلم الدعوة رجال أمناء، فما بدلوا، ولا غيروا، ولا ابتدعوا، فأخذوا يفتحون القلوب قبل البلاد، فأقبل الناس على الإسلام محبة

(١) تهذيب الأسماء للنووي.

وتقـديراً لحمَلَتِـه، لِمـا رأوا فيـه مـن عـدل ورحمـة وإنصـاف وعـدم التنـاقض، وهـي الصفات الـتي جعلـت النـاس يـدخلون في ديـن الله أفواجـاً، هكـذا حمـل الصـحابة رسـالة الإسـلام وأتبـاعهم، وحببـوه إلى النـاس ثـم كانـت تلـك القـرون هـي بحـق خـير تلـك القرون.

مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث :

لقد تنوعت المشاكل قديماً وحديثاً على الدعاة إلى الله، فإما بإيذائهم وتعذيبهم لمحاولة إيقاف الدعوة أو تقديم بعض المغريات كتقديم الأموال، والمناصب، والرياسة، أو محاولة القضاء عليها في مهدها وذلك بقتل أصحابها، ولكن دائماً كل هذه المحاولات وغيرها تبوء بالفشل، فالله عز وجل لا يجعل العاقبة إلا للرسل وأتباعهم حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ١٠].

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

أما الآن في هذا العصر الحديث مشاكل الدعوة تعددت وحيرت أصحابها، ومن أهمها:

- الجهل : وعدم تصور الإسلام تصوراً صحيحاً.
- التناقض الذي يصيب بعض الدعاة.
- الاختلاف وعدم الالتزام بين المتسبين للدعوة.
- وجود بعض الطوائف الضالة التي تعمل ضد الإسلام.
- المناهج العقيمة وآثار الاستعمار الباقية في كثير من البلاد الإسلامية.

وعلى دعـاة العصـر الحـديث أن يتقـوا الله سبحانه وتعـالى، وأقـدم نصـحي لهـم بـأن يدرسـوا تـاريخ الـدعاة الأولـين مـن الصـحابة والتـابعين، الـذين نطـق بهـم القـرآن، وبـه نطقوا، والـذين انتشـر بهـم الإسـلام، بـل علـيهم أن يفهمـوا الـدين كمـا فهمـه أصـحابه، وعلـيهم أن ينتبهـوا إلى الأسـاليب الـتي تناسـب العصـر الحـديث، وأحـوال النـاس وظـروفهم في طريقـة الـدعوة، وليعلمـوا أن الإخـلاص في العمـل هـو الأسـاس،

ولينتبهوا أن الجدل وحلاوة اللسان وسحر البيان ليس فقط يفيد في الدعوة، فالله عز وجل لا تخفى عليه خافية، فهو عز وجل يعلم السر وأخفى فهو الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

وأحب أن أضيف الصورة التي عليها المسلمين في بعض الدول الأوروبية وأمريكا على وجه الخصوص، والذين عليهم مسئولية حمل لواء الدعوة في المساجد، ففيما بينهم حروب وشجار وتفرقة وجهل، وقد وصل الأمر بهم أن ضربوا بعضهم البعض في المسجد وجاءت الشرطة غير المسلمة لتفض الشجار! هل هذه دعوة؟! نعم هذه دعوة ولكن دعوة للشيطان وللتفرقة وللخزي، ونسأل الله السلامة.. وكذلك وجود بعض الطوائف الضالة والتي تحمل اسم الإسلام ومن الأمثلة على ذلك:القاديانية وهم في أمريكا، والشيعة والصوفية، فهؤلاء قد نزلوا ميدان الدعوة للإسلام على غير هدى من الله ولا بصيرة، لذا فإنه على علماء الإسلام والدعاة إلى الله أن يعملوا على هدى الكتاب والسنة، وأن ينزلوا للميدان ويبينوا للعوام مفاسد هذه الفرق، وكفاهم أنهم قد كذّبوا نصوص القرآن والسنة، ومنهم من سبّ الصحابة، وكفّر العلماء كابن تيمية، وابن القيم وغيرهم.

وكذلك أيضاً من الأمور المهمة التي يجب أن ننبه عليها :

المناهج العقيمة التي تدرس لأبناء المسلمين وخصوصاً للدعاة، فقد أصبح طالب العلم يتعلم العلم، الذي هو المناهج الخالية من الكتاب والسنة، ومن أصول الدين وفروعها التي جاء بها الشارع، ففي مادة الفقه على سبيل المثال أصبح على الطالب دراسة أوجه الاختلاف بين الأئمة ودراسة منهجهم حتى أصبح لا يستطيع أن يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة وهما المصدران للتشريع الإسلامي.

في الواقع إن انحراف المنهج التعليمي ليس وليد العصر الحديث، بل راجع إلى القرون التي خلت فنسمع العلامة ابن القيم من أعلام القرن السابع الهجري يتحدث عما أصاب المسلمين من انحراف عن الكتاب والسنة وهو يقول: لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما وعدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستفتاء وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك كدر في أفهامهم،

ومحق في عقولهم، فقامت فيهم البدع مقام السنة، والهوى مقام الرشد والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مكان العلم، ثم قال رحمه الله : فإذا رأيت في دولة هذه الأمور وراياتها قد نصبت، وجيوشها قد رُكِّبت، فبطن الأرض والله خير من ظهرها، وقال: الجبال خير من السهول ومخالطة الوحش خير من مخالطة الناس، والله المستعان[1].

الوعي بالواقع ودوره في إحياء الأمة :

الوعي بالواقع أو ما يمكن أن نطلق عليه "فقه الواقع" علم أصيل، تبنى عليه كثير من العلوم والأحكام، وفي ضوئه تتخذ المواقف المصيرية.

تعريف فقه الواقع :

هو علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل[2].

*** العوامل الداعية إلى الاهتمام بفقه الواقع : -**

أ - استجابة لأمر الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وصحابته الكرام: -

- فأما أمر الله: يقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥]، ومن فقه الواقع استبانة سبيل المجرمين، ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم، لهذا جاءت كثير من الآيات مفصلة ومبينة سبيل أعداء الله، وفاضحة لمآربهم وغاياتهم، أما السنة فقد حفلت بكثير من الوقائع والشواهد، التي تدل على عناية المصطفى ﷺ بهذا الجانب.

فها نحن نراه ﷺ يوجه المستضعفين من صحابته بالهجرة إلى الحبشة، وهذا برهان ساطع على معرفته ﷺ بما يدور حوله، وأحوال الأمم المعاصرة له.

---

(١) أضواء على طريق الدعوة للدكتور محمد أمان بن علي الجامي ٢٢٤.

(٢) فقه الواقع د. ناصر العمر، وانظر(فقه الواقع أصول وضوابط) للأستاذ أحمد بوعود كتاب الأمة عدد ٧٥.

فلماذا لم يرسل الصحابة إلى فارس أو الروم أو غيرهم؟ ولماذا اختار الحبشة؟ يبين ذلك ﷺ بقوله: **«إن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد»** وفي السيرة النبوية أمثلة كثيرة تبين اهتمام النبي ﷺ بالواقع المحيط به ﷺ، أما عن أهتمام الصحابة الكرام به فيقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لست بالخب ولا الخب يخدعني"أي لست بالماكر المخادع – وحاشاه عن ذلك – ولكنه لا يمكن أن يخدعه الماكر المراوغ.

ويقول عبد الله بن مسعود: "رحم الله امرأً عرف زمانه فاستقامت طريقته".

ويذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره أن فقه المسلم لواقعه من لوازم معرفة (لا إله إلا الله) على معناها الصحيح، ولم لا ؟ وبفقه الواقع يكتمل مبدأ تحقيق الولاء والبراء، وهذا المبدأ أصل من أصول عقيدة التوحيد التي جاءت بها (لا إله إلا الله)(١).

ب – إنه سبيل إلي تكوين فقهاء التمكين: – وذلك أنه في هذه الأيام التي لا نزال نتلمس فيها طريق النهضة وطريق التغيير، نحن بحاجة إلى مفكرين (فقهاء) وبالمعنى العام لكلمة (فقه) وهي : الفهم العميق للإسلام، كما دعا رسول الله ﷺ لابن عباس: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**.

نحن بحاجة إلى فقهاء علماء يعرفون سنن التغيير وأمراضنا الاجتماعية وواقعنا وواقع غيرنا تمام المعرفة، وما هي الخطوات المرحلية التي يجب أن نبدأ بها، إن مشكلة (المسلم) لا تحل إلا بتحديدها تحديداً دقيقاً، والتفكير فيها، وهذا لا يؤتاه إلا (أولو الألباب) وعندما ذكر القرآن الكريم أن عشرين من المؤمنين يغلبون مائتين من الذين كفروا قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر: ١٣].

ولذلك قال عبد الله بن مسعود يصف بعض المظاهر في آخر الزمان : (يكثر الخطباء ويقل الفقهاء)(٢).

---

(١) فقه الواقع د. ناصر العمر.

(٢) صناعة الفكر مجلة البيان عدد ٢٨.

ولتكـوين "أولـي الألبـاب"تحتـاج إلى علـم ووعـي بـالواقع"ذلـك أن علـوم فقـه الواقـع اليـوم أشـبه بـالحواس والنوافـذ العقليـة للفئـة الـتي تسـعى للـتمكين لـدين الله عـز وجـل، والفئـة الـتي تفتقـد المعرفـة بفقـه الواقـع في عـالم اليـوم فئـة تعـيش فيمـا يشـبه مدارس الصم والبكم.

ومن هنا نقول: إن النفرة للتخصص في شعب المعرفة، وإحياء الفروض الكفائية، والنزول إلى الميدان والانخراط بالمجتمع هو من فقه الدين قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

لـذلك نقـول: إن الانخـراط في المجتمـع، والانـدماج فيـه، والتعـرف علـى مكوناتـه ومؤثراتـه، ودراسـة الظـواهر الاجتماعيـة، ومعرفـة أسـبابها، والمسـاهمة في دوائـر الخـير، ومحاولـة التوسع فيهـا، علـى هـدى وبصـيرة، وعـدم تشـكيل أجسـام بعيـدة عـن المجتمـع، منفصـلة عنـه، وإقامـة هياكـل وكيانـات وخيـام خـارج المجتمـع والحيـاة، أو السـير خلـف المجتمـع ورصـد تصـرفاته والحكـم عليهـا، بـدل الـدخول في المجتمـع وإغرائـه بفعـل الخـير، هو سبيل الخروج ومعاودة إخراج الأمة من جديد.

وكل ذلك لا يتأتى إلا بعلم وفقه الواقع، لقد أصبح "الوعي بالواقع"، أو" فقه المجتمـع"، علم لـه أدواته ووسائل قياسه، بـل نسـتطيع أن نقـول: إنـه أصـبح خلاصـة لمجموعـة علـوم إنسانية واجتماعية وتاريخية، ولم تعد تنفع معه النظرة العابرة، أو الملاحظة الآنيـة، أو الأُمنيـة المخلصة.

وقـد لا نكـون بحاجـة إلى التأكيـد علـى أن علـوم فقـه الواقـع تتقـدم بسـرعة، وتتأصـل بشـكل مـذهل، وتتشـعب إلى شـعب تخصصـية دقيقـة، في محاولـة لتغطيـة جميـع مسـاحات الحيـاة.. ففـي علـم الاجتمـاع والمجتمـع بـات هنـاك علـوم اجتمـاع متنوعـة بحسـب موضـوعاتها في الميـادين السياسـية والاقتصـادية.. وعلـوم الإنسـان بلغـت شـأوًا، وبـدأت تضـع يـدها علـى حقـائق لا يمكـن تجاهلـها ولا تجاوزهـا.. وعلـم الـنفس يتقـدم ليدخل المواقع كلـها، ويحتـل مكانـه، ويـدلي بشـهادته علـى كـل حالـة، ولعلنـا نقـول: إنـه

تجاوز إمكانية قراءة الحاضر إلى محاولة صناعة المستقبل، وتحضير الناس له بزرع اهتماماتهم وتشكيل أهدافهم.

حتى إنه يمكن القول بأن وسائل وأدوات سبر حقيقة المجتمع، وكشف خفاياه، ومعرفة واقعه، وتحديد وجهاته، أصبحت علوماً، فعلم الإحصاء وحصر الإمكانات والاستطلاعات والمسح والبحث الاجتماعي بوسائل منهجية للتقويم والقياس لم يعد أرقاماً جامدة، وإنما يعبر عن مؤشرات ويحمل دلالات لا يمكن تجاهلها عند أي دراسة أو تخطيط أو تجديد أو تنمية للموارد البشرية والمادية.. فلم يعد علم الإحصاء أداة ووسيلة، وإنما أصبح مقوماً لا يمكن تجاوزه.

حتى إن استطلاع الرأي والتعرف على التحولات الاجتماعية وأسبابها، أصبح علماً وفناً، لا يقتصر على قراءة الحاضر وإنما يتجاوز إلى التأثير فيه والتوجيه له.

وليست الاستبيانات وفنية وضعها وما يطرح فيها من أسئلة، وما يتوصل إليه من نتائج، بأقل شأنًا في فقه الواقع وامتلاك مفاتحه، والدخول إليه من أبوابه، بعيداً عن المجازفات والخبط الأعشى[1].

وفي دول الغرب الآن نجد أن السر في قوتها (هو تكامل الفكر والسياسة، واعتماد رجال التخطيط والتنفيذ في دوائر السياسة والإدارة على ما يقدمه رجال الفكر العاملون في مراكز البحوث والدراسات خلال اللقاءات الدورية التي تجمع بين الفريقين لمناقشة وتقويم القضايا الداخلية والخارجية، ففي بلد كالولايات المتحدة هناك حوالي تسعة آلاف مركز بحوث ودراسات متخصصة في بحث شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والتربية)[2].

ج - الوعي بالواقع:

تتبني حركة الإحياء الإسلامي التي تسعى للتمكين لدين الله في الأرض سياسة فتح الملفات، وسياسة فتح الملفات في الواقع هو أننا نقوم بفتح ملفات

---

(١) الأستاذ عمر عبيد حسنة مقدمة كتاب الأمة (فقه الواقع أصول وضوابط) عدد٧٥.
(٢) ماجد عرسان الكيلاني (هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس) ٢٨٢.

للموضوعات الهامة والشائكة التي تواجه الأمة وتواجه الفئة المسلمة، ونترك هذه الملفات مفتوحة لاستيعاب المستجدات الطارئة والمتغيرات الحادثة في مثل هذه العقبات والتحديات، والهدف من فتح الملفات هو "حل المغاليق المختلفة التي تواجه العمل الإسلامي و"اكتساب للخبرة اللازمة للعمل الإسلامي للتعاطي وفق المتغيرات المختلفة"حتى يستطيع العمل الإسلامي مواكبة المتغيرات وبإذن الله يكون هو البادئ بصناعة الحدث وليس المستقبل له، فضلاً عن ضرورة تواجد "العمل الإسلامي"في ساحة العمل، وحتى لا يفاجأ العمل الإسلامي بمشاكل لم تكن في الحسبان عند الوصول إلى التمكين بإذن الله، والملفات التي ينبغي أن تفتح كثيرة ومتجددة حسب حاجة العمل الإسلامي فهي ليست ملفات ورقية، ولذلك فسياسة فتح الملفات ينبغي أن تكون سياسة عملية وليست نظرية وإن كان الدور النظري له بعد ليس بالهين، ولكن البُعد الواقعي في فتح الملفات يضفي على فتحها مصداقية ويساعد في إيجاد الحلول الصحيحة بعيداً عن التنظير الأجوف، وعلى سبيل المثال فعند فتح ملف (للنصارى) في البلدان التي تعلو فيها وتيرة الصراع مع النصارى والصراع الطائفي مثل مصر والسودان ولبنان وغيرها من الدول على سبيل المثال ينبغي أن نكون متابعين لآراء وشبهات النصارى من خلال مواقعهم، ومن خلال غرف البالتوك المختلفة والتعرف على شبهاتهم التي يثيرونها بين الفينة والأخرى، والتعرف على مؤسساتهم وتواجدهم في الأحزاب وتسليحهم ودرجة استفزازهم للمسلمين، ومثل ذلك الخطاب العلماني والتطور الحادث فيه ونوعه إن كان خطاباً واضحاً غير ملتبس أو خطاباً ملتبساً مموهاً غير واضح، وذلك حتى لا تخدع الفئة المسلمة وهي لا تدري أو يسرق كفاحها، نتيجة غفلة أهل الحق عن تدبير وسوء أهل الباطل، وقس على ذلك باقي الملفات التي ينبغي أن تفتح، ولا شك أن هذا يتطلب من العاملين للإسلام (امتلاك القدرة على فقه التعامل مع المجتمعات، والانفتاح المتزن أكثر، وفتح منافذ جديدة للدعوة، وامتلاك قدر أكبر من المرونة، مع الإبصار الكامل والدقيق والأمين للأهداف، والتقدير للإمكانيات.. ولا يعني هذا بحال من الأحوال أن يكون دعاة الإسلام دماً جديداً في قوة الباطل،

أو أن يوظف الإسلاميون لغير الأهداف الإسلامية، وإنما يعني: النزول إلى الساحة، وفهم واقع الناس؛ حتى يجيء الأخذ بيدهم ثمرة لهذا الفهم، ذلك أن الناس هم محل الدعوة، وهم جديرون بالشفقة والإنقاذ[١].

ويحتاج علم الوعي بالواقع وفقهه إلى شيئين مهمين:

أ - سعة الاطلاع: - نظراً لتشعب هذا العلم وشموله، فيحتاج المتخصص فيه إلى كثير من الفنون، سواء العلوم الشرعية كالعقيدة والفقه، أو العلوم الاجتماعية كالتاريخ، أو العلوم المعاصرة كالسياسية والإعلام، وهلم جرا. وإذا قصر في أي علم من هذه العلوم أو غيرها مما يحتاج إليه، فسينعكس ذلك سلباً على قدرته على فقه الواقع، وتقويم الأحداث، والحكم عليها.

ب - التجدد والاستمرار: فهذا العلم يحتاج إلى قدرة فائقة على المتابعة، والبحث في كل جديد، فهو يختلف عن كثير من العلوم - كما بينت آنفاً - لذا يلزم المتخصص أن يكون لديه دأب لا يكل في متابعة الأحداث، ودراسة أحوال الأمم والشعوب، فلو انقطع عنه فترة من الزمن أثر على تحصيله، وقدرته في فهم مجريات الأحداث وتقويمها. فهو أشبه بالطبيب الذي يلزمه أن يتابع كل جديد في مهنته، فلو أن طبيباً تخرج في الجامعة منذ عشر سنوات، بقي يعالج الناس من خلال دراسته الماضية، دون النظر لما استجد من مخترعات في وسائل العلاج، وما اكتشف من أدوية، لأصبح طبيباً متخلفاً عن الركب، فجديد اليوم يصبح قديماً في الغد وهكذا.

ولا أبالغ إذا قلت: إن الذي ينقطع عن متابعة الأحداث بضعة أشهر يحتاج إلى فترة مكثفة ليتمكن من ملاحقة الأحداث من جديد، وبخاصة في عصرنا الحاضر، الذي أصبح فيه العالم كقرية واحدة صغيرة، ما يقع في شرقه يؤثر يومياً في غربه، وإذا وقع حادث ذو بال في أمريكا أثر على أسواق اليابان في اليوم نفسه، وارتفاع الأسهم في (وول ستريت) بلندن، يؤثر على قيمة الفول في البرازيل[٢].

---

(١) د. محمد محمد بدري (تحت راية أهل السنة والجماعة).

(٢) فقه الواقع للشيخ ناصر العمر، ورغم كونه مبحثاً صغيراً في الحجم إلا أنه يحوي فوائد كثيرة جداً.

* الآثار المترتبة على تجاهل فقه الواقع :

إذا تجاهلت الواقع تمامًا فربما فاتك:

١ – سد الذرائع:

وهى قاعدة أصيلة وركن ركين من أركان الشريعة[١]، كذلك وقعت في كثير من الزلل بسبب عدم النظر في المآلات والنظر في المآلات معتبر شرعًا وبه تصح الفتوى[٢].

٢ – اعتبار المناط الخاص:

فكل رسول يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك لـه وإيجاب الفرائض والنهى عن المحرمات. وهناك محرمات أبدية خالدة لا تختلف من رسالة إلى أخرى، وهناك فرائض لا تخلو منها رسالة، ومع ذلك نجد أن القرآن يركز على قضايا معينة في رسالات معينة. والرسول من غير شك في سبيل بيان القواعد الشرعية يتناول كل المحرمات وكل الفرائض ويضعها في مكانها الصحيح في نطاقها الديني، وفي معالجة الانحرافات الواقعية ينشغل بقضايا معينة هى الانحرافات القائمة بالفعل وليس غيرها بحيث تكون هى ودعوة التوحيد صلب حواره معهم، وذلك في مثل قولـه تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ [هود: ٨٤ – ٨٦]، ومثل هذا مع قوم لوط، مع اختلاف الانحرافات.

ويقول الشاطبى في "الموافقات": «فمن ذلك أن النبـى ﷺ سئل في أوقات مختلفة عن أفضل الأعمال وخير الأعمال وعرف بـذلك في بعض الأوقات من غير سؤال فأجاب بأجوبة مختلفة، كل واحد منها لو حمل على إطلاقه أو عمومه لاقتضى مع غيره التضاد في التفضيل».

(١) راجع إعلام الموقعين لابن القيم

(٢) راجع الموافقات، الجزء الرابع.

ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام: سئل أي الأعمال أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»، وسئل ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة لوقتها**». قال: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

وفي النسائي عن أبي أمامة: أتيت النبي ﷺ فقلت: مرني بأمر آخذه عنك، قال: «**عليك بالصوم فإنه لا مثل له**»، وفي الترمذي: أي الأعمال أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»، وفي البزار: أي العبادة أفضل؟ قال: «**دعاء المرء لنفسه**»، وفي الترمذي: « **ما من شيء أفضل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من خلق حسن**»، وفي الصحيح: «**وما أعطى أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر**»، وفي الترمذي: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»، وفيه: «**أفضل العبادة انتظار الفرج**»، إلى أشياء من هذا النمط جميعها يدل على أن التفضيل ليس بمطلق، ويشعر إشعارًا ظاهرًا بأن القصد إنما هو بالنسبة للوقت أو إلى حال السائل؛ وقد دعا عليه الصلاة والسلام لأنس بكثرة المال فبورك له فيه وقال لثعلبة: «**قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه**»، وقال لأبى ذر: «**يا أبا ذر إنى أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي؛ لا تأمّرنّ على اثنين ولا تولّينّ مال يتيم**»، ومعلوم أن كلا العملين من أفضل الأعمال لمن قام فيه بحق الله، وقد قال في الإمارة والحكم: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن**»، وقال: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**»، وفي الصحيح: أن أناسًا جاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «**وقد وجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**ذلك صريح الإيمان**»، وفي حديث آخر: «**من وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله**»، وعن ابن عباس في مثله قال: «إذا وجدت شيئًا من ذلك فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»، فأجاب بأجوبة مختلفة والعارض كله واحد.

وقبل عليه الصلاة والسلام من أبي بكر ماله كله، وندب غيره إلى استبقاء بعضه وقال: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**»، وجاء آخر بمثل بيضة من الذهب فردها في وجهه. وعن أبى رجاء العطاردى قال: قلت للزبير بن العوام: ما

لى أراكم يا أصحاب محمد من أخف الناس صلاة ؟ قال: نبادر الوسواس. هذا مع أن التطويل مستحب ولكن جاء ما يعارضه»[1]، ويعرف الشاطبى هذا المناط الخاص فيقول: «هو نظر في كل مكلَّف بالنسبة إلى ما وقع عليه من الدلائل التكليفية؛ بحيث يتعرف منه مداخل الشيطان ومداخل الهوى والحظوظ العاجلة حتى يلقيها - يقصد التكاليف - هذا المجتهد على ذلك المكلَّف مقيدة بقيود التحرز من تلك المداخل، هذا بالنسبة إلى التكليف المنحتم وغيره، ويختص غير المنحتم بوجه آخر: وهو النظر فيما يصلح بكل مكلَّف في نفسه بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص؛ إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزان واحد كما أنها في العلوم والصنائع كذلك»[2].

جـ - تجاهل الواقع ربما أدى إلى تقديم الإسلام للناس في صورة نظرية مجردة لا ترتبط ارتباطاً وثيقًا بالحياة والسلوك اليومي، وهذا على العكس من طريقة القرآن: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، الذى أخرج للناس عقيدة من خلال حركة الجماعة وأحداثها وصراعها مع غيرها ونموها وتفاعلها مع نفسها وغيرها.. وأخرج للناس جماعة من خلال تأصيلات العقيدة وتوجيهاتها.

فربط بين الحدث والتوجيه ربطًا دقيقًا مع الحفاظ على تجرد توجيهات العقيدة وقوة تأصيلها إذا ما أردت أن تستخلصها من التنزيل. وهذا أمر في منتهى الأهمية[3].

تم بحمد الله.

---

(١) الموافقات، جـ٤، ص ٩٩ - ١٠٣. بتصرف يسير.

(٢) الموافقات، جـ٤، ص ٩٨.

(٣) من مقدمة كتاب "حد الإسلام وحقيقة الإيمان "للشيخ عبد المجيد الشاذلي.

الخاتمة

وحتى لا تغرق السفينة

لنعِ جميعا أن الدعوة الإسلامية ليست لخدمة الإسلام عقيدة وشريعة فحسب، بل أصبحت ضرورة سياسية دفاعاً عن العرب والمسلمين، ومصاولة لأعدائهم الكثيرين، ونشراً للغة القرآن الكريم، كما أنها أصبحت ضرورة اجتماعية وضرورة ثقافية، إن رفع الناس إلى مستوى الوحي (مستوى الفهم والتنفيذ) جهد هائل لا يقدر عليه إلا الأقلون، وأجدني محزوناً لأن قدرات المسلمين المادية والأدبية دون مستوى كتابهم بمراحل...

يقول أبو حامد الغزالي: (إن العقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء، ولن يغني أساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس)... إذاً يستحيل أن يصدم عقل صحيح بنقل صحيح، بمعنى آخر أنه لا تعارض بين النقل والعقل، ويوضح النص القرآني الذي يقول الله فيه آمراً رسوله وأتباعه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وإنه لجدير بنا أن نتبصر وأن نتذاكر، وأن يعظ بعضنا بعضاً فيما يتعلق بشئون دعوتنا والقيام بها، وجميعنا في زحمة المشاغل والعمل قد ينسى عيوبه أو بعض أخطائه، وقد يفوته الوقت لتدارك نقائصه، وكل بني آدم خطَّاء، ونحن لا نخلو من النقائص والعيوب أبداً، فجدير بنا أن نتحادث وأن نتذاكر فيما يقربنا إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ونحتسب عند الله عز وجل ما نقضيه من الأوقات ونحن نعظ أنفسنا وإخواننا، ونرقق قلوبنا لنعرف في أي طريق نسير، وما هي المعالم التي يجب أن نسلكها، وما هي الأخطاء التي يجب أن نتجنبها. نحن ننتمي إلى الإسلام، وهذا الانتماء هو الذي شرفنا الله تبارك وتعالى به وسمانا به. ورسولنا ﷺ هو إمام الدعاة، وهو القدوة والداعية المعلم الذي أمر الله تبارك وتعالى باقتفاء نهجه، وأن نتأسى به في دعوتنا وخلقنا ومعاملاتنا وعباداتنا وكل حال من أحوالنا، أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]،

كان الرسول ﷺ المثل الحي لأصحابه، كان كما وصفته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها (كان خلقه القرآن) ما كان في القرآن من خلق فهو في النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكانت حياته ﷺ ترجمة واقعية حية لما ينزله عليه الروح الأمين من عند ربه – تعالى – من الآيات البينات في التوحيد، والإخلاص، واليقين، والتوكل، والصبر، والجهاد، والمصابرة في الدعوة، والمثابرة في العلم، وفي المعاملة، والمعاشرة، والرفق، والحلم؛ كما أثنى عليه تبارك وتعالى في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]. فمن اتبع النبي ﷺ، فهو بمقتضى هذه الآية لا بد أن يتخلق بخلقه ﷺ في الدعوة إلى الله.

الاقتداء بالنبي ﷺ في أخلاقه وحين نتكلم عن أخلاق الداعية لا يعني ذلك أن تهمل الصفات الأساسية التي لا بد منها للداعية كالعلم؛ فقد تضمنته هذه الآية، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ولا بصيرة بغير علم أبداً! فالعلم هو الذي ينير للإنسان الطريق، ويجعله يعبد الله على بصيرة، ويدعو إلى الله تبارك وتعالى على بصيرة. ولما أثنى الله تبارك وتعالى على أئمة الهدى من بني إسرائيل، الذين أورثنا الكتاب من بعدهم قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤]، فوصفهم الله تعالى بصفتين عظيمتين لا بد منهما لكل داعية:

أولاهما: الصبر بكل ما تحتمله هذه الكلمة من معنى، فلا داعية بلا صبر، ولا دعوة بلا صبر، فطلب العلم يحتاج إلى صبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمعاملة مع الخلق، كل ذلك لا بد فيه من الصبر، وكل حياة الداعية بل حياة كل مسلم لا بد فيها من الصبر، بل كل حيٍّ لا بد أن يصبر وإلا لن يعيش! وكلما اتصف الإنسان بهذا الخلق كلما حقق ما يريد، وإن كان عرضاً من أعراض هذه الدنيا الفانية الزائلة؛ فبالصبر يحقق الإنسان ما يريد، فكيف بالداعية الذي يسعى إلى أسمى غاية وأشرف مقصد؟

ثانيهما: اليقين، هذه الخلة الكريمة لا تكون إلا في عباد الله المخلصين المتقين العالمين العاملين، الذين عرفوا ربهم – عز وجل – حق معرفته، وقدروه حق قدره، وآمنوا بكتابه، وبرسوله ﷺ، وأصبح عالم الغيب الذي يقرأونه في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ كأنه عالم شهادة بين أيديهم!! هذا هو اليقين، ويتفاوت الناس في اليقين؛ وبتفاوتهم في اليقين والصبر، يكون تفاوتهم في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وحسن الخُلق لا بد منه لكل مسلم، وأي

مسلم ينتسب إلى الإسلام وإلى نبي الإسلام ﷺ لابد أن يكون متحلياً بأخلاق الإسلام، فإذا كان المسلم - أياً كان - لا بد أن يكون كذلك، فكيف بالداعية الذي يمثل خلاصة هذه الأمة، والذي يرث ميراث النبوة، ويقوم بمقام النبي ﷺ ويبلغ دعوته ﷺ، ويحيي سنته ويرد الناس إليها؟! هذا لا بد أن يجتمع فيه من كمال الخلق ما لا يجتمع في غيره، وما لا يكون فيمن هو دونه في ذلك؛ ولذلك كان أصحاب النبي ﷺ في قمة الأخلاق في هذه الأمة كما كان نبيهم ﷺ؛ لأنهم تأسوا به. وكلما كان الداعية مقتدياً ومتأسياً بهم، كانت دعوته أنجح، وكان نجاحه أرجى وأقرب، وكان تعلق المدعوين واستجابتهم له أرجى وأقرب والاقتداء بالنبي ﷺ في سيرته، وهي بحق الصفحة الجلية التي نتعلم منها ونرى فيها هذه الأخلاق النبوية الكريمة، والصحابة الكرام عايشوا هذه السيرة معايشة عملية، ونحن نستطيع أن نعايشها بأرواحنا وقلوبنا إذا اطلعنا وقرأنا سيرة النبي ﷺ، ووجدنا كيف كانت معاملته وأخلاقه ﷺ مع الكفار، والمنافقين، والعصاة، ومع المتقين، والمحسنين؛ فسيرته ﷺ - من أولها إلى آخرها - هي مثالٌ حيٌّ للأخلاق التي يجب أن يكون عليها من يدعو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما يؤدي إليه جهل الداعية بالسيرة إن جهل الدعاة بسيرة النبي ﷺ يجعلهم يدعون على غير بصيرة، ويتخلقون بغير خلقه ﷺ، وما نراه اليوم بين الدعاة إلى الإسلام من تفرق، ومن عدم اجتماع كلمتهم على منهج واضح محدد، إنما سببه النقص في قراءة سيرته ﷺ، والتأسي بها وتطبيقها قولاً وعملاً، هذا أكبر ما يبين لنا هذا الواقع التي تعيشه الدعوة الإسلامية اليوم. ونحن كدعاة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد نحيل - وهذا مما يصوره الشيطان دائماً - ضعفنا أو فشلنا أو إخفاقنا في الدعوة إلى العوامل الخارجية: إلى الفساد، أو إلى آخر الزمان، أو إلى أن الناس لا يريدون الحق، أو إلى أي عامل خارجي، ولا نتذكر - إلا قليلاً - أن السبب الأساس هو في قلوبنا نحن، وفي أخلاقنا وتعاملنا مع الناس.

بمعنى آخر: إذا كان لي جار أو قريب أو زميل، وهو مستمر على معصيته، ومستمر في بعده عن سنة النبي ﷺ، إما في الاعتقاد وإما في الأعمال والسلوك والأخلاق، فلا بد أن أسأل نفسي: هل أنا داعية على منهج النبي ﷺ، مع أنه يجاورني هذا الجار أو هذا القريب أو الزميل، وعلى الإسلام، وهو مثلي حريص على أن يقتدي بالنبي ﷺ، أو يتظاهر بذلك على

الأقل، ومع ذلك بيني وبينه هذه الفجوة العميقة، ومع ذلك لا أرى أنني حاولت أن أحسِّن من وضعه، فمن أتهم؟ نعم هناك قلوب طبع الله عليها، وهناك أقوام لن يصلحوا، كتب الله عليهم الشقاوة؛ لكن قبل أن أحكم – لأن هذا من أمر الغيب – بأن هذا لن يجدي معه شيء، أتهم نفسي أولاً، وأتهم أخلاقي، وطريقتي معه في الدعوة إلى الله، فلو نظرنا إلى النبي ﷺ وإلى الصحابة الكرام؛ لوجدنا أمراً عجيباً في الخلق الحسن والتعامل الذي يجذب الناس ويجبرهم على أن يدخلوا في دين الله أفواجاً.

شمولية الاقتداء بالنبي ﷺ وقبل أن نوضح هذه القضية ونجليها، لا بد أن نشير إلى موضوع مهم، وإلى تنبيه قد يخفى على كثير من الناس، وهو أنهم يظنون أننا عندما ندعو إلى أخلاق النبي ﷺ، أو نأمر بمنهج النبي ﷺ، أو يسمعون من يعظ بذلك، يظنون أنه يراد بذلك كله اللين، الرفق، الحلم، العفو فقط، ولا شك أن النبي ﷺ هو أحلم الناس وأرفق الناس، وأن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، وأن بالرفق ينال الإنسان ما لا ينال بالقسر والقهر، وفي سيرته ﷺ نماذج عجيبة للحلم والرفق والعفو والصفح؛ لكن ليس هذا وحده هو الذي ينبغي أن نعلم أنه منهج النبي ﷺ، وهذا يضعنا على مفرق الطريق، وعلى سبب من أسباب الاختلاف في مناهج الدعوة إلى الله في هذا الزمان. إن هذا الدين أنزله الله – تبارك وتعالى – منهجاً متكاملاً أكمله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسيرة النبي ﷺ سيرةٌ متكاملة بجميع جوانبها، فإذا أُخذ منها جانب واحد فقط وإن كان حقاً لأنه من الدين ولأنه من أخلاقه ﷺ – لكن إذا أضيع الآخر أو أهمل بالكلية، فإن هذا يؤدي أولاً إلى الخلاف والشقاق بين المسلمين، والتنازع في أمور الدين، وهذا هو سبب إساءة كثير من الدعاة لمعنى الحكمة، ولمفهوم الحكمة التي أمر الله بها، فلا يفقهون من الحكمة إلا الرفق واللين، والرفق واللين نصف الحكمة الذي لا ينبغي أن يترك، لكن لها نصف آخر لابد منه، يوضحه منهج النبي ﷺ وواقعه، ولا حكمة عند أحد بعد حكمته ﷺ.

الاقتداء بالنبي ﷺ في كيفية عرض الحق كان ﷺ إذا خطب الناس كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، فهو عندما يخطب ويعرض الحق يعرضه بقوة، وبانفعال، وبحماس، وهكذا يجب أن يكون الداعية إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في المواقف التي وقفها النبي ﷺ، بهذه القوة، وبهذا الانفعال والتفاعل مع من يعرض، يكون هذا شأنه وهذا دأبه. النبي ﷺ لم ينتقم

لنفسه قط، لكن إذا انتهكت محارم الله – عز وجل – فإنه ﷺ يثور ويغضب، ويظهر أثر ذلك على وجهه ﷺ حتى يقرأه الصحابة وكل من يراه،، لو فرضنا أن النبي ﷺ خطب يحذر الناس من الزنا، سوف يخطب بهذا الانفعال وبهذه القوة، وكيف لا وهو يحذر من هذه الفاحشة النكراء، التي نهى الله عنها وحذر منها، ولا يفعلها مؤمن حق الإيمان إلا ويرتفع الإيمان منه في تلك اللحظة حتى يكون كالظلة لكن كيف كان النبي ﷺ يعامل من يأتيه فيقر أمامه بالزنى؟ أو من يأتيه يسأله أن يُحِل له الزنا؟

الاقتداء بالنبي ﷺ في التعامل مع المذنبين في التعامل نجد للأمر صورة أخرى، ولا تناقض بين الصورتين، ففي التعامل يأتيه ماعز، أو تأتيه الغامدية يقران بالزنا، ولكن يقول ﷺ : **«لعلكِ لعلكِ، ارجعي»**، ومرة بعد مرة، حتى يقام الحدّ، وما كاد يفعل ﷺ!! يأتيه الرجل يريد أن يبيح له الزنا! فيقول له: **«أترضاه لأمك؟! أترضاه لأختك؟!»** يردعه ويزجره ولكن بأسلوب هادئ، بألطف أسلوب يدخل إلى القلوب، فيرجع الإنسان وقد لام نفسه هو وعاتبها على أنَّ نَازِع الشهوة ودَافِع المعصية وجد فيها، لما يرى وما يبهره من حسن أخلاق هذا الداعية العظيم ﷺ.

الاقتداء بالنبي ﷺ في التعامل مع الجاهلين كان النبي ﷺ يحب الطهارة ويأمر بها، ويكره النجاسة وينهى عنها، ولَّما مر على صاحبي القبرين، ذكر أن أحدهما كان لا يستبرئ من البول، وأعظم ما كان يقدسه المسلمون ويعظمونه بيوت الله عز وجل على ترتيبها في الفضل، ومسجده ﷺ معروفة منزلته في الفضل، ومع هذا يدخل مسجده ﷺ ذلك الرجل الأعرابي ويبول في ناحية منه، وهنا تبرز طبيعة التعامل بين الداعية والمدعوين، والنبي ﷺ بُعث ميسراً وبُعث معلماً، ولم يبعث منفراً، بل أمر أصحابه بذلك، ويقول: **«يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»** وذلك عندما بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن. الرجل فعل هذه الفعلة! وفي هذا المكان الطاهر!! فثار أصحاب النبي ﷺ عليه، لماذا؟ ثاروا لله – عز وجل – لأن هذا العمل لا يقره إنسان في هذا المكان، ولكن النبي ﷺ لحسن خلقه وتعامله الكريم، وحلمه وصفحه ينهاهم أن يقطعوه، ويأمرهم أن ينتظروا حتى ينتهي؛ فلما انتهى الرجل، أمرَ بماء فصُب عليه، ثم جاء هذا الرجل وأقبل إلى النبي ﷺ، حتى أنه لما صلى قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، (سبحان الله!) لا يريد أن يرحم الله إلا هو والنبي

ﷺ؛ لأنهم ثاروا عليه وهم أصحاب النبي ﷺ. فهو قليل العلم والإيمان لما يدخل في قلبه، ولكن تأثره بالموقف جعله يدعو لمن أحسن في معاملته، ولمن جعله يقضي حاجته، رغم أنها فعلة شنيعة في ذلك المكان، ولكن نظرته إلى الصحابة الكرام كانت غير ذلك، ولهذا قال له النبي ﷺ : **«لقد حجرت واسعاً»**، (ضيق رحمة الله الواسعة)، ولم يقره على ذلك، لكن الغرض قد حصل وهو أن هذا الرجل أقبل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولو أن النبي ﷺ أقر الصحابة على تنفيره أو فعل مثلهم - وحاشاه ﷺ أن يعمل عملاً غير حكيم - لذهب الرجل ولفر الرجل في المسجد ونجس بقعاً كثيرة، ويلقي النجاسة على ثيابه أيضاً، ولا يقبل على الدعوة ولا يصلي، وقد يرتد عن الإسلام بالكلية أي أن هناك مفاسد كبيرة. هذه القاعدة يجب أن نضعها في أذهاننا: أن نجذب الناس، وأن نحرص على أن نجذبهم إلى الخير، ولا يعني ذلك أن نتغاضى عن الحق، النجاسة لابد أن تزال، ولكن الرجل لا يُجرم ولا يُطْرَد ولا يُنَفَّر، فالنبي ﷺ يعطينا نموذجاً في التعامل مع القلوب الحديثة العهد بالإيمان، وما يجب أن يكون عليه الداعية في تعامله معها. موقف آخر من مواقفه ﷺ وهو: موقفه مع معاوية بن الحكم السلمي والقصة مشهورة، يدخل ولم يعلم أن الله تبارك وتعالى قد أنزل: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويظن أن الكلام في الصلاة مباح يقول: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»** علمه النبي ﷺ بهذه الطريقة، فيقول: ما رأيت قبله ولا بعده معلماً مثله في هذا الرفق وهذا التعليم.

الاقتداء بالنبي ﷺ في عدم المداهنة في الدين وفي الجانب الآخر مواقف كثيرة لا تحصى. تسرق امرأة مخزومية من بني مخزوم، من ذروة قريش، ومن الأسر العريقة ذات المجد في الجاهلية وفي الإسلام، والحد أن تقطع يدها، هذا الذي شرعه الله، يأتي الصحابة ويتفكرون من الذي يجرؤ على أن يكلم النبي ﷺ فيها؟ فيقولون: حِبَّه وابنُ حِبِّه أسامة بن زيد - رضي الله عنه - هذا الذي يمكن بقرابته، وبمحبته عند الرسول ﷺ أن يخاطبه في شأنها، فيذهب

ويقول لـه: يا رسول الله! هذه امرأة من أشراف قريش من بني مخزوم، وقد أهم القوم أمرها - يشفع فيها - فهل نقول: لا بد من الحلم، الخلق الطيب، العفو الصفح؟! المسألة هنا تختلف عن هنالك! هنا موقف لابد لـه من جانب آخر هو الكمال، الحكمة، وهو الموقف الذي يجب أن يتخذ. النبي ﷺ لم يكتف بأن خاطب أسامة، بل رقى المنبر وجمع الناس، وخطب فيهم بقوة فقال: **«أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإن سرق فيهم الشريف تركوه، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»** قوة في الحق وزجر للشفاعة في حد من حدود الله، وتربية للأمة ألا تفعل مثل هذا، وحتى يسمع كل المسلمين أن هذا الأمر لا يجوز أن يقر من أي فرد يسمع به، ألا وهو الشفاعة في حد من حدود الله عز وجل، لماذا لا يكون حليماً، أو رقيقاً مع المرأة أو مع أسامة ؟ لأن المسألة وصلت إلى حد المجاملة في دين الله، وفي حق من حقوق الله، وهذا ما لا يمكن أن يكون من رسول الله ﷺ، ولا يكون من أي داعية يدعو إلى الله على بصيرة وبحكمة، ولماذا نقول: السيرة، السيرة؟ لأن السيرة كلها عبر،فالسيرة عظيمة وفيها كل خير، لكن لنأخذ أيضاً نماذج مما فعله أئمة الهدى - الدعاة إلى الله - الذين جعلهم الله أعلاماً على طريق الدعوة إلى الله في كل زمان وفي كل مكان؛ لنرى أيضاً كيف ساروا على نفس الخط، وأنهم فقهوا نفس الفقه وفهموه الإمام أحمد بن حنبل الإمام أحمد رضي الله عنه ذلك الإمام العظيم الذي جمع الله - تبارك وتعالى - له صفات الإمامة، كما عبر عن ذلك الإمام الشافعي رحمه الله في قوله: أحمد إمام في ثمانية من طرائق الخير.

شيخ الإسلام ابن تيمية شَيْخ الإِسْلامِ ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وشى به علماء السوء، علماء السلاطين، علماء الدنيا وشوا به إلى السلاطين، فيخرج من سجن إلى سجن، ويطارد، ويؤذى، ويعذب. كان علماء السوء يكتبون فيرد عليهم وهو في السجن، ويبين الحق دون أي مجاملة، يحضر إلى السلطان ويقول كلمة الحق دون أي مجاملة في دين الله - عز وجل - ولا مداهنة، يقول الحق أمام السلطان وفي غيابه، في السجن وخارج السجن؛ لأن هذا دين مؤتمن عليه،لا يمكن أن تكون هناك مداهنة في دين الله عز وجل، فكان هذا حاله. لما تبين للسلطان أن علماء السوء كاذبون، وأنهم ظلموه وافتروا عليه بما لم يقل وتقولوا عليه زوراً، حكَّمَه فيهم، قال له السلطان: ماذا تريد أن أفعل بهم؟ قال: لا شيء، قد عفوت

عنهم، وقد صفحت ولا أؤاخذهم بأي شيء! سبحان الله! الناس ينتظرون هذه الفرصة!! الذين ظلوا طول الدهر وهم وراءك بالباطل، وبالإفك، والزور، وبالأباطيل، وهذه الفرصة قد جاءتك، وهذا حق لك، ليس هناك أي حرام فيه، بل هذا حق لك أن تأخذه، ولكنه يريد أن يقتدي برسول الله ﷺ وبالصحابة الكرام، يهدر حق النفس من أجل إعلاء كلمة الله، ومن أجل حق الله عز وجل. ولهذا أقر منهم من أقر واعترف منهم من اعترف بفضله وإمامته وحسن خلقه – رضي الله عنه – لأنهم رأوا أن الرجل لا يريد إلا الحق، لا ينتقم، ولو كان يريد الانتقام لاستغل هذه الفرصة، وقال: افعل بهم كذا وكذا.

الخلل في الشمولية من أعظم أسباب التنازع بين الدعاة:

هناك نماذج كثيرة تدل على أن الداعية المسلم لابد أن يتخلق بالخلق الكريم الصحيح المستقيم، الذي يجمع بين القوة في الحق، وبين الكرم والعفو والصفح وحسن الخلق في التعامل مع الناس فنقول: إن حال أهل الكتاب قد وقعت فيه هذه الأمة، ووقع فيه دعاتها، فقد أخذ بعض الناس حظاً مما ذكروا به ونسوا حظاً مما ذكروا به؛ فتجده أخذ العلم فقط، وأي إنسان يقلل من قيمة العلم؟! وهل عُبِد الله عز وجل إلا بالعلم؟! وهل دُعي إلى الله إلا بالعلم؟! يأتي داعية من الدعاة، فيأخذ العلم، والعلمَ وحده! وما عداه لا شيء، فيكون الهم والشأن في كل موقف: علم، حكم هذا حلال، هذا حرام، هذا ضعيف، هذا ثقة، هذا كذا؛ علم لا يشك فيه أحد، ولا يقلل من شأنه أحد، لكن تتجرد هذه الميزة العظيمة مع الزمن، ومع الاحتكاك، والممارسة، عن ميزة أخرى، وعن حظ آخر لهذا الدين فيُنسَى، فيكون الإنسان مفرطاً في ذلك وإن كان قد حفظ جانباً عظيماً من جوانب الدعوة. يأتي آخر فيقول: الدعوة، الجهد، بذل الجهد، الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، ويبذل الجهد وراء الجهد، وهذا حق، وأي مؤمن ينكر بذل الجهد والمجاهدة والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! لا ينكر ذلك مؤمن، بل هي من الدين وحظ عظيم من هذا الدين! ولكن يأخذها وحدها! وينسى جانب العلم! ويقول: ما الذي استفدنا من العلم والعلماء؟! الأول – الذي اشتغل بالعلم وحده – يقول: أي دعوة تصح أو تنجح بغير علم؟ ولكن لا يدعو، فكثير من الناس تعلم، وله شهادات، وتحقيق، ومؤلفات، ولكن أين أثره في المجتمع؟ أين دعوته؟ إذاً: لا خير في العلم ولا في أهله فتكون الجفوة، وما سبب الجفوة؟ هل العلم

ليس من الدين؟ هل العلم ليس من خلق الدعاة؟ وهل الدعوة ليست من صفات الداعية؟ الحقيقة أن التفرق والتنازع قد يقع، وقد وقع لما أن فُرِّق بين أمرين هما جانبان أو جزءان لحقيقة واحدة وأمر واحد، فكما أن القوة في الحق معها العفو والصفح والرفق، فكذلك العلم معه الدعوة، والدعوة معها العلم، فلا بد أن يتكاملا، فلا يصح أن يؤخذ نصيب أو حظ من الدين ويترك الحظ الآخر.

تعامل الدعاة مع بعضهم ويؤسفني أن أقول: إن تعامل الدعاة مع بعضهم بعضاً هو أسوأ من تعامل الدعاة مع المدعوين! بمعنى آخر: أن بعض الدعاة يعامل المدعوين بمعاملة حسنة ليجذبهم إلى دعوته، والآخر يفعل نفس الفعل ليجذبهم إلى دعوته؛ فإذا نظرت إلى خلق هذا الداعية مع ذلك الداعية، لوجدت العجب!

ليس هناك من سبيل إلى اللين أو الرفق! ولماذا نقول: اللين والرفق؟! نقول: العدل، لأنه قد يفقد العدل بين الدعاة! وهذه حقيقة مؤلمة، ونحن نقولها لأننا في منبر دعوة ومع أناس يدعون إلى الله؛ فكلنا دعاة، وكلنا مدعوون لنكون أفضل أناس في الدعوة.

نحن الآن نطالب الدعاة بالحلم، وبالصفح، وبالتجاوز، والواقع أن العدل قد يكون مفقوداً للدرجة التي ليس وراءها إلا الظلم، لا نجد القسط ولا العدل في تعاملنا نحن الدعاة مع بعضنا إذا نزغ الشيطان فيما بيننا بأي نازغ من النوازغ.

قواعد لدرء التنازع بين الدعاة إن هذه النقطة وأهميتها تجعلني أقول: لا بد أن يراعي الدعاة أمرين؛ ولعل ذلك يعيننا على أن تكون أخلاقنا هي أخلاق الدعاة إلى الله، وأن تزول هذه الحالة السيئة التي هي واقعة بين الدعاة. الأمر الأول: أنه إذا كان كل منا على شعبة من الحق ومن الخير، فلا يجوز للآخر أن يغمط تلك الشعبة، لأنه على شعبة أخرى وعلى حظ آخر كما أشرنا، فلنعلم أن الدعاة إلى الإسلام الذين يدعون إلى الله على عقيدة صحيحة وعلى منهج سليم، لا يدخل في ذلك أهل البدع، ولا يدخل في ذلك أهل المناهج المنحرفة؛ ولكن نعني كل من يدعو إلى - الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ويرفع راية التوحيد، ويعتقد عقيدة السلف الصالح، ويتبع أهل السنة والجماعة؛ ولكن يقع بينه وبين أمثاله من التنازع أو الاختلاف في مناهج الدعوة ما يقع، فنقول: اعلم أنك على شعبة من الحق، وأن أخاك على

شعبة أخرى، فلا تغمطْه حقه، ولا تغمط تلك الشعبة حقها؛ إن كنت على علم فهو على جهاد أو دعوة، وإن كنت أنت على جهاد فهو على علم. إن كنت على أمر من أمور الوعظ أو الحث على التقوى والتعلق بالآخرة وترك الدنيا، فهو على جانب بيان الأحكام من حلال وحرام وكلاكما على حق، وكلاكما تتكاملان، وما أحسنكما لو تتكاملان.

من الذي يضمن أن تكون له كل صفات الداعية الناجح؟! فنحن نسعى إلى ذلك، ونجتهد لكي نكون كذلك؛ لكن الواقع لابد من وجود هذه الفجوات؛ فإذا قدر الإنسان أنه على جانب من الحق، وأن أخاه على جانب آخر من الحق، وأن المنهج واحد، وأننا ندعو جميعاً إلى أمر واحد، فإن هذا يزيل كثيراً من الجفوة بين الدعاة، أو سوء الظن الواقع بينهم.
الأمر الثاني: أن يعلم أن جانب الأسلوب في الدعوة أمر اجتهادي، وما اجتهاد أحد بمقدم على اجتهاد الآخر، وهذه قاعدة معروفة؛ فالإنسان حتى في صلاته لو اجتهد أن القبلة هاهنا، واجتهد الآخر أن القبلة هاهنا، لما جاز لأحد منهما أن يقلد الآخر، فليصل كل واحد حسب اجتهاده، وتقبل صلاته وتصح، ويؤجر عليها بحسب اجتهاده، ولكن إذا كان اجتهاده بأن القبلة هاهنا، وقلد الآخر مجرد تقليد، فإنه يكون قد صلى إلى غير القبلة. إذاً الأمر اجتهادي، ومعنى الأمر الاجتهادي أنني لا أجعل بيني وبينه الخصومة أو العداوة، بل أعذره ويعذرني؛ لأن الأمر فيه سعة، فإذا جئنا عند الدليل وعند النص، فلا كلام لأحد مع قول الله ومع قول رسوله ﷺ، ولا اجتهاد لأحد كائناً من كان مع صحة النص ومع قطعية دلالته.
هكذا يجب أن نكون؛ لنرتقي بعد ذلك إلى الواجب الكمالي وهو أن نكون إخوة متحابين، متآلفين، متآخين؛ وإن كان كل منا يغلب عليه جانب معين نتيجة ما فطره الله عليه من الطبع، نتيجة ما يسره الله تبارك وتعالى في أمر دينه ودنياه، وكل ميسر لما خلق له، هذا من أهل الخطابة، وهذا من أهل التأليف، وهذا من أهل العبادة، وهذا من أهل الجهاد، وهذا من أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من أهل العلم، وهذا من أهل الصبر، وهذا من أهل الزهد، وهكذا، وكلها أمور عظيمة، وكلها من أمور الدين، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ييسر كل إنسان لما يشاء من سبل الخير وطرائقه. ويجب أن يعرف كل إنسان من الطرفين أن هذا هو ما خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه، وأن الإعذار فيما بيننا ضروري؛ لكي

نكون أمةً واحدةً في مواجهة أهل البدعة، والشر والباطل[1].

وختاماً أسأل الله العلي القدير: أن يغفر لنا التقصير، ويتجاوز عن زلاتنا، ويعيننا على القيام بالواجب الذي خلقنا من أجله، وأذكِّر نفسي وإخواني مرة أخرى بأن كل إنسان مكلف بالمشاركة في الدعوة إلى الله كلٌ حسب طاقته، فالداعية وطالب العلم مُكَلَّف بمجهوده، والإنسان العادي كذلك باستطاعته؛ لنيل أجر التبليغ وإقامة الحجة على العباد، بتوصيل وسائل الدعوة إليهم، بالكتب والأشرطة - كما سبق وفصَّلنا - كصدقة في سبيل الله سبحانه وتعالى.

وكما قال النبي ﷺ من السبعة التي يصلن الميت بعد موته: قال: **«من وَرَّث مصحفاً»** فعليه أن ينفق في سبيل الله سبحانه وتعالى، بالإنفاق على طلبة العلم، وفي نشر الكتب والكتيبات، والعمل على نشر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتور/سيد جمعة سلاّم

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي/ أخلاق الداعية المسلم/ بتصرف.

المراجع التي اعتمد عليها الباحث

- القرآن الكريم.
- تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، الإمام ناصر الدين البيضاوي، (ت ٧٩١هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- تفسير البيضاوي ومعه حاشية الشهاب – دار صادر – بيروت – بدون.
- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٥هـ / ١٩٩٥م.
- تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.
- التفسير الكبير للفخر الرازي "مفاتيح الغيب"، الإمام الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- التفسير الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار المعرفة، بيروت ط٣، ١٣٩٨هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق عبد الله التركي – دار هجر – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الدار السلفية، الكويت، المكتبة الإسلامية، الأردن، الطبعة الأولى.
- صحيح ابن خزيمة – محمد بن إسحاق بن خزيمة – تحقيق محمد مصطفى الأعظمي _ المكتب الإسلامي – بدون.
- صحيح مسلم مع شرح النووي – مسلم بن الحجاج النيسابوري – دار الفكر – بيروت – بدون.

- صفوة التفاسير / ج١ / دار القرآن الكريم / بيروت / ط٤ محمد على الصابونى.
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي.
- صحيح البخاري مع فتح الباري - محمد بن إسماعيل البخاري - دار الفكر - بيروت - بدون.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- فتح القدير للشوكانى / المكتبة الشاملة من الإنترنت.
- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - دار صادر - بيروت - بدون.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ)، مكتبة الصفا، القاهرة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) المكتب الاسلامي، دار صادر للنشر، بيروت.
- مختصر تفسير ابن كثير، الإمام عماد الدين بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٨هـ.
- مفهوم الحكمة فى الدعوة إلى الله/ المكتبة الشاملة - الإنترنت.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني، ط (دون تايخ) دار المعرفة، بيروت.
- سنن ابن ماجة.

- سيرة ابن هشام.
- بحث في الحكمة تأليف: الشيخ ناصر بن سليمان العمر.
- التحرير والتنوير.
- في ظلال القرآن تأليف : سيد قطب.
- لسان العرب تأليف: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم.
- رسالة من الشيخ عبد العزيز بن باز عن الدعوة وأخلاق الدعاة.
- راجع إعلام الموقعين لابن القيم.
- صائد القلوب للشيخ/ عبد الملك القاسم موقع المسلم.
- مختصر الشمائل المحمدية.
- مراهق بلا أزمة، للدكتور أكرم رضا.
- الداعية البصير.. للدكتور / علي بن عبد الله الصباح.
- الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي/ أخلاق الداعية المسلم/ موقع ابن باز الخيرى.
- الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال لعقيل بن محمد بن زيد المقطري.
- الأستاذ عمر عبيد حسنة مقدمة كتاب الأمة (فقه الواقع أصول وضوابط) عدد٧٥.
- أضواء على طريق الدعوة للدكتور محمد أمان بن علي الحاجي.
- وصايا للداعية الجديد" للشيخ عادل العبد العالي.
- عمرو الشيخ /صيد الفوائد.
- حتى لا تغرق السفينة.
- فقه الواقع د. ناصر العمر، وانظر (فقه الواقع أصول وضوابط) للأستاذ

أحمد بوعود كتاب الأمة عدد ٧٥.

- صيد الفوائد همسات في أذن الداعية.
- كلنا دعاة أكثر من ١٠٠٠ فكرة ووسيلة وأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى تجارب العلماء والدعاة قديماً وحديثاً عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي الناشر دار الطرفين للنشر والتوزيع.
- صناعة الفكر مجلة البيان عدد ٢٨.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

كتب للمؤلف

إحكام الأحكام في تجويد القرآن.

إلا من أتى الله بقلب سليم.

تربية الطفل – دراسة منهجية من القرآن والسنة.

المرأة بين عز الإسلام وذل الجاهلية المعاصرة.

شخصية المسلم كما ينبغى أن تكون.

النبى محمد ﷺ كأنك تراه.

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة.

السعادة الزوجية حقوق وواجبات.

رسالة ماجستير: النفاق وأثره في حياة الأمة.

رسالة دكتوراة: المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب.

كتب تحت الطبع.

الطريق إلى الجنة.

الفقه فى الإسلام دراية وأحكام.

(مكتبة الإيمان بالمنصورة – وجزيرة الورد بالقاهرة).

* * * * *

الفهرس

* * * * *